

فَسَبِّحُوا اللَّهَ الذِّكْرَ

الذِّكْرُ مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ السَّمَاوِي



فَسَبِّحُوا اللَّهَ أَكْثَرَ



مرکز تحقیقات اسلامی علوم اسلامی

الدُّكُورُ مُحَمَّدُ النَّجَّافِيُّ السَّمَائِيُّ

سماوی، محمد تیجانی، ۱۹۳۶ -

فستلوا أهل الذکر / محمد التیجانی السماوی. - قم: انصاریان، ۲۰۰۹.

۳۵۴ ص.

المصادر: ص. [۳۴۶] - ۳۵۰ مع الهوامش.

ISBN: 978-964-438-311-3

الف. عنوان.

۱. شیعه امامیه - دفاعیهها وردیهها.

۲۹۷/۴۱۷

ف ۸۵/۵/س ۲۱۲ BP

فستلوا أهل الذکر

المؤلف: الدكتور محمد التیجانی السماوی

الناشر: مؤسسة انصاریان للطباعة والنشر

الطبعة الخامسة ۱۳۸۰ - ۲۰۰۱ - ۱۴۲۲

الطبعة السادسة والسابعة ۱۳۸۲ - ۲۰۰۳ - ۱۴۲۴

الطبعة الثامنة ۱۳۸۳ - ۲۰۰۴ - ۱۴۲۵

الطبعة التاسعة ۱۳۸۵ - ۲۰۰۶ - ۱۴۲۷

الطبعة العاشرة ۱۳۸۶ - ۲۰۰۷ - ۱۴۲۸

الطبعة الحادية عشر ۱۳۸۷ - ۲۰۰۹ - ۱۴۳۰

المطبعة: قلنس

الکمية: ۲۰۰۰ نسخة

عدد الصفحات: ۳۵۴ ص.

حجم الغلاف: كبير

رقم الإيداع الدولي: ۳-۳۱۱-۴۳۸-۹۶۴-۹۷۸ (ISBN)

جميع حقوق الطبع محفوظة ومسجلة للناشر



مؤسسة انصاریان للطباعة والنشر

جمهورية ایران الإسلامية

قم - شارع الشهداء - فرع ۲۲

ص.ب ۱۸۷

هاتف: ۷۷۴۱۷۴۴ (۲۵۱) (۹۸) فاكس: ۷۷۴۲۶۴۷

البريد الإلكتروني: Int_ansarian@yahoo.com & ansarian@noornet.net

www.ansariyan.org & www.ansariyan.net

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شماره ثبت:

۴۲۳۷۰

تاریخ ثبت:



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله رب العالمين - وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين سيد الأولين والآخرين والمُنزه عن كل ما هو مُشِين، وعلى آله الطيبين الطاهرين أعلام الهدى ومصابيح الدجى وأئمة المسلمين. أما بعد فهذه أسئلة أعدتها للمسلمين الباحثين خاصة منهم أهل السنة الذين يظنون أنهم هم وحدهم المتمسكون بالسنة النبوية الصحيحة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله الطاهرين. بل ويشددون نكيرهم على غيرهم من المسلمين وينزولونهم بالالقباب.

وقد بُعثت في شتى البلاد الإسلامية جمعيات جديدة باسم الدفاع عن السنة المحمدية - وباسم أنصار السنة وأنصار الصحابة، وكُتبت كتبٌ عديدة لشتم وتكفير الشيعة وأئمتهم والاستهزاء بعلمائهم، ورُوّجت وسائل الإعلام العالمية هذه الأفكار في كل أقطار العالم الإسلامي وغير الإسلامي، وأصبح حديث الناس اليوم هو «السنة والشيعة».

وكثيراً ما ألتقي في المناسبات مع بعض الشباب المثقف من المسلمين الصادقين الذين يتساءلون ويسألون عن حقيقة الشيعة وباطلهم، وهم حائرون بين ما يشاهدونه ويعيشونه مع أصدقاء لهم من الشيعة وما

يسمعونه ويقرؤونه عنهم ولا يعلمون أين يوجد الحق. وقد تحدثت مع البعض منهم وأهديت لهم كتابي «ثم اهتديت» والحمد لله أن الأغلبية من هؤلاء وبعد المناقشة والبحث يهتدون لمعرفة الحق فيتبعونه، ولكن هذا يبقى مقصوراً على نخبة من الشباب الذين ألتقي بهم صدفةً، أما البقية فقد لا يتاح لهم مثل هذا اللقاء فتبقى مشوشة الفكر بين الآراء المتضاربة.

وبالرغم من وجود الأدلة المقنعة والحجج الدامغة في كتاب «ثم اهتديت» وكتاب «مع الصادقين» إلا أنهما لا يكفيان لمواجهة تلك الحملات المسعورة والدعايات المكثفة التي تمولها بعض الجهات الشريرة بالبرودولار في مختلف وسائل الإعلام.

وبالرغم من كل ذلك سيبقى صوت الحق مدوياً وسط الضوضاء المزعجة ويبقى بصيص النور مضيقاً وسط الظلام الدامس لأن وعد الله حق ولا بدّ لوعده من نفاذ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَاللَّهُ مَتَمِّمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التكوير: 8]. وقال تعالى مُبَيَّنّاً بَأَن أَعْمَالَهُمْ هَذِهِ سُنْبُوءٌ بِالْفُشْلِ وَتَنْقَلِبُ عَلَيْهِمْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصْدَوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36].

لأجل ذلك، كان واجباً على العلماء والكتّاب والمفكرين أن يوضحوا للناس ما أشكل عليهم ويهدوهم سواء السبيل. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ، أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 160].

فلماذا لا يتكلم العلماء ويبحثون في هذا الموضوع بجدّ وإخلاص لوجه الله تعالى، وإذا كان سبحانه قد أنزل البيّنات والهدى، وإذا كان قد أكمل الدّين وأتمّ النعمة، وإذا كان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم قد أدّى

الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة، فلماذا هذه التفرقة والعداوة والبغضاء والتنازع بالألقاب، وتكفير بعضنا البعض.

وأنا بدوري أقف وقفة صريحة هنا لأقول لكل المسلمين بأن لا خلاص ولا نجاة ولا وحدة ولا سعادة ولا جنة إلا بالرجوع إلى الأصليين الأساسيين كتاب الله وعترته الرسول (ص)، وإلا بالركوب في سفينة النجاة وهي مركب أهل البيت عليهم السلام. وليس هذا القول كلاماً من اختراعي، إنما هو كلام الله ورسوله (ص) في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إن المسلمين اليوم أمام اتجاهين اثنين في طريق الوحدة المنشودة.

الأول: هو أن يقبل أهل السنة والجماعة بمذهب أهل بيت الرسول (ص) وهو ما يأخذ به الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، ويصبح بذلك المذهب الخامس لديهم ويتعاملون مع نصوصه الفقهية بالنحو الذي يتعاملون به مع المذاهب الإسلامية الأربعة، فلا ينقصونه ولا ينزّون معتقيه بشيء ويتركون للطلبة والمثقفين حرية اختيار المذهب الذي يقتنعون به، وضمن نفس السياق فإن على المسلمين - سنة وشيعة - القبول بالمذاهب الإسلامية الأخرى كالأباضية والزيدية.. ورغم أن هذا الاتجاه يمثل حلاً يوفر على امتنا كثيراً من التنافر والتفرقة إلا أنه لا ينهض إلى مستوى المعالجة الحاسمة للمعضل التاريخي الذي تعيشه منذ قرون.

• الاتجاه الثاني: هو أن يتوحد المسلمون كافة على عقيدة واحدة رسمها كتاب الله ورسوله وذلك عن طريق واحد وصراط مستقيم وهو اتباع أئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ولهذا السبب فالمسلمون كافة سنة وشيعة متفقون على أعلميتهم وتقدمهم في كل شيء من تقوى وورع وزهد وأخلاق وعلم وعمل، ويختلف المسلمون في الصحابة، فليدع المسلمون ما اختلفوا فيه إلى ما اتفقوا عليه، من باب قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «دع ما يربك إلى ما لا يربك». فتجتمع بذلك الأمة وتتوحد على قاعدة أساسية هي مدار كل شيء أسسها صاحب الرسالة في قوله: «تركْتُ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً،

كتاب الله وعترتي أهل بيتي، صحيح مسلم.

وإذا كان هذا الحديث صحيحاً عند الطرفين بل عند كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم، فما بال قسم من المسلمين لا يعمل به؟؟؟ ولو عمل المسلمون كافة بهذا الحديث لنشأت بينهم وحدة إسلامية قوية لا تزعزعها الرياح ولا تهدها العواصف، ولا يطلها الإعلام ولا يفشلها أعداء الإسلام.

وحسب اعتقادي أن هذا هو الحل الوحيد لخلاص المسلمين ونجاتهم وما سواه باطل وزخرف من القول، والمتتبع للقرآن والسنة النبوية والمطلع على التاريخ والمتدبر فيه بعقله يوافقني بلا شك على هذا.

أما إذا فشل الاتجاه الأول وهو فاشل من أول يوم فارق فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحياة حيث تختلف الصحابة وتسبب ذلك في انقسام الأمة وتمزيقها، وحيث فشلت الأمة عبر قرون في الرجوع إلى الاتجاه الثاني وهو الاعتصام بالكتاب والعتره، لما بثته وسائل الإعلام قديماً في المهديين الأموي والعباسي، وحديثاً في عصرنا الحاضر من تشويه وتضليل وتكفير لاتباع أهل البيت النبوي - فلم يبق أمامنا حينئذٍ إلا المواجهة بصراحة وإظهار الحق لكل من يرغب فيه، متوخين في ذلك أسلوب القرآن الكريم إذ يتحدث فيقول: ﴿... قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: 111]. والبرهان والحجة لا يُفرضان بالقوة ولا بالأموال ولا يطرحان بوسائل الترغيب والترهيب عند الأحرار الذين باعوا أنفسهم لله وحده ولم ولن يرضوا بديلاً للحق ولو كلفهم ذلك إزهاق النفوس.

فيا ليت علماء الأمة اليوم يعقدون مؤتمراً لبحثوا فيه هذه المسائل بقلوب منفتحة وعقول واعية ونفوس صافية، ويخدمون بذلك الأمة الإسلامية ويعملون على لَمِّ شتاتها وتضميد جراحاتها وتوحيد صفوفها وجمع كلمتها. إن هذه الوحدة قادمة لا محالة أحبوا أم كرهوا لأن الله سبحانه رصد لها إماماً من ذرية المصطفى سيمثلها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وهذا الإمام هو من العتره الطاهرة وكأن الله سبحانه جلّت حكمته يمتحن

هذه الأمة طيلة حياتها، حتى إذا قرب أجلها كشف لها عن خطأ اختيارها وأعطاهها فرصة للرجوع إلى الحق واتباع النهج الأصيل الذي دعا إليه محمد صَلَّى الله عليه وآله وسلم الذي كان يقول: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

وإلى أن يحين ذلك الوقت أقدم كتابي هذا «فاستلوا أهل الذكر» وهو جملة من الأسئلة مع الإجابة عليها من خلال مواقف وتعاليم أئمة أهل البيت سلام الله عليهم - عسى أن يستفيد منها المسلمون في كل البلاد الإسلامية ويعملوا على تقريب وجهات النظر للإعداد للوحدة المنشودة.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، أسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل عملي ويجعل فيه الخير والبركة، فما هو إلا لبنة واحدة لبناء رباط الوحدة.

أقول هذا لأن المسلمين اليوم يمازالوا بعيدين عن أبسط حقوق الإنسان والتعامل بالحسنى مع بعضهم البعض.

لمست ذلك بنفسي خلال رحلاتي وزياراتي الكثيرة في البلدان الإسلامية أو البلدان التي فيها مسلمون. وآخرها عهداً في القارة الهندية التي يسكنها أكثر من مائتي مليون مسلم ربعهم شيعة وثلاثة أرباعهم من السنة، وقد سمعت عنهم الكثير ولكن ما شاهدته يبعث فعلاً على الدهشة والحيرة والخوف، ولقد تأسفت وبكى على مصير هذه الأمة، وكاد اليأس يدب إلى قلبي لولا الرجاء والأمل والإيمان.

وفور رجوعي من الهند أرسلت رسالة مفتوحة إلى العالم الهندي الذي يرجع إليه أهل السنة والجماعة في تلك القارة وهو أبو الحسن الندوي ووعدته بنشرها مع الرد عليها ولكن لم أتلّق الردّ عليها حتى الآن وإني أنشرها في مقدمة هذا الكتاب كما هي لتكون وثيقة تاريخية تشهد لنا عند الله وعند الناس بأننا من دعاة الوحدة.

الذكر: محمد النجّاني السّماوي



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وآله الطاهرين
رسالة مفتوحة إلى السيد ابو الحسن الندوي العالم الهندي

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

أنا محمد التيجاني السماوي التونسي الذي من الله عليه بالهداية والتوفيق فاعتنق مذهب أهل البيت النبوي بعد بحث طويل وبعدما كنتُ مالِكياً ومن أتباع الطريقة الصوفية المشهورة في شمال إفريقيا وهي التيجانية، وعرفتُ الحق من خلال رحلة موفقة إلى علماء الشيعة، وكتبت في ذلك كتاباً أسميته «ثم اهتديت» ثم طبعه عندكم في الهند من طرف المجمع العلمي الإسلامي بعدة لغات وبالمناسبة دُعيت لزيارة الهند.

سيدي العزيز قدمتُ إلى الهند في زيارة قصيرة، وكان أمني أن ألتقي بحضرتكم لما أسمع عنكم ولما أعلمه بأنكم المشار إليه بين أهل السنة والجماعة عندكم. ولكن عاقني عن ذلك بعد المسافة وضيق الوقت، واكتفيتُ بزيارة مدينة «بومباي» وبونة وجبل بور وبعض المدن الأخرى في كوجراتي وتألّمتُ كثيراً لما شاهدته في الهند من عداوة وبغضاء بين أهل السنة والجماعة وإخوانهم المسلمين من الشيعة.

وقد كنتُ أسمع بأنهم يتحاربون ويتقاتلون أحياناً وتُسفك دماء بريئة من الطرفين باسم الإسلام.

ولم أكن أصدق، معتقداً بأنه مبالغة في التشويه، ولكن ما شاهدته وما سمعته خلال زيارتي يبعث حقاً على الجيرة والاستغراب وأيقنت بأن هناك نوايا خبيثة ومؤامرات خطيرة تُحاك ضد الإسلام والمسلمين للقضاء عليهم جميعاً سنة وشيعة ومما زاد يقيني وضوحاً وعلمي رسوخاً تلك المقابلة التي دارت بيني وبين مجموعة من علماء أهل السنة يتقدمهم الشيخ عزيز الرحمن مفتي الجماعة الإسلامية وكان اللقاء في مسجدهم «بيومباي» وبدعوة منهم.

وما أن حللتُ بينهم حتى بدأ الازدراء والتهكم والسبُّ واللعنُ لشيعة آل البيت، وقد أرادوا بذلك استفزازي وإثارتي لعلمهم مسبقاً بأنني قد ألفْتُ كتاباً يدعو للتمسك بمذهب أهل البيت سلام الله عليهم. ولكنني فهمتُ قصدهم وتمالكتُ أعصابي وابسملتُ لهم قائلاً: أنا ضيف عندكم وأنتم الذين دعوتُموني فجتُّكم مُسرِعاً مُليئاً، فهل دعوتُموني لتسبوني وتشتُموني، وهل هذه هي الأخلاق التي علِّمكم إياها الإسلام؟؟ فأجابوني بكل صلافة بأنني لم أكن يوماً في حياتي مسلماً لأنني شيعي والشيعة ليسوا من الإسلام في شيء وأقسموا على ذلك.

قلتُ: اتَّقُوا الله يا إخواني فربنا واحد ونبيُّنا واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة، والشيعة يوحدون الله ويعملون بالإسلام اقتداءً بالنبي وأهل بيته، وهم يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة ويحبون بيت الله الحرام، فكيف يجوز لكم تكفيرهم؟؟

أجابوني: أنتم لا تؤمنون بالقرآن، أنتم منافقون تعملون بالتقية وإمامكم قال: التقية ديني ودين آبائي. وأنتم فرقة يهودية أسسها عبد الله بن سبأ اليهودي.

قلتُ لهم مبتسماً: دعونا من الشيعة، وتكلّموا معي أنا شخصياً فقد كنتُ مالِكياً مثلكم واقتنعتُ بعد بحث طويل بأن أهل البيت هم أحق وأولى بالاتباع، فهل عندكم حجة تجادلوني بها، أو تسألوني ما هو دليلي وحجتي عسى أن نفهم بعضنا بعضاً؟

قالوا: أهل البيت هم نساء النبي وأنت لا تعرف من القرآن شيئاً قلت: فإن صحيح البخاري وصحيح مسلم يُفيدان غير ما ذكرتم! قالوا: كل ما في البخاري ومسلم وكتب السنة الأخرى من حجج تحتجون بها هي من وضع الشيعة دسوها في كتبنا.

أجبتهم ضاحكاً: إذا كان الشيعة وصلوا للذس في كتبكم وفي صحاحكم فلا عبرة ولا قيمة لها ولا لمذهبكم القائم عليها! فسكتوا وأفحموا ولكن أحدهم عمّد إلى التهريج والإثارة من جديد فقال: من لا يؤمن بخلافة الخلفاء الراشدين سيدنا أبي بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا معاوية وسيدنا يزيد رضي الله عنه وأرضاه فليس بمسلم!

ودهشت لهذا الكلام الذي ما سمعت مثله في حياتي وهو تكفير من لا يعتقد بخلافة معاوية وابنه يزيد، وقلت في نفسي: معقول أن يترضى المسلمون على أبي بكر وعمر وعثمان فهذا أمر طبيعي أما على يزيد فلم أسمع ذلك إلا في الهند. والتفت إليهم جميعاً أسألهم: أتوافقون هذا على رأيه! فأجابوا كلهم: نعم.

وعند ذلك عرفت بأن لا فائدة في مواصلة الكلام، وفهمت بأنهم إنما يريدون إثارتني حتى يتقموا مني، وربما يقتلونني بدعوى سب الصحابة فمن يدري؟

ورأيت في أعينهم شراً وطلبت من مرافقي الذي جاء بي إليهم أن يُخرجني فوراً، فأخرجني وهو يتحسّر ويعتذر إليّ على ما وقع. وهذا الشخص البريء الذي كان يرمي من وراء هذا اللقاء أن يتعرف على الحقيقة هو الشاب المهدّب شرف الدين صاحب المكتبة والمطبعة الإسلامية في «بومباي» فهو شاهد على كل ما دار بيننا من هذه المحاوراة المذكورة ولم يخف استيائه من هؤلاء الذين كان يعتقد بأنهم من أكبر العلماء.

وغادرتهم وأنا ساخط متأسف على ما وصلت إليه حالة المسلمين وخصوصاً الذين يتزعمون مراكز الصدارة ويتسمون بالعلماء وقلت في نفسي إذا كان العلماء بهذه الدرجة من التعصب الأعمى فكيف يكون عامة الناس وجهالهم، وعرفت عندئذ كيف كانت تقوم المعارك والحروب التي تسفك فيها الدماء المحرمة وتُهتك فيها الأعراض والحُرُمات باسم الدفاع عن الإسلام، وبكيت على مصير هذه الأمة النعيسة المنكوبة التي حملها الله سبحانه مسؤولية الهداية وحملها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً مسؤولية إيصال النور إلى القلوب المظلمة فإذا بها تصبح بحاجة إلى بصيص من النور، وفي وقت يكون فيه في الهند وحدها سبعمائة مليون نسمة يعبدون غير الله تعالى، ويقدمون البقر والأصنام والأوثان، وبدلاً من أن تتوحد جهود المسلمين لهدايتهم وإرشادهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى يُسلموا لرب العالمين، نرى أن المسلمين اليوم وخصوصاً في الهند هم بحاجة إلى الهداية والتصحيح.

لهذا سيدي أرفع كتابي إليكم داعياً بياكم باسم الله الرحمن الرحيم وباسم رسوله الكريم وباسم الإسلام العظيم ولقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ أدعوكم أن تقفوا وقفة المسلم الشجاع الذي لا يخشى في الله لومة لائم ولا تأخذه العصبية ولا الطائفية إلى حيث يحب الشيطان وأوليائه.

أدعوكم لوقفة مخلصه وصريحة، فأنتم من الذين حملهم الله المسؤولية ما دمتم تتكلمون باسم الإسلام في تلك الربوع، فلا يرضى الله منكم أن تقفوا وقفة المتفرج الراضي بما يقع هنا وهناك من مأسا يدفع ثمنها الأبرياء من المسلمين سنة وشيعة، والله سائلكم يوم القيامة عن كل صغيرة وكبيرة ومحاسبكم عن كل شاردة وواردة لأنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم.

وما دمتم تتزعمون علماء الهند فمُسؤوليتكم عظمى لا شك فيها وكلمة منكم قد يكون فيها صلاح الأمة في الهند كما قد يكون فيها هلاك الحرث والنسل فاتقوا الله يا أولي الألباب!

وبما أن الله سبحانه أعطى للعلماء المرتبة الأولى بعد الملائكة فقال عز من قائل: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾. وإذا كان سبحانه يأمرنا جميعاً بقوله: ﴿وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان﴾ وإذا كان المفسرون يذهبون إلى ضرورة إقامة العدل في الموازين المادية ذات القيمة المحدودة، فما بالكم بإقامة العدل في القضايا العقائدية التي تتأرجح بين الحق والباطل وتتوقف عليها هداية البشرية ونجاة الإنسانية بأسرها.

قال الله تعالى: ﴿وإذا حكمتم فاحكموا بالعدل﴾ وقال أيضاً: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قل الحق ولو على نفسك، قل الحق ولو كان مُراً».

• سيدي العزيز إلى كتاب الله أدعوكم، وإلى سنة رسوله أدعوكم، فقولوها صريحة مُدوية ولو كانت مرة تكون لكم شهادة عند الله، بربك هل الشيعة عندكم غير مسلمين؟

هل تعتقدون حقاً أنهم كفار؟ هل أتباع أهل البيت النبوي الذين يوحدون الله ويعظمونه أكثر من كل الفرق - لقولهم بتزييه عن المشابهة والمشاكلة والتجسيم. ويؤمنون برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويعظمونه أكثر من كل الفرق - لقولهم بعصمته المطلقة حتى قبل البعثة، هل هؤلاء تحكمون بكفرهم؟؟

هل الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا، ويهونون هوى عترة النبي

ويوالونهم، كما عرفهم ابن منظور في لسان العرب في مادة شيعة، فهل تقولون أنتم بأنهم غير مسلمين؟؟

هل هؤلاء الشيعة الذين يُقيمون الصلاة كأفضل قيام، ويؤتون الزكاة ويزيدون عليها خمس أموالهم طاعة لله ولرسوله ويصومون رمضان وغيره من الأيام ويحجون البيت ويعظمون شعائر الله ويحترمون أولياء الله ويتبرؤون من أعداء الله وأعداء الإسلام، هل هؤلاء عندكم مشركون؟؟

هل الذين يقولون بإمامة اثني عشر إماماً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وقد نصر عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما أخرج ذلك البخاري ومسلم وغيرهما من صحاح أهل السنة، هل هؤلاء عندكم مارقين عن الإسلام؟؟

وهل كان المسلمون يوماً يجهلون الإمامة ولا يقرّون بها سواء كان ذلك في حياة الرسول أو بعد وفاته حتى نلصق نظرية الإمامة ومبادئها بالفرس والمجوس؟

وهل تقولون فعلاً بكفر من لا يعترف بإمامة يزيد بن معاوية الذي عرف فسقه الخاص والعام من المسلمين، ويكفي يزيد خسة وسقوطاً ما أجمع عليه المسلمون من إباحته المدينة المنورة لجيشه وجنده يفعلون فيها ما يشاؤون لأخذ البيعة له بالقهر على أنهم له عبيد، فقتلوا عشرة آلاف من خيرة الصحابة والتابعين وهاكوا فيها أعراض المحصنات من النساء والفتيات المسلمات حتى ولدن من سفاح ما لا يُحصى عدده إلا الله. ويكفيه عاراً وشناراً وخزياً مدى الدهر قتله سيد شباب أهل الجنة وسبيه بنات الرسول، وضربه ثنانياً الحسين بقضيبه وتمثله بالآبيات المعروفة:

لبت أشياخي بيدر شهدوا إلى قوله لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل.

وهو صريح بأنه لا يؤمن بنبوّة محمد ولا بالقرآن الكريم، فهل حقاً

توافقون على تكفير من تبرأ من يزيد وأبيه معاوية الذي كان يلعن علياً ويأمر بلعنه بل ويقتل كل من امتنع عن ذلك من خيرة الصحابة كما فعل مع حجر بن عدي الكندي وأصحابه، وسنها سنة متبعة دامت سبعون عاماً، وهو يعلم قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله». كما أخرج ذلك صحاح أهل السنة. إضافة إلى ما قام به من أعمال تتنافى مع الإسلام، وقتله الأبرياء والصلحاء من أجل أخذ البيعة لابنه يزيد بالقهر والقوة، وقتله الحسن بن علي عن طريق جعدة بنت الأشعث، إلى جرائم أخرى كثيرة يذكرها له التاريخ عند أهل السنة كما يشهد له بها شيعة علي.

فما أظنكم سيدي توافقون على كل ذلك، وإلا فعلى الإسلام السلام، وعلى الدنيا العفا. وعندها لا يبقى بعد ذلك مقاييس ولا عقل ولا شرع ولا منطق ولا دليل.



والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَنْ تَحِقَّتْ لَكُم بَعْضُ مَا نَذَرْنَا فِي ذِكْرِ رَسُولِهِ مِنْ شَيْءٍ فَأْتُوا بِهِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَعُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾. ولقد صدق والله عالم الباكستان المغفور له أبو الأعلى المودودي رحمه الله عندما ذكر في كتابه المسمى بـ «الخلافة والملك» في صفحة 106 نقلاً عن الحسن البصري قوله:

أربع خصال كن في معاوية لو لم تكن له إلا واحدة لكانت موبقة له:

1- أخذه الأمر من غير مشورة المسلمين وفيهم بقايا الصحابة ونور الفضيلة.

2- استخلافه بعده ابنه السكير الخمير الذي يلبس الحرير ويضرب الطنابير.

3- إدعائه زياداً وقد قال رسول الله (ص) «الولد للفراش وللعاهر الحجر».

4- قتله حجراً وأصحاب حجر فيا ويلاً له من حجر وأصحاب حجر
(أعادها ثلاثاً).

فرحم الله أبا الأعلى المودودي الذي صدع بالحق ولو شاء لزاد فوق
هذه الخصال الأربع أربعين ولكنه رحمه الله رأى أن في ذلك كفاية لتكون
موبقة لمعاوية، والمعروف أن كلمة موبقة معناها (توبق في النار).

ولعل المودودي كان يراعي عواطف الناس الذين تعلموا من أسلافهم
تقديس معاوية واحترامه والترضي عليه بل وحتى على ابنه يزيد أيضاً كما
سمعت ذلك بنفسه من علمائكم في الهند فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم.

ولكل ذلك راعيتُ أنا أيضاً عواطف أولئك الذين دعوني ليستفزوني،
فلم أذكر لهم شيئاً من ذلك خوفاً على نفسي.

فأنا أهيب بكم سيدي أن تقفوا وقفة صريحة تبغون بها وجه الله تعالى
فإن الله لا يستحي من الحق ولا أطلب منكم الاعتراف بمساوي هؤلاء ولا
بنشر فضائحهم فالتاريخ كفانا وإياكم مؤونة ذلك.

ولكن المطلوب منكم أن تعترفوا وتعلموا أتباعكم بأن الذين لا
يعترفون بإمامة هؤلاء ولا يؤايلونهم، هم مسلمون حقيقيون جديرون بالاحترام
وليس في ذلك شئ. أن تقولوا بأن الشيعة مظلومون على مر التاريخ لأنهم لم
يتبعوا ولم يعترفوا بإمامة الشجرة الملعونة التي ضربها الله مثلاً في القرآن.

فما هو ذنب الشيعة بربكم، إذا كان رسول الله ﷺ يأمر المسلمين
بأتباع أهل بيته من بعده حتى جعلهم كسفينة نوح ينجو من يركب فيها
ويهلك من يتخلف عنها. وما ذنب الشيعة إذا امثلوا لأمر الرسول بقوله
«تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي
أبداء» كما تشهد بذلك صحاح السنة فضلاً عن كتب الشيعة.

ويدلاً من شكرهم وتقديرهم وتفضيلهم على غيرهم لامثالهم أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، نشتمهم ونكفرهم ونبتراً منهم، فما هذا بإنصاف ولا هو معقول.

دعونا سيدي من أقوال التخريف والتزييف التي لم تعد تقوم على دليل وبرهان ولم تعد تنطلي على المثقفين من أبناء أمتنا، من أن الشيعة لهم قرآن خاص بهم، أو أنهم يقولون بأن صاحب الرسالة هو علي، أو أن عبد الله بن سبأ اليهودي هو مؤسس التشيع، إلى غير ذلك من الأقوال السخيفة المفترضة التي يشهد الله أنها من خيال أعداء الإسلام وأعداء أهل البيت وشيعتهم، والتي ما أوجدها إلا التعصب الأعمى والجهل المقيت.

وأنا أسأل سيدي العزيز أين علماء الهند من علماء الأزهر الشريف الذين أفتوا بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية منذ ثلاثين عاماً، ومن علماء الأزهر الأعلام من يرى بأن الفقه الجعفري الذي تعمل به الشيعة هو أشمل وأثري وأقرب إلى روح الإسلام من المذاهب الإسلامية الأخرى التي هي عيال عليه. وعلى رأس هؤلاء فضيلة الشيخ محمود شلتوت رحمه الله الذي ترأس الأزهر في حياته فهل أمثال هؤلاء العلماء لا يعرفون الإسلام والمسلمين؟ أم أن علماء الهند أعلم منهم وأعرف؟ فما أظنكم تقولون بذلك...!!

سيدي الكريم أمني فيكم وطيد وقلبي إليكم مفتوح بالمحبة والشفقة والحنان، وقد كنت في ما مضى مثلكم محجوب عن الحقيقة وعن أهل البيت وشيعتهم، فهداني الله سبحانه إلى الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، وتحررت من قيود التعصب والتقليد الأعمى، وعرفت بأن أغلب المسلمين لا زالت تحجبهم الإشاعات والأباطيل وتصدهم الدعايات عن الوصول إلى الحقيقة ليركبوا جميعاً في سفينة النجاة ويعتصموا بحبل الله المتين فليس هناك كما تعلمون بين السنة والشيعة فرق إلا فيما اختلفوا فيه بعد الرسول من أجل الخلافة، وأساس الفرقة بنو اعتقادهم في الصحابة،

والصحابه رضي الله عنهم اختلفوا فيما بينهم حتى لعنوا بعضهم بل وتحاربوا وقتل بعضهم بعضاً.

فإن يكن الاختلاف فيهم خروجاً عن الإسلام فالصحابه هم أولى بهذه التهمة والعياذ بالله . ولا أعتقد بأنكم ترضون بذلك والإنصاف يدعوكم أن لا ترضوا بإخراج الشيعة عن الإسلام وكما دأب الشيعة على تقديس أهل البيت واحترامهم كذلك دأب السنة على احترام الصحابة وتقديسهم أجمعين وشتان بين الموقفين، فإذا كان الشيعة في ذلك مخطئين فأهل السنة أولى بالخطأ، لأن الصحابة بأجمعهم يُقدّمون على أنفسهم أهل البيت ويصلّون عليهم كصلاتهم على النبي ولم نعرف أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم قدّم نفسه أو فضلها على أهل بيت المصطفى في علم أو في عمل.

فالوقت قد حان لرفع المظلمة التاريخية عن شيعة أهل البيت والتقارب معهم والتأخي والتعاون على البر والتقوى - ويكفي هذه الأمة إراقة الدماء وإثارة الفتن.

مركز تحقيق كتب أمير المؤمنين عليه السلام

فحسبى الله سبحانه يجمع بكم الكلمة ويلمّ بكم الشتات ويرتق بكم الفتق ويدأوي بكم هذه الجراح ويخمد بكم نار الفتنة ويخزي بكم الشيطان وحزبه فتكونون عند الله من الفائزين خصوصاً وأنكم من سلالة العترة الطاهرة على ما أسمع، فاعملوا على أن تحشروا معهم ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾. ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ وفقكم الله وإيانا لما فيه خير البلاد والعباد جعلكم الله وإيانا من العاملين المخلصين لوجهه الكريم.

أبعث لسيادتكم وبصحبة هذه الرسالة نسخة من كتابي «ثم اهتديت» الذي ألفته بخصوص هذا الموضوع هدية مني إليكم عسى أن يجذّ لديكم القبول.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
المخلص محمد التيجاني السماوي التونسي

فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^١

إن هذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بالرجوع إلى أهل الذكر في كل ما أشكل عليهم حتى يعرفوا وجه الصواب لأن الله رشحهم لذلك بعدما علمهم، فهم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويل القرآن.

وقد نزلت هذه الآية لتعرف بأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وذلك في عهد النبوة، أما بعد النبي وحتى قيام الساعة فهم هؤلاء الخمسة المذكورين أصحاب الكساء يضاف إليهم الأئمة التسعة من ذرية الحسين الذين عينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عدة مناسبات وسماهم أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأهل الذكر، والراسخون في العلم الذين أورثهم الله سبحانه علم الكتاب.

وهذه الروايات ثابتة صحيحة ومتواترة عند الشيعة منذ عهد النبي (ص) وقد أخرجها بعض علماء أهل السنة ومفسروهم معترفين بنزولها في أهل البيت عليهم الصلاة والسلام. أذكر من هؤلاء على سبيل المثال:

1- الإمام الثعلبي في تفسيره الكبير في معنى هذه الآية من سورة النحل.

(1) سورة النحل آية 43 وسورة الأنبياء آية 7.

- 2- تفسير القرآن لابن كثير في جزئه الثاني الصفحة 570.
- 3- تفسير الطبري في جزئه الرابع عشر الصفحة 109.
- 4- تفسير الألوسي المسمى روح المعاني في جزئه الرابع عشر الصفحة 134.
- 5- تفسير القرطبي في جزئه الحادي عشر الصفحة 272.
- 6- تفسير الحاكم المسمى شواهد التنزيل في جزئه الأول الصفحة 334.
- 7- تفسير التستري المسمى إحقاق الحق في جزئه الثالث الصفحة 482.
- 8- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي الصفحة 51 و 140.

ولما كان أهل الذكر في ظاهر الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى كان لازماً علينا أن نوضح بأنهم ليسوا المقصودين من الآية الكريمة.

أولاً: لأن القرآن الكريم ذكر في العديد من الآيات بأنهم حرّفوا كلام الله وكتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً وشهد بكذبهم وتقليبهم الحقائق فلا يمكن والحال هذه أن يأمر المسلمين بأن يرجعوا إليهم في المسائل التي لا يعلمونها.

ثانياً: روى البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات باب لا يسأل أهل الشرك من الجزء الثالث صفحة 163.

عن أبي هريرة: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ»... الآية.

وهو يفيد عدم الرجوع إليهم في المسألة وتركهم وإهمالهم، لأن عدم

التصديق وعدم التكذيب ينفيان الغرض وهو السؤال الذي ينتظر الجواب الصحيح .

ثالثاً: روى البخاري في صحيحه من كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ من جزئه الثامن صفحة 208.

عن ابن عباس: قال يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم أحدث الأخبار بالله محضاً لم يُشَبَّ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم قالوا هو من عند الله ليشتروا بذلك ثمناً قليلاً أو لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم. فلا والله ما رأينا رجلاً منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم.

رابعاً: لو سألنا أهل الكتاب من النصارى اليوم فإنهم يدعون بأن عيسى هو إله واليهود يكذبونهم ولا يعترفون به حتى نبياً. وكلاهما يكذب بالإسلام ونبي الإسلام ويقولون عنه كذاب ودجال - لكل هذا لا يمكن أن يفهم من الآية بأن الله أمرنا بمسألتهم ولما كان أهل الذكر في ظاهر الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى. فإن هذا لا ينفي أنها نازلة في أهل بيت النبوة كما ثبت عند الشيعة والسنة من طرق صحيحة وبذلك يفهم منها أن الله سبحانه وتعالى أوثق علم الكتاب الذي ما فرط فيه من شيء إلى هؤلاء الأئمة الذين اصطفاهم من عباده ليرجع إليهم الناس في التفسير والتأويل وبذلك تضمن هدايتهم - إذا ما أطاعوا الله ورسوله.

ولأن الله سبحانه وجلت حكمته أراد أن يخضع الناس عامة إلى نخبة منهم اصطفاهم وعلمهم علم الكتاب لكي تسهل القيادة وتنظم أحوال الناس بذلك، فلو غاب هؤلاء عن حياة الناس لأصبح المجال مفتوحاً أمام المدّعين والجاهلين ولتركب كل واحد هواءه واضطربت أمور الناس مادام كل واحد يمكنه ادعاء الأعلمية.

ولأبَرِّهَنَ على هذا الرأي بعد اقتناعي بأنَّ أهل البيت هم أهل الذكر - فسأوردُ بعض الأسئلة التي ليس لها جواب عند أهل السنة والجماعة، أو أن لها جواباً ولكن متكلف لا يستند إلى حجة يقبلها الباحث المحقق. أما جوابها الحقيقي فهو عند هؤلاء الأئمة الأطهار الذين ملأوا الدنيا علماً ومعرفةً، وعملاً وصلاحاً.



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

الفصل الأول

فيما يتعلّق بالبُخاريّ جلّ جلاله

السؤال الأول: حول رؤية الله سبحانه وتجسيمه:

يقول الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: 103]. ﴿وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: 11]. ويقول لموسى لما طلب رؤيته، ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: 143].

فكيف تقبلون بالأحاديث المروية في صحيح البخاري وصحيح مسلم بأن الله سبحانه يتجلّى لخلقه ويروّنه كما يرون القمر ليلة البدر⁽¹⁾، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا في كلّ ليلة⁽²⁾ ويضع قدمه في النار فتمتلىء⁽³⁾ وأنه يكشف عن ساقه لكي يعرفه المؤمنون⁽⁴⁾ وأنه يضحك ويتعجب، وإلى غير ذلك من الروايات التي تجعل من الله جسماً متحركاً ومتحولاً، له يَدان ورجلان وله أصابع خمسة يضع على الأول منها السماوات وعلى الإصبع الثاني الأرضين، والشجر على الإصبع الثالث وعلى الرابع يضع الماء

(1) صحيح البخاري ج 7 ص 205 صحيح مسلم ج 1 ص 112.

(2) صحيح البخاري ج 2 ص 47.

(3) صحيح البخاري ج 8 ص 178 وص 187.

(4) صحيح البخاري ج 8 ص 182 صحيح مسلم ج 1 ص 115.

والثرى ويضع بقية الخلائق على الإصبع الخامس^(١) وله دار يسكن فيها
ومحمد يستأذن للدخول عليه في داره ثلاث مرات^(٢). تعالى الله عن ذلك
علواً كبيراً - سبحان ربك رب العزة عما يصفون.

والجواب على هذا عند أئمة الهدى ومصابيح الدجى هو التنزيه
الكامل لله سبحانه وتعالى عن المجانسة والمشاركة والتصوير والتجسيم
والتشبيه والتحديد.

يقول الإمام علي عليه السلام في ذلك:

والحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه
العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله
غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت
معدود ولا أجل ممدود...

فمن وصف الله سبحانه فقد قرئه، ومن قرئه فقد ثناه ومن ثناه فقد
جزاه، ومن جزاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد
حده، ومن حده فقد عدّه، ومن قال فيم فقد ضمّنه، ومن قال علام فقد
أخلى منه كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا
بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعجل لا بمعنى الحركات والآلة بصير إذ
لا منظور إليه من خلقه^(٣).

وإنّي ألفت نظر الباحثين من الشباب المثقفين إلى الكنوز التي تركها
الإمام علي عليه السلام والتي جمعت في نهج البلاغة ذلك السفر القيم
الذي لا يتقدمه إلا القرآن والذي بقي مع الأسف مجهولاً لدى أغلبية الناس
نتيجة الإعلام والإرهاب والحصار المضروب من قبل الأمويين والعباسيين

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٣٣.

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٨٣ صحيح مسلم ج ١ ص ١٢٤.

(٣) نهج البلاغة للإمام علي: شرح محمد عبده ج ١ الخطبة الأولى.

على كل ما يتصل بعلي بن أبي طالب.

ولست مبالغاً إذا قلت بأن في نهج البلاغة كثيراً من العلوم والنصائح التي يحتاجها الناس على مرّ العصور، وفي نهج البلاغة علم الأخلاق وعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد وإشارات قيمة في علم الفضاء والتكنولوجيا إضافة إلى الفلسفة والسلوك والسياسة والحكمة.

وقد أثبت ذلك شخصياً في الأطروحة التي قدمتها إلى جامعة السربون والتي نُوقِشت على مواضيع أربعة اخترتها من نهج البلاغة وحصلت من خلالها على شهادة الدكتوراه. فيا ليت المسلمين يولون نهج البلاغة عناية خاصة فيبحثون فيه كلّ الأطروحات وكلّ النظريات فهو بحر عميق كلما غاص فيه الباحث استخرج منه اللؤلؤ والمرجان.



تعليق:

مركز تحقيقات كميّات علوم إسلامي

هناك فرق واضح بين العقيدتين:

عقيدة أهل السنة والجماعة التي تقول بالتجسيم وتجعل من الله سبحانه وتعالى جسماً وشكلاً يُرى وتصوره وكأنّه إنسان فهو يمشي وينزل ويحوي جسمه داراً إلى غير ذلك من الأشياء المنكرة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وعقيدة الشيعة الذين ينزهون الله عن المشاكلة والمجانسة والتجسيم ويقولون باستحالة رؤيته في الدنيا وفي الآخرة وأعتقد شخصياً بأن الروايات التي يحنّج بها أهل السنة والجماعة كلها من دسّ اليهود في زمن الصحابة لأن كعب الأحبار اليهودي الذي أسلم في عهد عمر بن الخطاب هو الذي أدخل هذه المعتقدات التي يقول بها اليهود، عن طريق بعض البسطاء من الصحابة أمثال أبي هريرة ووهب بن منبه فأغلب هذه الروايات مروية في البخاري ومسلم عن أبي هريرة وقد تقدم في بحث سابق كيف أن أبا هريرة

لا يفرق بين أحاديث النبي وأحاديث كعب الأحبار حتى ضربه عمر بن الخطاب ومنعه من الرواية في قضية خلق الله السماوات والأرض في سبعة أيام.

وما دام أهل السنة والجماعة يثقون في البخاري ومسلم ويجعلون منهما أصح الكتب وما دام هؤلاء يعتمدون على أبي هريرة حتى أصبح عمدة المحدثين وأصبح عند أهل السنة راوية الإسلام فلا يمكن والحال هذه أن يغير أهل السنة والجماعة عقيدتهم إلا إذا تحرروا من التقليد الأعمى، ورجعوا إلى أئمة الهدى وعتره المصطفى وباب مدينة العلم الذي منه يؤتى.

وهذه الدعوة لا تختص بالكبار والشيخوخ ولكن الشباب المثقف من أهل السنة والجماعة كذلك ومن واجبه أن يتحرر من التقليد الأعمى ويتبع الحجة والدليل والبرهان.

السؤال الثاني: حول العدل الإلهي والجبر

يقول الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: 23]. ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة: 256]. ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ [الزلزلة: 8]. ﴿إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر﴾ [الغاشية: 22]. فكيف تقبلون بالأحاديث المروية في صحيح البخاري وصحيح مسلم بأن الله سبحانه قدّر على عباده أفعالهم قبل أن يخلقهم فقد روى البخاري في صحيحه^(١) قال: احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة. قال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى ثلاثاً...

(١) صحيح البخاري ج 7 ص 214 كتاب القدر باب تحتاج آدم وموسى صحيح مسلم ج 8 ص 49

كما روى مسلم في صحيحه^(١) قال: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقةً مثل ذلك ثم يكون في ذلك مُضْغَةً مثل ذلك ثم يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَعَمَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَأَنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا.

كما روى مسلم في صحيحه^(٢) عن عائشة أم المؤمنين قالت: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنَازَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَوَّبِي لِهَذَا عَصْفُورٍ مِنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السَّوَةَ وَلَمْ يَدْرِكْهُ، قَالَ: أَوْغَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ.

وروى البخاري في صحيحه^(٣) قال رجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْعَرَفُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ: كُلُّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَوْ لِمَا يُسِيرُ لَهُ.

سبحانك زبنا وبحمدك تباركت وتعاليت عن هذا الظلم علواً كبيراً - فكيف نصدق بهذه الأحاديث المناقضة لكتابك العزيز الذي قلت فيه وقولك الحق:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسُ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: 44]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: 40]. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49]. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 117].

(١) صحيح مسلم ج ٨ ص ٤٤ كتاب القدر باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه صحيح البخاري ج ٧ ص ٢١٠.

(٢) صحيح مسلم ج ٨ ص ٥٥ كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة.

(٣) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢١٠ كتاب القدر باب جفت القلم على علم الله.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: 70 - العنكبوت: 40 - الزم: 9]. ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: 76]. ﴿فَإِنَّكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: 51]. ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [نصت: 46]. وكما قال في حديث قدسي «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» فكيف يصدق مسلم آمن بالله وبعدائه ورحمته أن الله سبحانه خلق الخلق وحكم على بعضهم بالجنة وعلى الآخرين بالنار حسب اختياره هو، وقدر لهم أعمالهم فكل ميسر لما خلق له. على حسب هذه الروايات المعارضة للقرآن الكريم، وللفطرة التي فطر الله الناس عليها، وللعقل والوجدان ولأبسط حقوق الإنسان؟

كيف نؤمن بهذا الدين الذي يحجر العقول على أن هذا الإنسان هو دمية تُحرَّكها أيدي القدر كيف شاءت لتلقي بها بعد ذلك في التنوير - هذا الاعتقاد الذي يمنع العقول من الخلق والابتكار والإبداع والتطور والمنافسة التي تأتي بالأعاجيب ويبقى الإنسان جامداً راضٍ بما هو فيه وبما عنده بدعوى أنه ميسر لما خلق له.

كيف نقبل هذه الروايات التي تصادم العقول السليمة وتصور لنا بأن الله سبحانه هو خالق جبار قوي قاهر وله أن يخلق عباده الضعفاء ليزج بهم في نار جهنم لا لشيء إلا لأنه يفعل ما يشاء، وهل يسمي العقلاء هذا الإله حكيماً أو رحيماً أو عادلاً؟

كيف لو تحدثنا مع المثقفين والعلماء من غير المسلمين وعرفوا بأن ربنا على هذه الصفات وأن ديننا قد حكم على الناس قبل ولادتهم بالشقاء، فهل سيقبلون الإسلام ويدخلون في دين الله أفواجا؟؟

سبحانك إن هذا زور من القول ركزه الأمويون وروجوا له لحاجة في نفس يعقوب، والباحث يعرف سر ذلك. وهو زور من القول لأنه يعارض

كلامك، وحاش رسولك أن يتقول عليك بما يُناقضُ وَحْيُكَ الذي أوحيت إليه. وقد ثبت أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا جاءكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافق الكتاب فخذوه وما خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار».

وكل هذه الأحاديث وأمثالها كثيرة تعارض كتاب الله وتعارض العقل فليضرب بها عرض الجدار ولا يُلْتَفَتُ إليها وإن كان أخرجها البخاري ومسلم فما كانا معصومين عن الخطأ. ويكفينا دليلاً واحداً للرد على هذا الادعاء الباطل، هو بعثة الأنبياء والمرسلين من قبل الله إلى خلقه، وعلى طول التاريخ البشري ليصلحوا مفاصد العباد ويوضحوا لهم الصراط المستقيم ويعلموهم الكتاب والحكمة ويبشروهم بالجنة إن كانوا صالحين وينذروهم من عذاب الله في النار إن كانوا مُفسدين.

ومن عدالة الله سبحانه في خلقه ورحمته بهم أنه لا يُعَذَّبُ إلا من بعث إليه رسولاً وأقام عليه الحجة قال تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: 15].

فإذا كانت هذه الروايات التي أخرجها البخاري ومسلم والتي تقول بأن الله كتب على عباده أعمالهم قبل أن يخلقهم وحكم على البعض منهم بالجنة وعلى البعض بالنار، كما قدمنا سابقاً وكما يؤمن بذلك أهل السنة والجماعة. أقول إن كان هذا صحيحاً، فإن إرسال الرسل وإنزال الكتب يصبح ضرباً من العبث! - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وما قدرُوا الله حق قدره - فما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم.

﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظُلماً للعالمين﴾ [آل عمران: 108]. والجواب على هذا عند أئمة الهدى ومصابيح الدجى ومنار الأمة، هو تنزيه الله سبحانه عن الظلم والعبث.

فلنستمع إلى باب مدينة العلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يشرح للناس هذا الاعتقاد الذي بقي لغزاً عند بعض المسلمين الذين تركوا الباب يقول عليه السلام (لَمَّا سَأَلَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ: أَكَانَ مَسِيرَنَا إِلَى الشَّامِ بِقِضَاءِ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرًا؟):

«وَيُحَكُّ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قِضَاءً لَازِمًا وَقَدَرًا حَاتِمًا، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ. إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيرًا، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا، وَكَلَّفَ يَسِيرًا وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا، وَلَمْ يُغْصَصْ مَغْلُوبًا، وَلَمْ يُطْعَمْ مُكْرِهًا، وَلَمْ يُرْسَلِ الْأَنْبِيَاءُ لِعِبَاءٍ، وَلَمْ يُنْزَلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ غَبْثًا، وَلَا خُلِقَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ»^(١). صدق الإمام (ع) فويل للذين يُنسبون العيب والظلم لله من عذاب اليم.

والجدير بالذكر والحق يقال بأن أهل السنة والجماعة ينزهون الله عن العيب والظلم فإذا ما سألت أحدهم فسوف لن يُنسب الظلم لجلال الله سبحانه، ولكنه سوف يجد نفسه متخرجاً لرفض أحاديث أخرجها البخاري ومسلم ويعتقدُ ضمنيًا أنها صحيحة، ولذلك تراه عندما تجادله بالمنطق المعقول، يدعي بأن ذلك لا يُسمى ظلمًا عند الله إذ أنه المخلوق، وللمخلوق أن يفعل في مخلوقاته ما يشاء! فهو لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون وعندما تسأله: كيف يحكم الله على عبدٍ بالنار قبل خلقه لأنه كتب عليه الشقاء، ويحكم على آخر بالجنة قبل خلقه لأنه كتب عليه السعادة؟ أليس في ذلك ظلم للثنين؟ لأن الذي يدخل الجنة لا يدخلها بعمله وإنما باختيار الله له، وكذلك الذي يدخل النار لا يدخلها بما اقترفه من ذنوبه وإنما بما قَدَّرَهُ الله عليه. أليس في ذلك ظلم، وهو يناقض القرآن؟ فسُجِّبك «بأن الله فعَّال لما يُريد». فلا تفهم من موقفه المتناقض شيئاً، وهذا بديهي إذ أنه يُنزل

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص 673 - 674 من الجزء الرابع.

البخاري ومسلم بمنزلة القرآن ويقول أصح الكتب بعد كتاب الله البخاري ومسلم. وفي البخاري ومسلم عجائب وغرائب ومصائب ابتلي بها المسلمون وقد نجح الأمويون ومن بعدهم العباسيون نجاحاً كبيراً في بث بدعهم وعقائدهم التي تتماشى وسياساتهم العقيمة وبقيت آثارهم حتى اليوم إذ يعتبرها المسلمون أهرز وأعظم تراث لأنه جمع الأحاديث النبوية الصحيحة على حدّ زعمهم ولو يعلم المسلمون مقدار ما كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل أغراضهم السياسية لما صدّقوا بتلك الأحاديث وخصوصاً منها المتناقض مع كتاب الله.

ولأن القرآن الكريم تكفل الله بحفظه ولأنه كان محفوظاً عند الصحابة وكانوا يعرضونه على النبي لذلك لم يتمكنوا من تحريفه وتبديله فعمدوا إلى السنة المطهرة فوضعوا ما شاؤوا لمن شاؤوا، وبما أنهم كانوا أعداء لأهل البيت حفظة القرآن والسنة، اختلفوا لكل حادثة حديث نسبوه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. وموهوا على المسلمين بأن هذه الأحاديث هي أصح من غيرها فقبلها الناس على حسن نية وهم يتداولونها بالوراثة جيلاً بعد جيل. وللإنصاف أقول بأن الشيعة هم الآخرون ضحية الدس والتويه في كثير من الأحاديث التي تُنسب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو لأحد الأئمة الأطهار سلام الله عليهم. فهذا الدس والتويه لم يسلم منه المسلمون سنة وشيعة على مر التاريخ ولكن الشيعة يمتازون على أهل السنة والجماعة بثلاثة أشياء ميّزتهم على غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى وأبرزت عقائدهم سليمة ومتفقة مع القرآن والسنة والعقل، وهذه الأشياء الثلاثة هي:

أولاً: انقطاعهم لأهل البيت النبوي فهم لا يقدمون عليهم أحداً وكلنا يعلم من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ثانياً: عدد أئمة أهل البيت وهو اثني عشر إماماً امتدت حياتهم

وآثارهم طوال ثلاثة قرون. وقد وافق بعضهم بعضاً في كل الأحكام والأحاديث ولم يختلفوا في شيء مما جعل شيعتهم وأتباعهم متعلمين في كل مجالات العلم والمعرفة بوضوح وبدون تناقض في العقائد أو في غيرها.

ثالثاً: اعترافهم وإقرارهم بأن ما لديهم من الكتب يحتمل الخطأ والصواب وليس عندهم كتاب صحيح إلا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويكفيك أن تعرف مثلاً أن أعظم كتاب عندهم وهو «أصول الكافي» يقولون بأن فيه آلاف الأحاديث المكذوبة، ولذلك تجد علماءهم ومجتهداتهم دائبين على البحث والتنقيب فلا يأخذون منه إلا الثابت بالمتن والسند وما لا يتعارض مع القرآن والعقل.

أما أهل السنة والجماعة فقد ألزموا أنفسهم بكتب سَمَوها الصحاح الستة باعتبار أن كل ما فيها صحيح وأغلبهم يتناقلون هذا الرأي بالوراثه بدون بحث ولا تمحيص، وإلا فإن كثيراً من الأحاديث التي رُويت في هذه الكتب لا تقوم على دليل علمي وفيها الكفر الصريح وبما يتناقض والقرآن وأخلاق الرسول وأفعاله والخط من كرامته ويكفي الباحث أن يقرأ كتاب الشيخ المصري محمود أبو رية «أضواء على السنة المحمدية» ليعرف ما هي قيمة الصحاح الستة والحمد لله أن كثيراً من الشباب الباحث اليوم تحرر من تلك القيود وأصبح يُفرق بين الغث والسمين، بل حتى الشيوخ المتعصبين للصحاح أصبح الكثير منهم اليوم يُنكرها لا لأنه ثبت لديه ضعف بعض الأحاديث فيها ولكن لأنه وجد فيها حجة الشيعة التي يقولون بها سواء في الأحكام الفقهية أو في العقائد الغيبية، فما من حكم أو عقيدة يقول بها الشيعة إلا ولها وجود فعلي في أحد الصحاح الست لدى أهل السنة والجماعة.

وبالمقابل قال لي بعض المتعصبين ما دُمت معتقدون بأن أحاديث

البخاري ليست صحيحة فلماذا تحتجّون بها علينا؟ أجبت: ليس كل ما في البخاري صحيح وليس كل ما فيه مكذوب فالحق حقّ والباطل باطل وعلينا أن نغربل ونُصنّف.

قال: هل عندك مِجْهَرٌ خاصّ تعرف به الصحيح من المكذوب؟ قلت: ليس عندي أكثر ممّا عندك، ولكن ما اتَّفَق عليه السنة والشيعة فهو صحيح لأنه ثبت صحّته عند الطرفين ونُلزِمهم به كما ألزَموا أنفسهم. وما اختلفوا فيه حتّى لو كان صحيحاً عند أحدهم فلا يُلزم الطرف الثاني بقبوله، كما لا يُلزم الباحث الحيادي قبوله والاحتجاج به لأنه دوريّ.

وأضربُ لذلك مثلاً واحداً حتّى لا يبقى هناك إشكال في هذا الموضوع وحتّى لا يُعاد نفس الانتقاد بأساليب متعدّدة.

* يدّعي الشيعة بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم نصّب عليّاً خليفة للمسلمين في غدير خم يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة بعد حجة الوداع وقال بالمناسبة:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». فهذه الحادثة وهذا الحديث نقله كثير من علماء أهل السنة والجماعة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم. فيمكن للشيعة عندئذ أن يحتجّوا به على أهل السنة والجماعة.

* ويدّعي أهل السنة والجماعة بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم عبّأ أبا بكر ليُصلّي بالناس في مرض موته وقال بالمناسبة: «ويا أبا الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر».

فهذه الحادثة وهذا الحديث لا وجود له في كتب الشيعة وإنّما يروون بأنّ رسول الله بعث إلى عليّ، فبعثت عائشة إلى أبيها ولمّا عرف رسول الله ذلك قال لعائشة: «إنك لصويحبات يوسف» وخرج هو ليُصلّي بالناس وزحزح أبا بكر.

فلا يمكن وليس من الإنصاف أن يحتج أهل السنة والجماعة على الشيعة بما انفردواهم به وخصوصاً إذا كانت الروايات متناقضة ويكذبها الواقع والتاريخ - لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عين أبا بكر ليكون ضمن جيش أسامة وتحت إمرته وقيادته ومن المعلوم أن أمير الجيش في السرية هو إمام الصلاة، وقد ثبت تاريخياً بأن أبا بكر لم يكن موجوداً في المدينة عند وفاة الرسول وكان بالسَّحَر يتجهز للخروج مع أميره وقائده أسامة بن زيد الذي لم يبلغ من العمر إلا سبعة عشر عاماً - فكيف والحال هذه يمكن لنا أن نصدق بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عينه لإمامة الصلاة؟ اللهم إلا إذا صدقنا بقول عمر بن الخطاب بأن رسول الله يهجر ولا يدر ما يفعل ولا ما يقول، وهذا أمر لا سبيل إليه فهو مستحيل ولا يقول به الشيعة.

فعلى الباحث هنا أن يتقي الله في بحثه ولا تأخذه العاطفة فيميل عن الحق ويتبع الهوى فيفضل عن سبيل الله، إنما واجبه أن يخضع للحق ولو كان الحق مع غيره، ويحرر نفسه من الرواسب والمواقف والأناية فيكون من الذين امتدحهم الله عز وجل في قوله: ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب﴾ (الزمر: 18).

فليس من المعقول إذاً أن يقول اليهود إن الحق عندنا ويقول النصارى إن الحق عندنا ويقول المسلمون إن الحق عندنا وهم مختلفون في العقائد والأحكام!

فلا بدّ للباحث أن يُمَحِّص أقوال الديانات الثلاثة ويقارن بعضها ببعض حتى يتبين له الحق.

وليس من المعقول أيضاً أن يقول أهل السنة بأن الحق معهم ويقول الشيعة بل الحق عندهم وحدهم وهم يختلفون في بعض المفاهيم والأحكام! فالحق واحد لا يتجزأ.

فلا بد للباحث أن يتجرد ويُخصّص أيضاً أقوال الطرفين ويقارن بعضها ببعض ويُحكّم عقله حتى يتبين له الحق، وذلك هو نداء الله سبحانه لكل فرقة تدّعي الحق؛ إذ يقول: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111].

فليست الأكثرية بدالة على الحق؛ بل العكس هو الصحيح قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ بَضَلُواكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 116]. وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103]. مثلما أن التقدّم الحضاري والتكنولوجي والثراء ليس دليلاً على أن الغرب على حق والشرق على باطل قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: 55].

قول اهل الذکر في الله تعالى

يقول الإمام علي: الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودلت عليه أعلام الظهور. وامتنع على عين البصير. فلا عين من لم يره تُنكره. ولا قلب من أثبتّه يبصره، سبق في العلوّ فلا شيء أعلى منه، وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه. فلا استعلاؤه بأعذه عن شيء من خلقه، ولا قرُبه ساواهم في المكان به. لم يُطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود. تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علواً كبيراً.

والحمد لله الذي لم يسبق له حالٌ حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً. ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً. كل مسمّى بالوحدة غيره قليل، وكل عزيز غيره ذليل. وكل قويّ غيره ضعيف، وكل مالك غيره مملوك، وكل عالم غيره متعلّم، وكل قادر غيره يقدر ويمعزّز، وكل سميع غيره يسمّ عن لطيف الأصوات ويصمّه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها، وكل بصير

غيره يعنى عن خفي الألوان ولطيف الأجسام، وكل ظاهر غيره باطن، وكل باطن غيره ظاهر. لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان، ولا استعانة على نذ مشاوير، ولا شريك مكائير ولا ضد منافير، ولكن خلّاق مربوبون وعباد داخرون. لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن. ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن. لم يؤدّ خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ، ولا وقف به عجز عما خلق، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر. بل قضاء متقن وعلم محكم وأمر مبرم، المأمول مع النقم والمرهوب مع النقم. ليس لأوليته ابتداء ولا لأزليته انقضاء، هو الأول لم يزل والباقي بلا أجل. خرت له الجباه ووحدته الشفاء، لا تقدّره الأوهام بالحدود والحركات، ولا بالجوارح والأدوات، لا يقال له متى، ولا يضرب له أمد بحتى الظاهر لا يقال ممّا، والباطن لا يقال فيما، لا شبح فيتقضى ولا محجوب فيحوى. تعالى الله عما ينحله المحدودون من صفات الأقدار ونهايات الأقطار وتائل المساكن وتمكن الأماكن، فالحدّ لخلق مضروب وإلى غيره منسوب. لم يخلق الأشياء من أصول أزلية ولا أوائل أبدية، بل خلق ما خلق فأقام حده، وصور ما صور فأحسن صورته ليس لشيء منه امتناع. ولا له بطاعة شيء انتفاع علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين، وعلمه بما في السماوات العلّى كعلمه بما في الأرضين السفلى.

الفصل الثاني

فيما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم

السؤال الثاني: حول عصمة الرسول؟

يقول الله سبحانه وتعالى في حق نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿والله يعضدك من الناس﴾ [المائدة: 67]. وقال أيضاً ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم: 3]. وقال: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: 7]. وتدل هذه الآيات دلالة واضحة على عصمته المطلقة في كل شيء. وتقولون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوم فقط في تبليغ القرآن وما عدا ذلك فهو كسائر البشر يُخطئ ويصيب وتستدلون على خطئه في عدة مناسبات بأحداث تروونها في صحاحكم!

فإذا كان الأمر كذلك فما هي حجَّتكم وما هو دليلكم في ادِّعائكم التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ما دامت هذه السنة عندكم غير معصومة ويمكن فيها الخطأ؟

وعلى هذا الأساس فالتمسك بالكتاب والسنة على حسب معتقداتكم لا يأمن من الضلالة، وخصوصاً إذا عرفنا بأن القرآن كله مفسر ومبين بالسنة النبوية. فما هي حجَّتكم في أن تفسيره وتبينه لم يكن مخالفاً لكتاب الله تعالى؟

قال لي أحدُهم معبراً عن هذا الرأي: لقد خالف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن في كثير من الأحكام حسب ما تقتضيه المصلحة.

- قلتُ متعجباً: أعطني مثلاً واحداً على مخالفته.

- أجاب: يقول القرآن ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: 2]. بينما حكم الرسول على الزاني والزانية بالرجم وهو غير موجود في القرآن.

- قلتُ: إنما الرجم على المحصن إذا زنى، ذكراً كان أم أنثى والجلد على الأعزب إذا زنى ذكراً كان أم أنثى.

- قال: في القرآن ليس هناك أعزب أو مُحصن لأن الله لم يخص بل أطلق لفظ الزانية والزاني بدون تخصيص.

- قلتُ: إذاً على هذا الأساس فكل حكم مطلق في القرآن خصصه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهو مخالف للقرآن؟ فأنت تقول بأن الرسول خالف القرآن في أكثر أحكامه؟

- أجاب متحرجاً: القرآن وحده معصوم لأن الله تكفل بحفظه أما الرسول فهو بشر يخطئ ويصيب كما قال القرآن في حقّه: ﴿قُلْ مَا أَنَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾!

- قلتُ: فلماذا تُصلي الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء وقد أطلق القرآن لفظ الصلاة بدون تخصيص لأوقاتها؟

- أجاب: القرآن فيه ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ والرسول هو الذي بين أوقات الصلاة.

- قلتُ: فلماذا تُصدّقه في أوقات الصلاة وتردّ عليه في حكم رجم الزاني؟

وحاول جهده أن يُقنّني بفلسفات عقيمة متناقضة لا تقوم على دليل

عقلي ولا منطقي كقوله: بَأَنَّ الصَّلَاةَ لَا يُمْكِنُ الشُّكُّ فِيهَا لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَهَا طِيلَةَ حَيَاتِهِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، أَمَّا الرَّجْمُ فَلَا يُمْكِنُ الاطْمِئْنَانُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْهُ فِي حَيَاتِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ أَوْ مَرَّتَيْنِ - وَكَقَوْلِهِ بَأَنَّ الرَّسُولَ لَا يُخْطِئُ عِنْدَمَا يَأْمُرُهُ اللَّهُ بِأَمْرٍ. أَمَّا عِنْدَمَا يَحْكُمُ بِفِكْرِهِ فَهُوَ لَيْسَ مَعْصُومٌ، وَلِذَلِكَ كَانَ الصَّحَابَةُ يَسْأَلُونَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ، هَلْ هُوَ مِنْ عِنْدِهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَإِذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ امْتَثَلُوا بِدُونِ نِقَاشٍ، وَإِذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِي، عِنْدَ ذَلِكَ يُنَاقِشُونَهُ وَيُجَادِلُونَهُ وَيَنْصَحُونَهُ وَيَتَقَبَّلُ نَصَائِحَهُمْ وَأَرَآءَهُمْ، وَقَدْ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ أحياناً مُوَافِقاً لِأَرَآءِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَمُخَالَفاً لِرَأْيِهِ كَمَا فِي قَضِيَّةِ أُسْرَى بَدْرٍ، وَقَضَايَا أُخْرَى مَشْهُورَةٌ.

وَحَاوَلْتُ بِدَوْرِي إِقْنَاعَهُ وَلَكِنْ بَدُونِ جَدْوَى - لِأَنَّ عُلَمَاءَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مُقْتَنِعُونَ بِذَلِكَ وَصَحَّاحُهُمْ مَشْهُونَةٌ بِمِثْلِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي تَخْدِشُ فِي عَصْمَةِ الرَّسُولِ وَتَجْعَلُ مِنْهُ شَخْصاً أَقْلَ مُسْتَوًى مِنَ الرَّجُلِ الذَّكِيِّ، أَوْ الْقَائِدِ الْعَسْكَرِيِّ، أَوْ حَتَّى شَيْخِ الطَّرِيقَةِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ، وَلَسْتُ مُبَالِغاً إِذَا قُلْتُ أَقْلَ مُسْتَوًى حَتَّى مِنَ الرَّجُلِ الْعَادِيِّ، فَإِذَا مَا قَرَأْنَا بَعْضَ الرِّوَايَاتِ فِي صَحَّاحِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَتَبَيَّنُ لَنَا بَوْضُوحٌ إِلَى أَيِّ مَدَى وَصَلَ التَّأْثِيرُ الْأُمَوِيُّ فِي عُقُولِ الْمُسْلِمِينَ، مِنْ عَهْدِهِمْ وَبَقِيَ أَثَرُهُ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

وَإِذَا مَا بَحَثْنَا الْغَرَضَ أَوْ الْهَدَفَ مِنْ ذَلِكَ فَسَوْفَ نَخْرُجُ بِنتِيْجَةٍ حَتْمِيَّةٍ وَمَرَّةٍ أَلَا وَهِيَ: أَنَّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَكَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِي عَهْدِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ، لَمْ يَعْتَقِدُوا يَوْماً مِنَ الْآيَامِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ، هُوَ مَبْعُوثٌ بِرِسَالَةٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَوْ هُوَ نَبِيٌّ اللَّهِ حَقّاً. وَأَغْلَبَ الظَّنُّ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ بِأَنَّهُ كَانَ سَاجِراً وَقَدْ تَغَلَّبَ عَلَى النَّاسِ وَشَيْدَ مَلِكِهِ عَلَى حِسَابِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ وَبِالْخُصُوصِ الْعَبِيدَ الَّذِينَ آيَدُوا دَعْوَتَهُ وَنَاصَرُوهُ. وَلَيْسَ هَذَا مَجْرَدُ ظَنٍّ فَإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَكِنْ عِنْدَمَا نَقْرَأُ فِي كُتُبِ التَّأْرِيخِ لِنَتَعَرَّفَ عَلَى شَخْصِيَّةِ مَعَاوِيَةَ وَأَحْوَالِهِ. وَمَا فَعَلَهُ طِيلَةَ حَيَاتِهِ

خصوصاً مدة حكمه فالظن يصبح حقيقة لا مفر منها.

فكلنا يعرف من هو معاوية. ومن هو أبوه أبو سفيان ومن هي أمه هند فهو الطليق ابن الطليق الذي قضى شبابه في رحاب أبيه وفي تعبئة الجيوش لمحاربة رسول الله والقضاء على دعوته بكل جهوده حتى إذا ما فشلت جميع محاولاته وتغلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وعلى أبيه استسلم للأمر الواقع في غير قناعة، ولكن الرسول لكرمه ولعظمة خلقه عفى عنه وسماه الطليق، وبعد موت صاحب الرسالة حاول أبوه إثارة الفتنة والقضاء على الإسلام وذلك عندما جاء في الليل للإمام عليّ يحرّضه على الثورة ضد أبي بكر وعمر ويمنيه بالمال والرجال ولكن الإمام علي سلام الله عليه عرف قصده فطرده وبقي يعيش حاقداً على الإسلام والمسلمين طيلة حياته حتى آلت الخلافة إلى ابن عمه عثمان عند ذلك أظهر ما في نفسه من كفر ونفاق فقال: تلقفوها تلقف الكرة يا بني أمية فوالذي يحلف به أبو سفيان ليس هناك جنة ولا نار^(١). وأخرج ابن عساکر في تاريخه من الجزء السادس في صفحة 407 عن أنس أن أبا سفيان دخل على عثمان بعدما عمي فقال: هل هنا أحد؟ فقالوا: لا. فقال: اللهم اجعل الأمر أمر جاهلية والملك ملك غاصبية واجعل أوتاد الأرض لبني أمية.

وأما ابنه معاوية وما أدراك ما معاوية فحدث ولا حرج وما فعله بأمة محمد (ص) طيلة ولايته في الشام ثم بعد تسلطه على الخلافة بالقهر والقوة وما ذكره المؤرخون من هتكه للقرآن والسنة وتعديه كل الحدود التي رسمتها الشريعة والأعمال التي يتنزه القلم عن كتابتها واللسان عن ذكرها لقبحها وفحشها، وقد ضربنا عنها صفحاً مُراعاةً لعواطف إخواننا من أهل السنة والجماعة والذين أشربوا في قلوبهم حب معاوية والدفاع عنه.

ولكن لا يفوتنا أن نذكر هنا نفسيات الرجل وعقيدته في صاحب

(١) تاريخ الطبري ج 11 ص 357 مروج الذهب ج 1 ص 440.

الرسالة فهي لا تبعد عن عقيدة أبيه وقد رضعها من حليب أمة آكلة الأكباد والمشهورة بالعهر والفجور^(١) كما ورثها عن أبيه شيخ المنافقين الذي ما عرف الإسلام يوماً إلى قلبه سبيلاً.

وكما عرفنا نفسية الأب فما هو الابن يعبر بنفس التعبير ولكن على طريقته في الذهاء والنفاق.

فقد روى الزبير بن بكار عن مطوف بن المغيرة بن شعبة الثقفي قال: دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله ويعجب ممّا يرى منه. إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء فرأيتَه مُغْتَمّاً فانتظرتُه ساعة وظننتُ أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا فقلتُ له: ما لي أراك مُغْتَمّاً منذ الليلة؟

قال: يا بني إني جئتُ من عند أخبتِ الناس، قلتُ له: وما ذاك، قال: قلتُ لمعاوية وقد خلوتُ به: إنك قد بلغتُ مُنَاكَ يا أمير المؤمنين، فلو أظهرتَ عدلاً، وبسطتَ خيراً، فإنك قد كبرتَ ولو نظرتَ إلى إخوتك من بني هاشم فوصلتَ أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. وإن ذلك ممّا يبقى لك ذكره وثوابه. فقال لي: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر: ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعمل به فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به، وإن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرّات: أشهد أن محمداً رسول الله: فأي عمل وأي ذكر يبقى مع

(١) الزمخشري في ربيع الأبرار ج 3 باب القرايات والانساب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1 ص 111.

هذا لا أم لك؟ والله إلا دفناً دفناً^(١).

خسئت وخبت وأخزاك الله يا من أردت دفن ذكر رسول الله بكلّ جهودك وأنفقت في سبيل ذلك كلّ ما تملكه ولكنّ جهودك كلّها باءت بالفشل لأن الله سبحانه لك بالمرصاد وهو القائل لرسوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ فلست أنت بقادر على دفن ذكره الذي رفعه ربّ العزّة والجلالة، فكذّ كيدك واجمع جمعك فأنّت غير قادر على إطفاء نور الله بفيك، والله متمّ نوره رغم نفاقك فهاقد ملكت الأرض شرقاً وغرباً وما إن هلكت حتّى هلك ذكرك إلا أن يذكرك ذاكر بأفعالك الشنيعة التي أردت بها هدم الإسلام، كما جاء ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢). وبقي ذكر محمد بن عبد الله أخي هاشم عبر القرون والأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كلّما ذكره ذاكر إلا صلى عليه وعلى آله رغم أنفك وأتوف بني أميّة الذين حاولوا بقباداتك وزعامتك القضاء عليهم وعلى فضائلهم فما زادهم ذلك إلا رفعةً وسمواً وسوف تلقون الله يوم القيامة غاضباً عليكم لما أحدثتموه في شريعته فيجزبكم بما تستحقون.

وإذا ما أضفنا إلى هؤلاء فرخهم يزيد بن معاوية الماجن الفاسق شارب الخمر والمجاهر بالفسق والفجور فسوف نجده هو الآخر يحمل نفس العقيدة التي ورثها عن أبيه معاوية وجده أبي سفيان كما ورث عنهم الخسة والدناءة وشرب الخمر ومعاقرة العاهرات ولعب القمار ولو لم يرث كل هذه الصفات البشعة لما أورثه أبوه معاوية الخلافة وسلطه على رقاب المسلمين وكلهم يعرفوه حق معرفته وفيهم فضلاء الصحابة كالحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة ولا أشك في أن معاوية قضى حياته وأنفق ماله الذي

(١) كتاب الموفقيات ص 576 طبع وزارة الأوقاف ببغداد 1392 - تاريخ المسعودي مروج الذهب ج 2 ص 341 وشرح النهج لابن أبي الحديد ج 5 ص 130 - الغدير للعلامة الأميني ج 10 ص 283.

(٢) كتاب صفين ص 44.

اكتسبه من حرام في سبيل القضاء على الإسلام والمسلمين الحقيقيين، ولقد رأينا كيف كان يريد دفن ذكر محمد (ص) وما قدر على ذلك فأشعلها حرباً على ابن عمه علي وصي النبي حتى إذا ما قضى عليه ووصل للخلافة بالقهر والغش والنفاق سنَّ سُنَّته المشؤومة وأمر عماله في كلِّ الأقطار بلعن علي وأهل البيت النبوي على كل المنابر وفي كل صلاة وهو بذلك يريد سب ولعن رسول الله^(١) ولما أعيته الحيل وأدركه الأجل ولم يصل إلى مأربه إنتدب ابنه وولاه على الأمة ليواصل ذلك المخطط الذي رسمه هو وأبوه أبو سفيان ألا وهو القضاء على الإسلام وإعادة الأمر إلى الجاهلية.

فاستلم ذلك الماجن الفاسق الخلافة وشمر سواعده للقضاء على الإسلام حسب رغبة أبيه فبدأ باستباحة مدينة الرسول (ص) لجيشه الكافر ففعل فيها ما فعل طيلة ثلاثة أيام وقتل فيها عشرة آلاف من خيرة الصحابة وثنى بعد ذلك بقتل سيد شباب أهل الجنة وريحانة النبي (ص) وكل أهل البيت النبوي وهم أقمار الأمة حتى أخذت حرائر أهل البيت سبايا، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولو أن الله لم يقصف عمره لتمكّن ذلك الوغد اللثيم من القضاء على الإسلام والمسلمين. والذي يهتمنا في هذا البحث هو الكشف عن عقيدته هو الآخر كما كشفنا عن عقيدة أبيه وجده.

فقد حدّث المؤرخون^(٢) أنه بعد وقعة الحرّة المشؤومة وقتل عشرة آلاف من خيرة المسلمين سوى النساء والصبيان، واقتصر فيها نحو ألف بكر، وحبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج، ثم بايع من بقي من

(١) أخرج ابن عبد ربه في العقد الفرید ج ٢ ص ٣٠١ قال إن معاوية لعن علي علي المنبر وكتب إلى عماله أن يلعنوه على المنابر ففعلوا، فكتبت أم سلمة زوج النبي (ص) إلى معاوية: إنكم تلعنون الله ورسوله على منابرکم. وذلك أنکم تلعنون علي بن أبي طالب ومن أحبه، وأنا أشهد أن الله أحبه ورسوله، فلم يلتفت معاوية إلى كلامها.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٤٢ - لسان المیزان ج ٦ ص ٢٩٤ تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٢٢١ - الإصابة ج ٣ ص ٤٧٣.

الناس على أنهم عبيد ليزيد ومن امتنع قتل، ولما بلغ يزيد خبر تلك الجرائم والمآسي التي يندى لها الجبين ولم يشهد لها التاريخ مثيلاً حتى عند المغول والتتار وحتى عند الإسرائيليين فرح بذلك وأظهر الشماتة بنبي الإسلام وتمثل بقول ابن الزبيري الذي أنشده بعد موقعة أحد قائلاً:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
 لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
 قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
 لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
 لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فإذا كان الجدّ أبو سفيان العدو الأول لله ورسوله يقول صراحة:
 تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان فما من جنة
 ولا نار.

وإذا كان الأب معاوية العدو الثاني لله ورسوله يقول صراحة: (عندما
 يسمع المؤذن يشهد أن محمداً رسول الله) أي عمل وأي ذكر يبقى مع هذا
 لا أم لك؟ والله إلا دفناً دفناً.

وإذا كان الابن يزيد العدو الثالث لله ورسوله يقول صراحة:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل.

وإذا ما نحن عرفنا عقيدة هؤلاء في الله ورسوله وفي الإسلام وإذا ما
 نحن عرفنا أعمالهم الشنيعة التي أرادوا بها هدم أركان الإسلام والإساءة إلى
 نبي الإسلام والتي لم نذكر منها إلا النزر اليسير روماً للاختصار ولو أردنا
 التوسّع لملأنا مجلداً ضخماً في أعمال معاوية وحده التي بقيت عليه عاراً
 وشناراً وفضيحة مدى الدهر ولو تجدد لتغطيتها وسترها بعض علماء السوء
 الذين كان لبني أمية عليهم أبادي وعطايا أعمت عيونهم فباعوا آخرتهم
 بدنياهم وألبسوا الحق بالباطل وهم يعلمون، وبقي أغلب المسلمين ضحية

هذا الدسّ والتزوير، ولو علم هؤلاء الضحايا الحقيقة، لما ذكروا أبا سفيان ومعاوية ويزيد إلا باللّعن والبراءة.

ولكن الذي يهّمنا في هذا البحث الوجيز هو التوصل إلى مدى تأثير هؤلاء وأشياعهم وأتباعهم الذين حكموا المسلمين طيلة مائة عام ولما يزل في خطواته الأولى.

ولا شك في أن تأثير هؤلاء المنافقين كان كبيراً على المسلمين فغير عقيدتهم وغير سلوكهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وحتى عباداتهم وإلا كيف يمكن لنا تفسير قعود الأمة عن نصره الحق وخذلان أولياء الله والوقوف مع أعداء الله ورسوله.

وكيف يمكن لنا أن نفسر وصول معاوية الطليق ابن الطليق واللّعين ابن اللّعين إلى الخلافة التي تمثل مرتبة وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي الوقت الذي يموء علينا المؤرخون بأن الناس كانوا يقولون لعمر بن الخطاب لو رأينا فيك إغوجاجاً لقومناك بسيوفنا. نراهم يتحدثون عن معاوية وهو يعتلي منصّة الخلافة بالقهر والقوة وأول خطبة يقولها في جميع الصحابة: «إني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولكن لأتأمر عليكم وها أنا ذا أمير عليكم، فلا يحرك منهم أحد ساكناً ولا يعارضوه بل يجرّوا في ركابه حتى يسمّوا ذلك العام الذي استولى فيه معاوية على الخلافة بعام الجماعة في حين أنه كان بحق عام الفرقة.

ثم نراهم بعد ذلك يقبلون منه أن يولّي عليهم ابنه الفاسق يزيد المعروف لديهم جميعاً فلا يشورون ولا يتحركون إلا ما كان من بعض الصلحاء الذين قتلهم يزيد في وقعة الحرّة وأخذ ممن بقي منهم البيعة على أنهم له عبيد. فكيف لنا تفسير كل ذلك. على أننا نجد بعد ذلك أنه وصل للخلافة باسم إمارة المؤمنين الفساق من بني أمية كالوزع مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وغيرهم.

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يستبيحوا مدينة رسول الله ويفعلوا فيها الأفاعيل وتُهتِكُ فيها الحرمات، بل ويحرقوا بيت الله الحرام ويقتلوا في الحرم خيار الصحابة. ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يسفكوا دماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بقتلهم ريحانة رسول الله وذريته ويستبيحوا سبي بناته، فلا يحرك أحد من الأمة ساكناً ولا يجد سيد شباب أهل الجنة ناصراً.

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يمزقوا كتاب الله ويقولون له إذا لقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد. كما فعل الوليد الأموي.

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يلعنوا على المنابر علي بن أبي طالب ويأمروا الناس بلعنه في كل الأقطار وهم لا يقصدون بذلك غير لعن رسول الله فلا يحرك منهم أحد ساكناً ومن امتنع قُتِلَ وصُلب ومُثل به.

ووصل الأمر بأمراء المؤمنين أن يتجاهروا بشرب الخمر والزنا واللهو بالطرب والغناء والرقص وو. وحدث ولا حرج!

فإذا كان أمر الأمة الإسلامية قد وصل إلى هذا الحد من الانحطاط في الأخلاق والذل والاستكانة فلا بد أن هناك عوامل أثرت في عقيدتها وهذا ما يهتمنا في هذا البحث لأنه يتعلّق بموضوع العصمة وشخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وأول ما يُلَفَتُ انتباهنا هنا هو أن الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان منعوا كتابة حديث النبي (ص) بل وحتى التحدث به.

فهذا أبو بكر يجمع الناس في خلافته ويقول لهم: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشدَّ اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرموا حرامه^(١).

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٢ و ٣.

كما أنَّ عمر بن الخطاب هو الآخر منع أن يتحدث الناس بحديث الرسول. قال قرظة بن كعب: لما سیرنا عمر بن الخطاب إلى العراق مشى معنا وقال أتدرون لما شيعتكم؟ قالوا: نكرمة لنا، قال: ومع ذلك إنكم تأتون أهل قرية، لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم جودوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم

يقول هذا الراوي: فلم أنقل حديثاً قط بعد كلام عمر، ولما قدم العراق هرع الناس إليه يسألونه عن الحديث فقال لهم قرظة: نهانا عن ذلك عمر^(١).

كما أن عبد الرحمن بن عوف قال بأن عمر بن الخطاب جمع الصحابة من الأفاق لمنعهم من التحدث بأحاديث رسول الله في الناس وقال لهم: أقيموا عندي ولا تفارقوني ما عشت، فما فارقه حتى مات^(٢).

كما يذكر الخطيب البغدادي والذهبي في تذكرة الحفاظ بأن عمر بن الخطاب حبس في المدينة ثلاثة من الصحابة وهم أبو الدرداء وابن مسعود وأبو مسعود الأنصاري بذنب الإكثار من نقل الحديث - كما أنَّ عمر أمر الصحابة أن يحضروا ما في أيديهم من كتب الحديث فظنوا أنه يريد أن يقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف فأتوه بكتبهم فأحرقها كلها في النار^(٣).

ثم أتى بعده عثمان فواصل المشوار وأعلن للناس كافة أنه «لا يحل لأحد أن يروي حديثاً لم يسمع به على عهد أبي بكر ولا عهد عمر»^(٤).

ثم بعد هؤلاء جاء دور معاوية بن أبي سفيان لما اعتلى منصة الخلافة

(١) سنن ابن ماجه ج ١ ص ١٢ وسنن الدارمي ج ١ ص ٨٥ والذهبي في تذكرة الحفاظ ج ١ ص.

(٢) مستدرک الحاکم ج ١ ص ١١٠ كنز العمال ج ٥ ص ٢٣٩.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ١٤٠ الخطيب البغدادي في نفيد العلم.

(٤) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج ٤ ص ٦٤.

صعد على المنبر وقال: «أيها الناس إياكم والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا حديثاً يذكر على عهد عمر»^(١).

فلا بد أن هناك سراً لمنع الأحاديث التي قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي لا تتماشى وما جرت عليه المقادير في ذلك العصر وإلا لماذا يبقى حديث الرسول ممنوعاً طوال هذه المدة الطويلة ولا يُسمح بكتابته إلا في زمن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه.

ولنا أن نستنتج طبقاً لما سبق من الأبحاث بخصوص النصوص الصريحة في الخلافة والتي أعلنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رؤوس الأشهاد بأن أبا بكر وعمر منعا من الراوية والحديث عن النبي خوفاً أن تُسرِّي تلك النصوص في الأقطار أو حتى في القرى المجاورة فتكشف للناس بأن خلافته وخلافة صاحبه ليست شرعية وإنما هي اغتصاب من صاحبها الشرعي علي بن أبي طالب. وقد تكلمنا في هذا الموضوع وكشفنا عن هذه الحقيقة في كتابنا «لأكون مع الصادقين» فليراجع لمزيد الإطمئنان.

والعجيب في أمر عمر بن الخطاب هو مواقفه المتناقضة بالخصوص في كل ما يتعلق بأمر الخلافة.

ففي حين نجده هو الذي ثبت بيعة أبي بكر وحمل الناس عليها قهراً يحكم عليها بأنها فلتة وقى الله شرها - وفي حين يختار هو ستة للخلافة نراه يقول: لو ولّوها الأجلح (يقصد علي بن أبي طالب) لحملهم على الجادة فما دام يعترف بأن علي هو الشخص الوحيد الذي يحمل الناس على الجادة فلماذا لم يعينه وينتهي الأمر ويكون بذلك قد بذل النصيح لامة محمد. ولكننا نراه بعد ذلك يتناقض فيرجع كفة عبد الرحمن بن عوف ثم يتناقض

(١) الخطيب البغدادي شرف أصحاب الحديث ص ٩١.

مرة أخرى فيقول: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لوليته عليكم^(١).
والأعجب من ذلك في أمر أبي حفص هو منعه الحديث عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وحبسه الصحابة في المدينة ومنعهم من الخروج
منها، ونهيه المبعوثين من قبله إلى الأقطار بأن لا يحدثوا الناس عن السنة
النبوية، وحرقه للكتب التي كانت بأيدي الصحابة وفيها أحاديث النبي صلى
الله عليه وآله وسلم.

ألم يفهم عمر بن الخطاب بأن السنة النبوية هي تبيان للقرآن الكريم؟
أولم يقرأ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: 4]. أم أنه فهم من القرآن ما لم يفهمه صاحب الرسالة الذي
أنزل عليه القرآن؟

وهذا ما يحاوله بعض المهوسين الذين يقولون بأن القرآن كثيراً ما
ينزل موافقاً لأراء عمر، ومخالفاً لأراء النبي (ص) كبرت كلمة تخرج من
أفواههم إنهم لا يفقهون.

وكنْتُ دائماً أتعجب عندما أقرأ في البخاري رفض عمر قبول رواية
عمار بن ياسر بخصوص تعليم النبي له كيفية التيمم، كما أتعجب من قول
عمار: إن شئت لا أحدثُ به. مخافة من عمر، فيتبين بوضوح بأن عمر بن
الخطاب كان شديداً على كل من يروي أحاديث الرسول فيلحقه الأذى.

وإذا كان الصحابة من قريش يخافون من الخليفة فلا يخرجون من
المدينة وحتى الذين يخرجون منها يمتنعون عن نقل الأحاديث النبوية، ثم
يحرق لهم كتبهم التي جمعوا فيها الأحاديث فلا يتكلم منهم أحد، فما قيمة
عمار بن ياسر الغريب البعيد والبغض لقريش لوقوفه مع علي بن أبي طالب
وحبه إياه؟

(١) وهذا الحديث اتخذه أبو حنيفة حجة على جواز الخلافة للموالي وخالف بذلك الصريح من
حديث النبي (ص) بأن الخلافة لا تكون إلا في قريش، ومن أجل ذلك اعتنق الأتراك مذهب
أبو حنيفة عندما استولوا على الخلافة وسَمُوا أبا حنيفة الإمام الأعظم.

وإذا ما رجعنا قليلاً بالبحث، وبالضبط يوم الخميس الذي سبق وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والذي سمّاه ابن عباس يوم الرزية، وذلك عندما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحاضرين أن يأتوه بالكتف والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً، نرى في ذلك اليوم أن عمر بن الخطاب هو الذي اعترض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتهمه بالهجر - أي الهذيان - والعياذ بالله، وقال: «حسبنا كتاب الله يكفيننا» وقد أخرج هذه الحادثة البخاري ومسلم وابن ماجه والنسائي وأبو داود والإمام أحمد وغيرهم من المؤرخين كثير.

فإذا كان عمر يمنع رسول الله من كتابة أحاديثه وبمحضر كثير من الصحابة وأهل البيت ويتهمه بالهجر بتلك الجرأة التي لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، فليس غريباً ولا عجباً أن يشتر عن ساعديه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليمنع الناس من نقل أحاديث الرسول بكل جهوده وهو الخليفة القوي الذي يملك الحول والطول، ولا شك أن له في الصحابة أنصاراً كثيرين من سُرّة قريش الذين لهم نفوذ في القبائل والعشائر والذين كانوا يصحبون النبي (ص) إما طمعاً أو خوفاً أو نفاقاً، وقد رأينا هؤلاء على كثرتهم يؤيدون قولة عمر بأن رسول الله (ص) يهجر ويشاركونه في منع النبي (ص) من كتابة الكتاب، واعتقد بأن ذلك كان هو السبب الرئيسي في سكوت النبي (ص) عن الكتابة لأنه علم بوحى ربه بأن المؤامرة قوية وقد تهدد مسيرة الإسلام بكامله إذا ما كُتب ذلك الكتاب.

ذلك الكتاب الذي أراد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحصين أمته من الدخول في الضلالة فإذا بالمتأمرين بقلوبهم الموقف ويصبح ذلك الكتاب (إذا ما كُتب) سبب الضلالة والانقلاب عن الإسلام.

فكيف لا يُغير رسول الله - بأبي هو وأمي - وهو على تلك الحال من المرض على فراش الموت رأيه وبوحى من ربه الذي يرنّ في أذنيه، ويملا قلبه حسرة رأسى على أمته المنكوبة قوله: «أفإن مات أو قتل انقلبتم على

أعقابكم) ولم تنزل هذه الآية عفوية بل هي نتيجة حتمية لما علمه الله سبحانه من دسائسهم ومؤامراتهم ومكرهم فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور - والذي يُعزِّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ربه أعلمه عن كل ذلك وسلاه وأجزاه خير ما يجزي نبي عن أمته ولم يحمله مسؤولية ارتداد الأمة وانقلابها - بل قال له مسبقاً: ﴿وَيَوْمَ يَعْصِي الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا، وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ هُدًواً مِنَ الْمَجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيحاً﴾ [الفرقان: 27].

والذي لا مفر منه في هذا البحث هو النتيجة المؤلمة التي وصلنا إليها، وهو أن أبا سفيان ومعاوية ما كانا ليتجرأ على صاحب الرسالة لولا مواقف عمر السابقة وجراته على رسول الله (ص) وبحضرته صلى الله عليه وآله وسلم. وخصوصاً إذا بحثنا مواقفه طيلة حياة النبي (ص) ومعارضته إياه في كثير من المواقف.

والاستنتاج الذي لا بد منه هو أن هناك مؤامرة كبرى حيكت للنيل من شخصية الرسول الأكرم وانتقاصه وتصويره للناس الذين لم يعرفوه بأنه شخص عادي أو أقل من ذلك فقد تأخذه العاطفة ويميل مع هواه ويزيغ عن الحق كل ذلك ليموهوا على الناس بأنه ليس معصوماً والدليل أن عمر عارضه عدة مرات والقرآن ينزل بتأييد ابن الخطاب حتى وصل الأمر بأن يهدد الله نبيه (ص) فيكي ويقول: لو أصابنا الله بمصيبة لم ينبج منها إلا ابن الخطاب⁽¹⁾ في قضية أسرى بدر.

أو أن عمر كان يأمر رسول الله (ص) بأن يحجب نساءه ولم يكن

(1) البداية والنهاية لابن كثير نقلًا عن مسلم والإمام أحمد وأبي داود والترمذي وكذلك في السيرة الحلبية والسيرة الدحلانية ج 1 ص 512.

النبي (ص) يفعل ذلك حتى نزل القرآن بتأييد عمر، وأمر نبيه (ص) أن يحجب نساءه^(١) أو أن الشيطان لا يخاف من رسول الله (ص) ولكنه يخاف ويهرب من عمر^(٢) إلى غير ذلك من الروايات المخزية التي تحط من قيمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وترفع من قيمة الصحابة ولكن عمر ضرب الرقم القياسي في هذا الصدد حتى رووا (أخزاهم الله) بأن رسول الله كان يشك في نبوته وذلك لحديث يروونه بأنه قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أبطأ عني جبرئيل إلا ظننت أنه ينزل على عمر بن الخطاب!!».

وأنا أعتقد بأن هذه الأحاديث وأمثالها وضعت في زمن معاوية بن أبي سفيان لما أعيته الحيلة في طمس حقائق علي بن أبي طالب فلجأ إلى إطراء أبي بكر وعمر وعثمان واختلاق الفضائل لهم كي يرفعهم في نظر الناس على مقام علي ويرمي من ذلك إلى هدفين:

الهدف الأول تصغير شأن أبي طالب (أبو تراب) كما يُسميه هو للتمويه على الناس واعتبار الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه أفضل منه. والهدف الثاني لوضعه الأحاديث هو لكي يتقبل الناس تجاوز أوامر رسول الله (ص) ووصاياه في أمر الخلافة في أهل بيته خصوصاً الحسين (ع) اللذين كانا يعاصران معاوية - فإذا كان من الممكن أن يتجاوز الثلاثة أوامر الرسول (ص) في علي (ع) لِمَ لا يمكن أن يتجاوز معاوية (الرابع) أوامره (ص) في أولاد علي (ع).

وقد نجح ابن هند في مخططه نجاحاً كبيراً والدليل أننا اليوم عندما نتحدث عن علم علي وشجاعته وقربته وأفضاله على الإسلام والمسلمين يقف في وجوهنا من يقول: «قال رسول الله لو وزن إيمان أمي بإيمان أبي

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٤٦ باب خروج النساء إلى البراز.

(٢) البخاري ج ٤ ص ٩٦ وج ٨ ص ١٦١.

بكر لرجع إيمان أبي بكر، ويقف في وجوهنا من يقول: «عمر الفاروق هو الذي يفرق بين الحق والباطل» ويقف في وجوهنا من يقول: عثمان ذو النورين الذي استنحت منه ملائكة الرحمن.

والمتبّع لهذه الأبحاث يجد أن عمر بن الخطاب أخذ نصيب الأسد في باب الفضائل وليس ذلك من باب الصدفة، كلاً ولكن لمواقفه المعارضة والمتعددة تجاه صاحب الرسالة. أحبته قريش. وخصوصاً للدور الذي لعبه عمر في إقصاء أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عن الخلافة وإرجاع الأمر إلى قريش تتحكّم فيه كيف شاءت ويطمع فيه الطلقاء والملعونين من بني أمية، وقريش كلّها وعلى رأسهم أبو بكر يعرفون بأنّ الفضل كلّهُ يرجع لعمر في تسلطهم على رقاب المسلمين. فعمر هو بطل المعارضة لرسول الله وعمر هو المانع لرسول الله بأن يكتب الخلافة لعلي، وعمر هو الذي هدّد الناس وشكّكهم في موت نبيهم حتّى لا يسبقوه بالبيعة لعلي، وعمر هو بطل السّقيفة، وهو الذي ثبت بيعة أبي بكر، وعمر هو الذي هدّد المتخلفين في بيت علي بأن يحرق عليهم الدار بمن فيها إن لم يبايعوا أبا بكر، وعمر هو الذي حمل الناس على بيعة أبي بكر بالقوة والقهر، وعمر هو الذي كان يعيّن الولاة ويعطي المناصب في خلافة أبي بكر، بل لسنا مبالغين إذا قلنا بأنّه هو الحاكم الفعلي حتّى في خلافة أبي بكر نفسه فقد حكى بعض المؤرخين بأنّ المؤلّفة قلوبهم لما جاؤوا لأبي بكر لأخذ سهمهم الذي فرضه الله لهم جرياً على عاداتهم مع رسول الله (ص) فكتب لهم أبو بكر بذلك فذهبوا إلى عمر ليتسلّموا منه فمزّق الكتاب وقال: لا حاجة لنا بكم فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم فإن أسلمتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم. فرجعوا إلى أبي بكر، فقالوا له أنت الخليفة أم هو؟ فقال: بل هو إن شاء الله تعالى وأمضى ما فعله عمر⁽¹⁾.

(1) كتاب الجوهرة النيرة في الفقه الحنفي ج 1 ص 164.

ومرة أخرى كتب أبو بكر لصحابيين قطعة من الأرض وأرسلها لعمر ليمضي فيه فتغل فيه عمر ومجاه فشتماه ورجعا لأبي بكر يتذمّران فقالا: ما ندري أأنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بل هو، وجاء عمر مغضباً إلى أبي بكر وقال له: ليس من حَقِّكَ إعطاء الأرض إلى هذين. فقال أبو بكر: لقد قلتُ لك بأنك أقوى مِنِّي على هذا الأمر ولكنك غلبتني^(١).

ومن هنا يتبيّن لنا سرّ المكانة التي حظي بها عمر بن الخطاب لدى قريش عامة ولدى بني أمية خاصة حتّى سَمّوه بالعقري وبالملمهم وبالفاروق وبالعَدْل المطلق إلى أن فضّلوه على رسول الله (ص).

وقد رأينا عقيدة عمر في رسول الله (ص) من يوم صلح الحديبية إلى يوم الرّزية أضف إلى ذلك أنّه منع الصحابة من التبرّك بآثار رسول الله (ص) فقطع شجرة بيعة الرضوان، كما توسّل بالعبّاس عمّ النبيّ ليشعر الناس بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسمّ مات وانتهى أمره فلا فائدة حتّى في ذكراه، فلا لوم على الوهابية الذين يقولون بهذه المقالات فهي ليست جديدة كما يتوهم البعض.

ومن هنا فُتح الباب إلى أعداء الإسلام والمستشرقين ليستخلصوا بأن محمداً رجلاً عقري عرف أن قومه وثنيين تربّوا على عبادة الأصنام فأزال الأصنام ولكنه أبدلهم بذلك حجراً أسوداً.

ونرى به كل هذا عمر هو بطل المعارضة لكتابة الأحاديث النبوية حتّى يحبس الصحابة في المدينة ويمنع آخرين من الحديث ويحرق كتب الحديث حرصاً منه بأن لا تنفّس السنّة النبوية بين الناس.

ونفهم أيضاً من خلال ذلك لماذا بقي عليّ حبيس الدار لا يخرج إلّا عندما يدعى لحلّ معضلة عجز عنها الصحابة ولم يُشركه عمر في منصب ولا

(١) الإصابة في معرفة الصحابة للمصطفى في ترجمة هيئة. ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٠٨.

في ولاية ولا في مسؤولية ولا في بعث، وحُرم حتى من ميراث فاطمة وليس عنده ما يُطعم الناس فيه ولذلك يذكر المؤرخون بأنه اضطرَّ للبيعة بعد موت الزهراء سلام الله عليها لما رأى تحوّل وجوه الناس عنه: لك الله يا أبا الحسن فكيف لا يفضّك الناس وقد قتلت أبطالهم وفرقت جموعهم وسفّهت أحلامهم، وما تركت لهم في سوق الفضائل فضيلة ولا في ميدان الحسنات حسنة ومع ذلك فانت ابن عمّ المصطفى وأقربهم إليه وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين وأبو السبطين سيدي شباب أهل الجنة وأولهم إسلاماً وأكثرهم علماً.

وعمّك حمزة سيد الشهداء، وجعفر الطيار ابن أمّك وأبيك، وأبو طالب سيد البطحاء وكفيل النبي (ص) هو أبوك، والأئمة الميامين كلهم من صلبك، سبقت السابقين ونأيت عن اللاحقين فكنت أسد الله ورسوله (ص) وكنت سيف الله ورسوله (ص) وكنت أمين الله ورسوله (ص) عندما بعثك (ص) ببراءة ولم يأت من عليها غيرك. وكنت أنت الصديق الأكبر لا يقولها بعدك إلاّ كذاب وكنت الفاروق الأكبر الذي يسير الحق في ركابه فيعرف الحق به من بين ركام الباطل، وكنت العلم الظاهر والمنار الساطع يعرف بحبه إيمان المؤمن ويبغضه نفاق المنافق. وكنت الباب لمدينة العلم، من أتاك أتاها، فقد كذب من زعم الدخول من غيرك والوصول بدونك.

فمن منهم له سهم كسهمك يا أبا الحسن ومن منهم له فضل كفضلك فإن كان للشرف دليلاً فانت دليله وأنت مبتداه ومنتهاه لقد حسدوك على ما أتاك الله من فضله ولقد أبعدوك لما خصّك الله من قربه فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

لقد شط بنا القلم إلى مناجاة أمير المؤمنين المظلوم حياً وميتاً وله في أخيه رسول الله (ص) أسوة حسنة فهو أيضاً مظلوم حياً وميتاً لأنه قضى حياته صلى الله عليه وآله وسلم مجاهداً ناصحاً حريصاً على المؤمنين بهم رؤوف

رحيم وقابلوه في آخر لحظة بالكلام القبيح ورموه بالهجر وجابهوه بالعصيان والتمرد في تأميره أسامة وهرعوا للسقيفة من أجل الخلافة وتركوه جثة هامدة ولم يشتغلوا حتى بتجهيزه وغسله وتكفينه بأبي هو وأمى، وبعد وفاته عملوا على انتقاصه في أعين الناس والخط من قيمته وتجريده من العصمة التي يشهد بها القرآن والوجدان كل ذلك من أجل حكم زائل ودنيا فانية.

وإذا عرفنا من خلال البحث، موقف بعض الصحابة تجاه شخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل الوصول للخلافة.

فإن حكام بني أمية وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان جاءتهم الخلافة بالوراثة واطمأنوا لها ولم يكن يدور في خلد أحد منهم بأنها في يوم من الأيام سوف تخرج منهم، فلماذا استمر بنوا أمية في انتقاص شخصية رسول الله (ص) وتزوير الروايات للخط من قيمته.

وأعتقد بأن هناك سببين رئيسيين وهما:

السبب الأول: إن في الخط من قيمة رسول الله، هو إرغام أنوف بني هاشم الذين نالوا عزاً وشرفاً بين كل القبائل العربية لوجود النبي منهم وخصوصاً إذا عرفنا أن أمية كان ينافس أخاه هاشماً ويحسده ويعمل كل ما في وسعه للقضاء عليه.

زد على ذلك بأن علياً هو سيد بني هاشم بعد الرسول من غير منازع وقد عرف الخاص والعام بغض معاوية لعلي والحروب التي شنها ضده لانتزاع الخلافة منه وبعد مقتله أولغ في سبه ولعنه على المنابر. فالخط من شخصية الرسول بالنسبة لمعاوية هو تحطيم شخصية علي كما أن سب ولعن علي هو في الحقيقة موجّه لرسول الله.

السبب الثاني: إن في الخط من قيمة رسول الله - فيه تبرير لما يقوم به حكام بني أمية من أعمال مخزية وقبائح شنيعة سجلها لهم التاريخ - فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما يصوره بني أمية - يميل مع هواه

ويحبّ النساء إلى درجة أنّه ينسى واجباته ويميل إلى إحداهن إلى درجة أنّه لا يعدل بينهما حتّى يبعثن له يطالبنه بالعدل. فلا لوم بعد ذلك على البشر العاديين أمثال معاوية ويزيد وأضرابهم.

وتكمن الخطورة في السبب الثاني في أن الأمويين اختلقوا روايات وأحاديث عن رسول الله (ص) أصبحت أحكاماً يُعمل بها في الإسلام، والمسلمون يأخذونها مُسلّمة على أنها من أقوال وأفعال الرسول (ص) فتصبح عندهم سنة نبويّة.

وأضرب لذلك بعض الأمثلة من الأحاديث المخزية التي وُضعت للنيل من شخصية الرسول والخط من قيمته ولا أريد أن أتوسّع في هذا الموضوع وسوف أقصر فقط على ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما (روايات مخزية للطعن في النبي).

1- أخرج البخاري في كتاب الغسل في باب إذا جامع ثم عاد - قال أنس: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدّث أنّه أعطي قوّة ثلاثين -.

أنظر معي أيها القارئ إلى هذه الرواية المخزية التي تصوّر لنا رسول الله (ص) على هذا النهم من الجماع فيجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة ويجامعهن في الليل أو في النهار وبهذه السرعة ومن غير أن يغتسل من الأولى فيجامع الثانية بماء الأولى وما عليك أيها القارئ إلّا أن تتصور وتخيّل كيف يرتمي إنسان على زوجته كالحيوان بدون مقدمات ولا تهيئة وقد شاهدنا أنّه حتّى عند الحيوانات تستغرق عملية الجماع مدة طويلة وتتطلب مقدمات ونهياً فكيف بهذا الرسول العظيم يفعل مثل هذا؟ قاتلهم الله ولعنهم أنى يؤفكون - ولأن العرب في ذلك العهد والرجال حتّى في هذا العهد ما زالوا يفتخرون بقوة الجماع ويعتبرون ذلك علامة الرجولة فوضعوا

هذه القصة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وحاشاه وهو الذي كان يقول: «لا تترتموا على نسائكم كالبهائم واجعلوا بينكم وبينهن رسولا». فبمثل هذه الروايات يتحامل أعداء الإسلام على النبي (ص) ويصفونه بأنه رجل يتهالك على الجنس والجماع وحب النساء إلى غير ذلك من التهم.

وهل لنا أن نسأل أنس بن مالك راوي هذه القصة، من أخبره بها؟ من أعلمه أن رسول الله (ص) يجامع نساءه في ساعة واحدة ومن إحدى عشرة؟ هل النبي هو الذي حدثه بذلك؟ فهل يليق بأحدنا أن يحدث الناس على مجامعته لزوجته؟ أم أن زوجات النبي من السلاتي حدثته بذلك؟ فهل يليق بالمرأة المسلمة أن تحكي للرجال عن جماع زوجها لها؟ أم أن أنس هو الذي تجسس على النبي وتتبع خلواته مع زوجاته وتفرج عليه من ثقوب الأبواب؟ أستغفر الله من همزات الشياطين ولعن الله الكذابين.

ولا أشك في أن الحكام الأمويين والعباسيين الذين اشتهروا بكثرة النساء والجواري هم الذين وضعوا مثل هذه القصة لتبرير أعمالهم.

2- أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الثالث صفحة 132 وكذلك مسلم في صحيحه من الجزء السابع في صفحة 136 قالاً: قالت عائشة أرسل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى رسول الله فاستأذنت عليه وهو مضطجع معي في برطي فأذن لها، فقالت: يا رسول الله إن أزواجك أرسلني إليك يسألنك العدل في ابنة أبي قحافة، وأنا ساكتة، قالت: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي بنية ألسنتُ تحبين ما أحبُّ فقالت: بلى، قال: فأحبي هذه»....

ثم تمضي الرواية فتقول إلى أن يبعث أزواج النبي مرة ثانية بزينب بنت جحش زوج النبي ينشدنه العدل في بنت أبي قحافة فتدخل هي الأخرى على رسول الله وهو مضطجع مع عائشة ولابس مرطها على الحالة التي

دخلت عليه فاطمة فتشدد الرسول العدل في بنت أبي قحافة على لسان أزواج النبي ثم تقع في عائشة ونسبها فتتصر عائشة لنفسها وتقع هي الأخرى في زينب حتى تسكتها فينسم عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: «إنها ابنة أبي بكر».

فما عساني أن أقول في هذه الرواية المنكرة التي تجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يميل مع هواه ولا يعدل بين زوجاته، وهو الذي جاء القرآن على لسانه ﴿وإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾.

ثم كيف يأذن الرسول (ص) لابنته فاطمة سيدة النساء لتدخل عليه وهو على تلك الحالة مضطجع مع زوجته ولا يبر، مرطها، فلا يجلس ولا يقوم ويبقى مضطجعا حتى يقول، أي بنية: «الست تحيين ما أحب». وكذلك عندما تدخل عليه زوجته زينب وتطالبه بالعدل ينسم ويقول إنها ابنة أبي بكر.

أنظر أيها القارئ الكريم إلى هذه المخازي التي يلصقونها برسول الله (ص) رمز العدالة والمساواة في حين أنهم يقولون مات العدل مع عمر بن الخطاب ويصورون رسول الله (ص) شخصاً مستهتراً بالقيم الأخلاقية فلا يعرف الحياء ولا المروءة - ولهذه الرواية نظائر كثيرة في صحاح السنة والتي يقصد الرواة من ورائها إبراز فضيلة أصحابي أو لعائشة بالذات لأنها ابنة أبي بكر، فينتقصون رسول الله (ص) من حيث يشعرون أو لا يشعرون - وكما قُدمت في البحث، بأن هذه الروايات موضوعة للنيل من شخصية الرسول (ص) فإليك الرواية الثالثة وهي شبيهة بهذه.

3- أخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل عثمان بن عفان. عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان حدثا أن أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراشه لأبس برط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقصى إليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن

عُمَرُ فَأَذَنَ لَهُ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فَقَضَى إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ انصَرَفَ، قَالَ عَثْمَانُ: ثُمَّ اسْتَأْذَنْتَ عَلَيْهِ فَجَلَسَ وَقَالَ لِعَائِشَةَ: أَجْمَعِي عَلَيْكَ ثِيَابَكَ فَقَضَيْتُ إِلَيْهِ حَاجَتِي ثُمَّ انصَرَفْتُ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي لَمْ أَرْكَ فَرَعَتُ لَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا فَرَعْتُ لِعَثْمَانَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ عَثْمَانَ رَجُلٌ خَيٌِّّ وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذَنْتَ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ فِي حَاجَتِهِ.

وهذه الرواية أيضاً هي الأخرى شبيهة بما أخرجه البخاري ومسلم في فضل عثمان بن عفان ومفادها بأن رسول الله كان كاشفاً على فخذه فاستأذن أبو بكر فلم يغطّي رسول الله فخذه وكذلك فعل مع عمر فلما استأذن عثمان غطّي رسول الله فخذه وسوى ثيابه ولما سأله عائشة عن ذلك قال لها: «أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ».

قاتل الله بني أمية الذين ينتقصون رسول الله لرفع مكانة سيدهم.

4- أخرج مسلم في صحيحه في باب وجوب الغسل بالتقاء الختانيين عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إِنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يَجَامِعُ أَهْلَهُ ثُمَّ يُكْسِلُ هَلْ عَلَيْهِمَا الْغُسْلُ وَعَائِشَةُ جَالِسَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَا وَهَذِهِ ثُمَّ نَفْتَسِلُ».

وأترك لك أيها القارئ أن تُعَلِّقَ بنفسك على هذه الرواية. فقد بلغ من تدليل الرسول (ص) لزوجته عائشة أن يحدث بجماعها الخاص والعام من الناس وكم لعائشة بنت أبي بكر من أمثال هذه الروايات التي فيها مس من كرامة الرسول والخط من قيمته، فمرة تروي بأنه يضع خده على خدها لتتفرج على رقص السودان ومرة يحملها على كتفه ومرة يتسابق معها فتغلبه وينتظر الرسول (ص) حتى تسمن فيسابقها ويقول هذه بتيك، ومرة يستلقي على ظهره والنساء يضربن بالدفوف ومزماراة الشيطان في بيته فينتهرها أبو بكر.

وكم. في كتب الصحاح أمثال هذه الروايات المخزية التي لا يُقصدُ منها إلا انتفاص نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، كالروايات التي تقول بأن الرسول سُجِرَ حتى لا يدري ما يفعل وما يقول وحتى يخيل له أنه يأتي نساءه ولا يأتيهن^(١) وكالروايات التي تقول بأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يصبح في رمضان جنباً^(٢) وأنه ينام حتى يغط في نومه ثم يقوم فيصلي بغير وضوء^(٣).

ويسهر في صلاته فلا يدري كم ركعة صلى^(٤) ولا يدري رسول الله (ص) ما هو مصيره يوم القيامة وما يفعل به^(٥) وأنه يبول قائماً والصحابي يتعد عنه فيناديه الرسول (ص) ليقرب منه حتى يفرغ من بوله^(٦).

نعم لقد بلغ من تدليل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوجته عائشة بنت أبي بكر أنه يحبس نفسه ويحبس المسلمين معه لبيحثوا عن عقد ضاع من عائشة وليس معهم ماء حتى أن الناس يشتكون من عائشة لأبي بكر فيأتي أبوها يوتئها ويلومها كل ذلك ورسول الله مشغول بالنوم في حجر زوجته. وإليك الرواية بالتفصيل!

أخرج البخاري في صحيحه في باب التيمم ومسلم في صحيحه في باب التيمم أيضاً عن عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بدأت الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما

(١) البخاري ج ٤ ص 68 وج 7 ص 29.

(٢) البخاري ج 2 ص 232 و صفحة 234.

(٣) البخاري ج 1 ص 44 وص 171.

(٤) البخاري ج 1 ص 123 وج 2 ص 65.

(٥) البخاري ج 2 ص 71.

(٦) صحيح مسلم ج 2 ص 157 في باب المسح على الخفين.

صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء. فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء. قالت: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعي من التحرك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمّموا. فقال أسيد بن الحضير وهو أحد النقباء: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر. فقالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته^(١).

فهل يصدق مؤمن عرف الإسلام بأن رسول الله يتهاون في أمر الصلاة إلى هذه الدرجة ويحبس المسلمين وهم على غير ماء وليس عندهم ماء كل ذلك من أجل البحث على عقد زوجته الذي ضاع منها. ثم يترك المسلمين يتحسرون على الصلاة ويشتكون إلى أبي بكر، وهو يذهب فينام على فخذ زوجته ثم يستغرق في نوم لا يشعر معه بدخول أبي بكر وتوبيخه عائشة وطعنها في خاصرتها، وكيف يجوز لهذا الرسول أن يترك الناس يموجون من أجل الماء واقتراب وقت الصلاة وينام هو في حجر زوجته.

ولا شك بأن هذه الرواية وضعت في زمن معاوية بن أبي سفيان ولا أساس لها، وإلا كيف نفسّر حادثة مثل هذه حضرها كل الصحابة وتغيب عن عمر بن الخطاب فلا يعرفها عندما يسئل عن التيمم كما أخرج ذلك البخاري ومسلم في صحيحيهما في باب التيمم.

والمهم في كل هذه الأبحاث هو أن نعرف بأن المؤامرة ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت مؤامرة خسية ودنيئة تعمل على الانتقاص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحط من قيمته إلى درجة أن

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٨٦ وصحيح مسلم ج ١ ص ١٩١.

أحدنا اليوم (ورغم كل الفساد الذي عمّ البر والبحر) لا يرضى لنفسه مثل هذه المواقف والأفعال. فما بالناس بأعظم شخصية عرفها تاريخ البشرية والذي يشهد له ربّ العزة والجلالة بأنه على خلق عظيم.

وقد بدأت المؤامرة حسب اعتقادي بعد حجة الوداع وبعد تنصيب الرسول (ص) للإمام علي كخليفة له يوم غدِير خُم وبذلك عرف الطامعون في الرئاسة أن ليس أمامهم إلا المعارضة والتمرد على هذا النصّ كلّهم ذلك ما كلّهم ولو أدى إلى الانقلاب على الأعقاب. وبذلك يستقيم تفسير الأحداث التي بدأت بمعارضة الرسول (ص) في كل أوامره من كتابة الكتاب إلى تأمير أسامة إلى عدم الذهاب في الجيش الذي عبّاه رسول الله (ص) بنفسه، وكذلك الأحداث التي أعقبت وفاته صلى الله عليه وآله وسلم من حمل الناس على البيعة بالقوة وتهديد المتخلفين بالحرق وفيهم علي وفاطمة والحسين، إلى منع الناس من نقل أحاديث رسول الله (ص) وحرق الكتب التي فيها سنة رسول الله (ص) وحبس الصحابة لئلا يتحدثوا بأحاديث النبي، إلى قتل الصحابة الذين امتنعوا عن أداء الزكاة لأبي بكر لأنه ليس هو الخليفة الذي بايعوه على عهد نبيهم، إلى اغتصاب حق فاطمة الزهراء من فلك والإرث وسهم الخمس وتكذيبها في دعواها، إلى إبعاد الإمام علي (ع) عن كل مسؤولية وتولية الفسّاق والمنافقين من بني أمية على رقاب المسلمين إلى منع الصحابة من التبرّك بآثار الرسول (ص) ومحاولة محو اسمه من الأذان إلى إباحة مدينته المنورة للجيش الكافر يفعل فيها ما يشاء إلى ضرب البيت الحرام بالمنجنيق وحرقه وقتل الصحابة في داخله - إلى قتل عترة الرسول (ص) وسبهم ولعنهم وحمل الناس على ذلك - إلى قتل وتشريد من يحبّ أهل البيت ويتشيع لهم، إلى أن أصبح دين الله لعباً وهزواً والقرآن يُمزق ويُعبث به.

والمؤامرة ما زالت حتى اليوم وآثارها ومفعولها يسري في الأمة الإسلامية وما دام هناك في المسلمين من يترضى عن معاوية ويزيد ويبرّر

أفعالهم بأنها اجتهد ولهم بها أجر عند الله ومادام هناك من يكتب الكتب والمقالات ضد شيعة أهل البيت ويرميهم بكل شتيمة وشنيعة، ومادام هناك من يستبيح قتل شيعة أهل البيت في بيت الله الحرام وفي موسم الحج - فالمؤامرة ما زالت متواصلة وستبقى متواصلة إلى أن يشاء الله.

وأنا لست بقادر على كشفها كلها أو الإحاطة بكل تفاصيلها وجوانبها ولكني أحاول بجهد المتواضع أن أنزه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الروايات المخزية التي ألصقت بحضرته وأدافع عنه وعن عصمته، وأحاول إقناع المسلمين المثقفين والمتحررين بأن هذا الرسول الذي أرسله الله لهداية البشرية جميعاً وجعله قمراً وسراجاً منيراً هو أجل وأعظم وأسمى وأطهر وأنقى وأكمل إنسان خلقه الله تعالى فلا يمكن لنا أن نسكت على مثل هذه الروايات التي لم يقصد من ورائها إلا النيل من كرامته والحط من قيمته.

فلا ولن نرضى بهذه الروايات ولو اتفق عليها أهل السنة والجماعة وأخرجوها في صحاحهم ومسانيدهم، لا بل ولو اتفق عليها أهل الأرض كافة. فقله سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هو القول الفصل والحكم الأصل وليس بعده إلا الأباطيل والأوهام.

وهذا هو قول الشيعة في سيد الأنام ومنقذ البشرية من العمى والضلال وقائدها إلى الأمن والسلام فاعتبروا يا أولى الأبواب!

قول أهل الذكر في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

يقول الإمام علي: حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعز الأروام مغرساً. من الشجرة التي صدع منها أنبياء وانتخب منها أمناء، عثرته خير العثر وأسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم، لها فروع طوال وثمرة لا تنال فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى، سراج لمع ضوؤه

وشهابٌ سطع نوره وزندُ برق لمعه سببرته القصدُ وستته الرشدُ وكلامه الفصلُ
 وحكمه العدلُ، أرسله على حين فترةٍ من الرسلِ وهفوةٍ عن العملِ وغبابةٍ
 من الأمم... فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة
 ودعا إلى الحكمة والموعظة الحسنة... مستقره خير مستقر ومنبته أشرف
 منبت في معادن الكرامة ومماهد السلامة قد صُرفت نحوه أفئدة الأبرار وثبت
 إليه أزمة الأبصار دفن به الضغائن وأطفأ به الثوائر. أَلَفَ به اخواناً وفرّق به
 أقراناً، أعزّ به الدلة وأذلّ به العزة كلامه بيان وصمته لسان أرسله بحجة
 كافية، وموعظة شافية ودعوة متلافية، أظهر به الشرائع المجهولة وقمع به
 البدع المدخولة، وبيّن به الأحكام المفصولة.

أرسله بالضياء وقدمه في الاصطفاء فرتق به المفاتيح وساور به المغالب
 وذللّ به الصعوبة وسهلّ به الحزونة حتى سرح الضلال عن يمين وشمال.



مركز تحقيقات كميّات علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و اسناد اسلامی

الفصل الثالث

فيما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام

السؤال الثالث: من هم أهل البيت؟

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

يقول أهل السنة والجماعة بأن هذه الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويستدلون على ذلك بسياق ما قبلها وما بعدها من الآيات، وعلى حسب زعمهم فإن الله أذهب الرجس عن نساء النبي وطهرهن تطهيراً.

ومنهم من يضيف إلى نساء النبي علي وفاطمة والحسن والحسين، ولكن الواقع النقلي والعقلي والتاريخي يأبى هذا التفسير، لأن أهل السنة يروون في صحاحهم بأن الآية نزلت في خمسة وهم محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي خصهم ونفسه الشريفة بهذه الآية الكريمة عندما أدخل علياً وفاطمة والحسين معه تحت الكساء. وقال: اللهم هؤلاء أهلي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وقد أخرج ذلك من علماء أهل السنة جمع غفير أذكر منهم:

- 1 - مسلم في صحيحه في باب فضائل أهل بيت النبي ج 2 ص 368.
- 2 - الترمذي في صحيحه ج 5 ص 30.
- 3 - مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1 ص 330.
- 4 - مستدرک الحاكم ج 3 ص 123.
- 5 - خصائص الإمام النسائي ص 49.
- 6 - تلخيص الذهبي ج 2 ص 150.
- 7 - معجم الطبراني ج 1 ص 65.
- 8 - شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج 2 ص 11.
- 9 - البخاري في التاريخ الكبير ج 1 ص 69.
- 10 - الإصابة لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 502.
- 11 - تذكرة الخواص لابن الجوزي ص 233.
- 12 - تفسير الفخر الرازي ج 2 ص 700.
- 13 - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص 107.
- 14 - مناقب الخوارزمي ص 23.
- 15 - السيرة الحلبية ج 3 ص 212.
- 16 - السيرة الدحلانية ج 3 ص 329.
- 17 - أسد الغابة لابن الأثير ج 2 ص 12.
- 18 - تفسير الطبري ج 22 ص 6.
- 19 - الدر المنثور للسيوطي ج 5 ص 198.
- 20 - تاريخ ابن عساكر ج 1 ص 185.
- 21 - تفسير الكشاف للزمخشري ج 1 ص 193.
- 22 - أحكام القرآن لابن عربي ج 2 - ص 166.
- 23 - تفسير القرطبي ج 14 ص 182.
- 24 - الصواعق المحرقة لابن حجر ص 85.
- 25 - الاستيعاب لابن عبد البر ج 3 ص 37.

- 26- العقد الفريد لابن عبد ربه ج 4 ص 311.
 27- منتخب كنز العمال ج 5 ص 96.
 28- مصابيح السنة للبغوي ج 2 ص 278.
 29- أسباب النزول للواحدي ص 203.
 30- تفسير ابن كثير ج 3 ص 483.

وغير هؤلاء من علماء أهل السنة والجماعة كثيرون لم نذكرهم واكتفينا في هذه العجالة بهذا القدر.

وإذا كان كل هؤلاء يعترفون بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بين المقصود من هذه الآية فما قيمة أقوال غيره من الصحابة أو التابعين أو المفسرين الذين يريدون حمل معناها على غير ما يريد الله ورسوله، ابتغاء مرضاة معاوية وطمعاً في ما عنده.

كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشار إليهم مرة أخرى وخصهم بأنهم هم أهل البيت لا غيرهم، وذلك عندما نزل قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61]. فدعا علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا فهلّموا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم. وفي رواية مسلم «اللهم هؤلاء أهلي»⁽¹⁾.

وعلماء أهل السنة والجماعة الذين ذكرتهم في المصادر السابقة كلهم يعترفون أيضاً بنزول هذه الآية في هؤلاء الخمسة المذكورين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

على أن أزواج النبي رضي الله تعالى عنهن عرفن مقصود الآية

(1) صحيح مسلم ج 7 ص 121.
 باب فضائل علي بن أبي طالب.

الكريمة ولذلك لم تدعي واحدة منهم أنها من أهل البيت وعلى رأسهن أم سلمة وعائشة وقد روت كل واحدة منهن أن الآية خاصة برسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين وقد أخرج اعترافهن كل من مسلم والترمذي والحاكم والطبري والسيوطي والذهبي وابن الأثير وغيرهم ..

أضف إلى كل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد رفع هذا اللبس وهذا الإشكال لأنه علم بأن المسلمين قد يقرؤون القرآن ويحملون أهل البيت على سياق الآيات السابقة واللاحقة والتي تحذر نساء النبي، فبادر إلى تعليم الأمة بمقصود آية إذهاب الرجس والتطهير عندما داوم طيلة ستة أشهر (بعد نزول الآية) على المرور بباب علي وفاطمة والحسين قبل الشروع في إقامة الصلاة فيقول: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً، قوموا إلى الصلاة يرحمكم الله﴾.

وقد أخرج هذه المبادرة التي فعلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الترمذي في صحيحه ج 5 ص 31 والحاكم في المستدرک ج 3 ص 158 والذهبي في تلخيصه - وأحمد بن حنبل في مسنده ج 3 ص 259 وابن الأثير في أسد الغابة ج 5 ص 521 والحسكاني في شواهد التنزيل ج 2 ص 11 والسيوطي في الدر المنثور ج 5 ص 199 والطبري في تفسيره ج 22 ص 6 والبلاذري في أنساب الأشراف ج 2 ص 104 وابن كثير في تفسيره ج 3 ص 483 والهيتمي في مجمع الزوائد ج 9 ص 168 وغيرهم.

وإذا أضفنا إلى كل هؤلاء أئمة أهل البيت وعلماء الشيعة الذين لا يشكون في اختصاص محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين بهذه الآية الكريمة فلا تبقى بعد ذلك أية قيمة لمن خالفهم من أعداء أهل البيت والمتشيعين لمعاوية وبني أمية الذين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وقد كشف أولئك الذين يفسرون الآية على غير تفسير النبي (ص)

لها، بأنهم من المترفين إلى الحكام من الأمويين والعباسيين قديماً، وحديثاً بأنهم من النواصب الذين يبغيضون علياً وإن تستروا بزَي العلماء والفقهاء.

على أن العقل وحده يحكم بعدم شمول هذه الآية، أعني (إذهاب الرجس - والتطهير) لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

1- فإذا ما أخذنا على سبيل المثال أم المؤمنين عائشة التي تدعي أنها أحب أزواج النبي (ص) إليه وأقربهم لديه حتى أن باقي أزواج النبي (ص) غرن منها وبعثن للنبي (ص) ينشدنه العدل في ابنة أبي قحافة كما قدمنا، لم تتجزأ، ولم يتجرأ أحد من أنصارها ومحبيها ولا من السابقين أو من اللاحقين أن يقول بأن عائشة كانت تحت الكساء يوم نزول الآية، فما أعظم محمد صلى الله عليه وآله في أقواله وأفعاله وما أعظم حكمته عندما حصر أهل بيته معه تحت الكساء حتى أن أم المؤمنين أم سلمة زوجة النبي (ص) أرادت الدخول معهم تحت الكساء وطلبت ذلك من زوجها رسول الله (ص) ولكنه منعها من ذلك وقال لها: «أنتِ إلى خير».

2- ثم إن الآية بمفهومها الخاص والعام دال على العصمة. فإن إذهاب الرجس يشمل كل الذنوب والمعاصي والرذائل صغيرها وكبيرها وخصوصاً إذا أضيف إليها تطهير من رب العزة والجلالة، وإذا كان المسلمون يتطهرون بالماء والتراب طهارة جسدية لا تتعدى ظاهر الجسم، فأهل البيت طهرهم الله طهارة روحية غسلت العقل والقلب والفؤاد فلم تترك لوساوس الشيطان ولا لارتكاب المعاصي مكاناً. فأصبحت قلوبهم صافية نقية خالصة مخلصمة لخالقها وبارئها في كل حركاتها وسكناتها.

3- ولكل ذلك كان هؤلاء المطهرون مثلاً للإنسانية جمعاء في الزهد والتقوى والإخلاص والعلم والحلم والشجاعة والمروءة والعفة والنزاهة والعزوف عن الدنيا والقرب منه جل وعلا ولم يسجل التاريخ لواحد منهم معصية أو ذنباً طيلة حياته.

وإذا كان الأمر كذلك، فلنعد إلى المثال الأول لزوجات النبي (ص) وهي عائشة التي بلغت من المرتبة السامية والمكانة العالية والشهرة الكبيرة ما لم تبلغه أية زوجة أخرى للنبي (ص)، لا ولا حتى لو جمعنا فضائلهن بأجمعهن ما بلغن عشر معشار عائشة بنت أبي بكر، هذا ما يقوله أهل السنة فيها والذين يعتبرون أن نصف الذين يؤخذ عنها وحدها.

وإذا ما تجردنا للحقيقة بدون تعصب ولا انحياز، فهل من المعقول أن يحكم العقل بأنها مطهرة من الذنوب والمعاصي؟ أم أن الله سبحانه رفع عنها حصانته المنية بعد موت زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فلننظر معاً إلى الواقع.

عائشة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وإذا ما بحثنا حياتها مع زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدنا الكثير من الذنوب والمعاصي، فكانت كثيراً ما تتأمر مع حفصة على النبي حتى اضطرت إلى تحريم ما أحل الله له كما جاء ذلك في البخاري ومسلم وتظاهرتا عليه أيضاً كما أثبت ذلك كل الصحاح وكتب التفسير وقد ذكر الله الحادثتين في كتابه العزيز.

كما كانت الغيرة تسيطر على قلبها وعقلها فتصرف بحضرة النبي تصرفاً بغير احترام ولا أدب، فمرة قالت للنبي (ص) عندما ذكر عندها خديجة: ما لي ولخديجة إنها عجوز حمراء الشدين أبدلك الله خيراً منها، فغضب لذلك رسول الله (ص) حتى اهتز شعره^(١) ومرة أخرى بعثت إحدى أمهات المؤمنين للنبي (وكان في بيتها) بصحفة فيها طعام كان النبي (ص) يشتهي، فكسرت الصحفة أمامه بطعامها^(٢) وقالت للنبي مرة أخرى: أنت

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٣١ باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وكذلك صحيح مسلم.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ١٥٧ في باب الغيرة.

الذي تزعم أنك نبي الله^(١) ومرة غضبت عنده فقالت له: اعدل وكان أبوها حاضراً فضربها حتى سال دمها^(٢) وبلغ بها الأمر من كثرة الغيرة أن تكذب على أسماء بنت النعمان لما زُفّت عروساً للنبي (ص)، فقالت لها: أن النبي (ص) ليعجب من المرأة إذا دخل عليها أن تقول له أعوذ بالله منك، وغرضها من وراء ذلك هو تطليق تلك المرأة البريئة الساذجة والتي طلقها النبي بسبب هذه المقالة^(٣). وقد بلغ من سوء أدبها مع حضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أنه كان يصلي وهي باسطة رجلها في قبلته فإذا سجد غمزها فقبضت رجلها وإذا قام أعادت بسطتها في قبلته^(٤).

وتأمرت هي وحفصة مرة أخرى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اعتزل نساءه بسببها لمدة شهر كامل بنام على حصار^(٥). ولما نزل قول الله تعالى: ﴿تُرجي من تشاء وتنوي إليك من تشاء...﴾ قالت للنبي في غير حياء: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك^(٦) وكانت عائشة إذا غضبت (وكثيراً ما كانت تغضب) تهجر اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا تذكر اسم محمد وإنما تقول ورب إبراهيم^(٧).

وقد أساءت عائشة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً وجرعت الغصص ولكن النبي (ص) رؤوف رحيم، وأخلاقه عالية وصبره عميق، فكان كثيراً ما يقول لها: «الْبَسْكِ شَيْطَانُكِ يَا عَائِشَةُ» وكثيراً ما كان يأسي لتهديد الله لها ولحفصة بنت عمر، وكم من مرة ينزل القرآن بسببها

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ج ٢ ص ٢٩ كتاب أدب النكاح.

(٢) كنز العمال ج ٧ ص ١١٤ وكذلك إحياء العلوم للغزالي.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٨ ص ١٤٥ - الإصابة لابن حجر ج ٤ ص ٢٣٣ - تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٦٩.

(٤) صحيح البخاري ج ١ ص ١٠١ باب الصلاة على الفراش.

(٥) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٠٥ في باب الغرفة والعلية المشرفة من كتاب المظالم.

(٦) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٤ وص ١٢٨ باب هل للمرأة أن تهب نفسها لأحد.

صحيح مسلم باب جواز هبة المرأة نوبتها لضرتها.

(٧) صحيح البخاري ج ٦، ص ١٥٨ باب غيرة النساء ووجدهن.

فقد قال تعالى لها ولحفصة: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، أي أنها زَاغَتْ وانحرفت عن الحق^(١) وقوله: ﴿إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ هو تهديد صريح من رب العزة لها ولحفصة التي كانت كثيراً ما تنصاع لها وتعمل بأوامرها. وقال الله لهما: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ﴾ وهذه الآيات نزلت في عائشة وحفصة بشهادة عمر بن الخطاب كما جاء في البخاري^(٢). فدلّت هذه الآية لوحدها على وجود نساء مؤمنات في المسلمين خير من عائشة.

ومرة بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يخطب لنفسه شراف أخت دحية الكلبي، وطلب من عائشة أن تذهب وتنظر إليها ولما رجعت كانت الغيرة قد أكلت قلبها فسألها رسول الله صلى الله عليه وآله ما رأيت يا عائشة؟ فقالت: ما رأيت طائلاً! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لقد رأيت طائلاً، لقد رأيت خالاً تجدها اقشعرت منه ذوائبك. فقالت: يا رسول الله ما ذلك سر، ومن يستطيع أن يكتمك^(٣).

وكل ما فعلته عائشة مع حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مؤامرات كانت في أغلب الأحيان تجرّ معها حفصة بنت عمر والغريب أننا نجد تفاهماً وانسجاماً تاماً بين المرأتين عائشة وحفصة كالانسجام والتفاهم بين أويهما أبو بكر وعمر غير أنه في النساء كانت عائشة دائماً هي الجريئة والقوية وصاحبة المبادرة وهي التي كانت تجرّ حفصة بنت عمر وراءها في كل شيء. بينما كان أبوها أبو بكر ضعيفاً أمام عمر الذي كان هو الجريء والقوي وصاحب المبادرة في كل شيء ولقد رأينا في ما مرّ من الأبحاث أنه حتى في خلافته كان ابن الخطاب هو الحاكم الفعلي - وقد حدث بعض

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٠٦ باب الفرقة والعلية من كتاب المظالم.

(٢) صحيح البخاري ج ٦ ص ٦٩ وص ٧١ باب وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه.

(٣) طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٥ كنز العمال ج ٦ ص ٢٩٤.

المؤرخين أن عائشة لما همت بالخروج إلى البصرة لمحاربة الإمام علي فيما سُمّي بحرب الجمل أرسلت إلى أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين تسألهن الخروج معها فلم يستجب لها منهن إلا حفصة بنت عمر التي تجهزت وهمت بالخروج معها لكن أخاها عبد الله بن عمر هو الذي منعها وعزم عليها فحطت رحلها^(١) ومن أجل ذلك كان الله سبحانه يتهدد عائشة وحفصة معاً في قوله: ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا﴾ وكذلك قوله: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ ولقد ضرب الله لهما مثلاً خطيراً في سورة التحريم ليُعلمهما وبقية المسلمين الذين يعتقدون بأن أم المؤمنين تدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب لأنها زوجة الرسول (ص) كلاً، فقد أعلم الله عباده ذكوراً وإناثاً بأن مجرد الزوجية لا تضر ولا تنفع حتى ولو كان الزوج رسول الله (ص) وإنما الذي ينفع ويضر عند الله هو فقط أعمال الإنسان. قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾ [التحريم: 10].

وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذا قالت: ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين. ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ [التحريم: 11-12].

وبهذا يتبين لكل الناس بأن الزوجية والصحة وإن كانت فيهما فضائل كثيرة إلا أنهما لا يغنيان من عذاب الله إلا إذا اتسمتا بالأعمال الصالحة، وإلا فإن العذاب يكون مضاعفاً. لأن عدل الله سبحانه يقتضي أن لا يعذب البعيد الذي لم يسمع الوحي كالقريب الذي ينزل القرآن في بيته والإنسان الذي عرف الحق فعانده كالجاهل الذي لم يعرف الحق.

(١) ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ج 2 ص 80.

واليك الآن أيها القارئ بعض رواياتها بشيء من التفصيل لكي
تعرف على شخصية هذه المرأة التي لعبت أكبر الأدوار في إبعاد علي عن
الخلافة وحاربه بكل ما أوتيت من قوة ودهاء.

ولكي تعرف أيضاً بأن آية إذهاب الرجس والتطهير بعيدة عنها بُعد
السماء عن الأرض، وأن أهل السنة أكثرهم ضحايا الدس والتزوير فهم أتباع
بني أمية من حيث لا يشعرون.

أم المؤمنين عائشة تشهد على نفسها

ولنستمع إلى عائشة تروي عن نفسها وكيف تفقدتها الغيرة صوابها،
فتصرف بحضرة النبي (ص) تصرفاً لا أخلاقياً، قالت: «بعثت صفية زوج
النبي إلى رسول الله بطعام قد صنعت له، وهو عندي، فلما رأيت الجارية
أخذتني رعدة حتى استقلني أفكل، فضربت القصعة ورميت بها، قالت: فنظر
إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفت الغضب في وجهه، فقلت:
أعوذ برسول الله أن يلعنني اليوم، قالت: قال: أولي، قلت وما كفارته يا
رسول الله؟ قال: طعام كطعامها وإناء كإنائها»⁽¹⁾.

ومرة أخرى تروي عن نفسها، قالت: قلت للنبي حسبك من صفية
كذا وكذا، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: لقد قلت كلمة لو مزجت
بماء البحر لمزجته⁽²⁾.

سبحان الله! أين أم المؤمنين من الأخلاق وأبسط الحقوق التي فرضها
الإسلام في تحريم الغيبة والنميمة؟ ولا شك بأن قولها: «حسبك من صفية
كذا وكذا»، وقول الرسول بأنها كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته، بأن ما
قالته عائشة في ضررتها أم المؤمنين صفية أمر عظيم. وخطب جسيم.

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 6 ص 277 وسنن النسائي ج 2 ص 148.

(2) صحيح الترمذي وقد رواه عنه الزركشي في صفحة 73.

وأعتقد بأن رواية الحديث استفضعوها واستعظموها فأبدلوها بعبارة (كذا وكذا) كما هي عادتهم في مثل هذه القضايا.

وها هي عائشة أم المؤمنين تحكي مرة أخرى عن غيرتها من أمهات المؤمنين قالت: ما غرتُ على امرأة إلا دون ما غرتُ على مارية، وذلك أنها كانت جميلة جمدة وأعجب بها رسول الله، وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت حارثة بن النعمان، وفزعنا لها فجزعتُ، فحولها رسول الله إلى العالية فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشد علينا ثم رزقه الله الولد منها وحرمانه^(١).

كما أن عائشة تعدت غيرتها دائرة مارية ضررتها إلى إبراهيم المولود الرضيع البريء! قالت: لما ولد إبراهيم جاء به رسول الله إليّ، فقال: أنظري إلى شبهه بي، فقلت: ما أرى شبهاً. فقال رسول الله: ألا ترين إلى بياضه ولحمه؟ قالت فقلت: من سقي ألبان الضأن إبيضَ وسمن^(٢).

وقد تعدت غيرتها كل الحدود وفاتت كل تعبير عندما وصلت بها الظنون والوساوس إلى الشك في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكانت كثيراً ما تتظاهر بالنوم عندما يبات عندها رسول الله ولكنها ترقب زوجها وتحسّر مكانه في الظلام وتتعبّه أين ما ذهب وإليك الرواية عن لسانها والتي: أخرجها مسلم في صحيحه والإمام أحمد في مسنده وغيرهم قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجله وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريشاً ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً فجعلتُ درعي في رأسي

(١) الطبقات الكبرى لأبن سعد ج ٨ ص ٢١٢، أنساب الأشراف ج ١ ص ٤٤٩ الإصابة في معرفة الصحابة للمصنفاني أخرجها في ترجمة مارية القبطية.

(٢) الطبقات الكبرى لأبن سعد ج ١ ص ٣٧ ترجمة إبراهيم بن النبي - وكذلك في أنساب الأشراف.

واختمرت وتفتحت إذاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث مرات ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهورل فهورل فاحضر فاحضر فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال: مالك يا عائش حشياً رابية؟ قالت قلت: لا شيء قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير قالت قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته قال: فانت السواد الذي رأيت أمامي قلت: نعم، فلهديني في صدري لهدية أوجعتني ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله... (1).

ومرة أخرى قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فظننت أنه أتى بعض جواريه، فطلبتة فإذا هو ساجد يقول: رب اغفر لي (2) وأخرى قالت: إن رسول الله خرج من عندي ليلاً، قالت: فغرت عليه، قالت فجاء فرأى ما أصنع فقال: مالك يا عائشة، أغرت؟ فقلت: ومالي أن لا يغار مثلي على مثلك! فقال رسول الله: أفأخذك شيطانك؟... (3).

وهذه الرواية الأخيرة تدل دلالة واضحة على أنها عندما تغار تخرج عن أطوارها وتفعل أشياء غريبة كأن تكسر الأواني أو تمزق الملابس مثلاً. ولذلك تقول في هذه الرواية فلما جاء ورأى ما أصنع قال: أفأخذك شيطانك؟

ولا شك أن شيطان عائشة كان كثيراً ما يأخذها أو يلبسها وقد وجد لقلبها سبيلاً من طريق الغيرة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «الغيرة للرجل إيمان وللمرأة كفر». باعتبار أن الرجل يغار على زوجته لأنه لا يجوز شرعاً أن يشاركه فيها أحد - أما المرأة فليس من

(1) صحيح مسلم ج 3 ص 64 باب ما يقال عند دخول القبور - مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص 221.

(2) مسند الإمام أحمد ج 6 ص 147.

(3) مسند أحمد بن حنبل ج 6 ص 115.

حقها أن تغار على زوجها لأن الله سبحانه أباح له الزواج بأكثر من واحدة،
فالمراة الصالحة المؤمنة التي أذعنت لأحكام الله سبحانه تتقبل ضررتها بنفس
رياضية كما يقال اليوم وخصوصاً إذا كان زوجها عادلاً مستقيماً يخاف الله،
فما بالك بسيد الإنسانية ورمز الكمال والعدل والخلق العظيم؟ على أننا نجد
تناقضاً واضحاً في خصوص حب النبي (ص) لعائشة وما يقوله أهل السنة
والجماعة من أنها كانت أحب نساءه إليه وأعزهم لديه حتى أنهم يروون أن
بعض نساءه وهبن نوبتهن لعائشة لما علمن بأن النبي (ص) يحبها ولا يصبر
عليها، فهل يمكن والحال هذه أن نجد مبرراً وتفسيراً لغيرة عائشة
المفرطة؟ والمفروض أن العكس هو الصحيح. أي أن تغار بقية أزواج
النبي (ص) من عائشة لشدة حبه إياها وميله معها كما يروون ويزعمون، وإذا
كانت هي المدللة عند الرسول (ص) فما هو مبرر الغيرة؟

والتاريخ لم يحدث إلا بأحاديثها وكتب السيرة طافحة إلا بتمجيدها
وأنها حبيبة رسول الله (ص) المدللة التي كان لا يطيق فراقها.

وأعتقد بأن كل ذلك من الأمويين الذين أحبوا عائشة وفضلوها لما
خدمت مصالحهم وروت لهم ما أحبوا وحاربت عدوهم علي بن أبي طالب.

وكما أعتقد بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يحبها لما فعلته
معه كما قدمنا! وكيف يحب رسول الله من تكذب وتغتاب وتمشي بالنميمة
وتشك في الله ورسوله وتظن منهما الحيف - كيف يحب رسول الله صلى الله
عليه وآله من تتجسس عليه وتخرج من بيتها بدون إذنه لتعلم أين يذهب
- كيف يحب رسول الله صلى الله عليه وآله من تشتم زوجاته بحضرته ولو
كن أمواتاً - كيف يحب رسول الله صلى الله عليه وآله من تبغض ابنه إبراهيم
وترمي أمه مارية بالإفك^(١) - كيف يحب رسول الله صلى الله عليه وآله من
تدخل بينه وبين زوجاته بالكذب مرة وبإثارة الأحقاد أخرى وتسبب في

(١) يراجع في هذا الموضوع كتاب حديث الإفك للعلامة جعفر مرتضى العاملي.

طلاقهن - كيف يحب رسول الله صلى الله عليه وآله من تبغض إبتته الزهراء وتبغض أخاه وابن عمه علي بن أبي طالب إلى درجة أنها لا تذكر اسمه ولا تطيب له نفساً بخير^(١). كل هذا وأكثر في حياته صلى الله عليه وآله أما بعد وفاته فحدث ولا حرج.

وكل هذه الأفعال بمقتها الله ورسوله (ص) ولا يحب أن فاعلها، لأن الله هو الحق ورسوله (ص) يمثل الحق، فلا يمكن له أن يحب من كان على غير الحق.

وسوف نعرف خلال الأبحاث القادمة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يحبها، بل إنه حذر الأمة من فتنها^(٢).

سألت بعض شيوخنا مرة عن سبب حب النبي المفرط لعائشة بالذات دون سواها؟ فأجابوني بأجوبة عديدة كلها مزيفة.

قال أحدهم: لأنها جميلة وصغيرة وهي البكر الوحيدة التي دخل بها ولم يشاركه فيها أحد سواه. وقال آخر: لأنها ابنة أبي بكر الصديق صاحبه في الغار.

وقال ثالث: لأنها حفظت عن رسول الله نصف الدين فهي عالمة الفقهية. وقال رابع: لأن جبرئيل جاءه بصورتها وكان لا يدخل على النبي إلا في بيتها.

وأنت كما ترى أيها القارئ بأن كل هذه الدعايات لا تقوم على دليل ولا يقبلها العقل والواقع، وسوف نأتي على نقضها بالأدلة، فإذا كان الرسول يحبها لأنها جميلة وهي البكر الوحيدة التي دخل بها، فما الذي يمنعه من الزواج بالابكار الجميلات اللاتي كنّ بارعات في الحسن والجمال وكنّ

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٣٥ باب هبة الرجل لامرأته من كتاب الهبة وفضلها.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٢ ص ٢٩.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٦ باب ما جاء في بيوت أزواج النبي من كتاب الجهاد والسير.

مضرب الأمثال في القبائل العربية وكنّ رهن إشارته، على أنّ المؤرخين يذكرون غيرة عائشة من زينب بنت جحش ومن صفية بنت حيي ومن مارية القبطية لأنهن كنّ أجمل منها.

روى ابن سعد في طبقاته ج 8 ص 148 وابن كثير في تاريخه ج 5 ص 299 أنّ النبي صلى الله عليه وسلم تزوّج مليكة بنت كعب، وكانت تعرف بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة، فقالت لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك، فاستعاذت من رسول الله (ص) فطلقها فجاء قومها إلى النبي (ص) فقالوا: يا رسول الله إنها صغيرة وإنها لا رأي لها، وإنها خدعت فارتجعها، فأبى رسول الله (ص)، وكان أبوها قد قُتل في يوم فتح مكة، قتله خالد بن الوليد بالخدمة.

وهذه الرواية تدلنا بوضوح بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان همّه من الزواج الصغير والجمال إلّا لما طلق مليكة بنت كعب وهي صغيرة وبارعة في الجمال، كما تدلنا هذه الرواية وأمثالها على الأساليب التي إتبعنها عائشة في خداع المؤمنات البريئات وحرمانهن من الزواج برسول الله (ص)، وقد سبق لها أن طلقت أسماء بنت النعمان لما غارت من جمالها وقالت لها: إن النبي (ص) ليعجبهُ من المرأة إذا دخل عليها أن تقول له: أعوذ بالله منك. وهذه مليكة، تُشير فيها حساسية مقتل أبيها وأن قاتله هو رسول الله وتقول لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك. فما كان جواب هذه المسكينة إلّا أنها استعادت من رسول الله! وما عساها أن تقول غير ذلك والناس لا يزالون حديثي عهد بالجاهلية الذين يأخذون بالثأر ويعيرون من لا يثأر لأبيه؟

بقي أن نتساءل ويحق لنا أن نتساءل: لماذا يطلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هاتين المرأتين البريئتين واللّتين ذهبنا ضحية مكر وخداع عائشة لهنّ؟

وقبل كل شيء لا بد لنا أن نضع في حسابنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوم ولا يظلم أحداً ولا يفعل إلا الحق فلا بد أن يكون في تطليقهن حكمة يعلمها الله ورسوله (ص) كما أن عدم تطليق عائشة رغم أفعالها فيه أيضاً حكمة، ولعلنا نقف على شيء منها في الأبحاث المقبلة.

أما بالنسبة للمرأة الأولى وهي أسماء بنت النعمان فقد ظهرت سداجتها عندما انطلقت عليها حيلة عائشة فأول كلمة قابلت بها رسول الله (ص) عندما مدّ يده إليها هي: «أعوذ بالله منك». ورغم جمالها البارع فلم يبقها رسول الله (ص) لبلاحتها يقول ابن سعد في طبقاته في ج 8 ص 149 وغيره عن ابن عباس قال: «تزوج رسول الله (ص) أسماء بنت النعمان وكانت من أجمل أهل زمانها وأتمه». ولعله صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يعلمنا أن رجاحة العقل أولى من الجمال. فكم من امرأة جميلة جرّها غباؤها للفاحشة.

أما بالنسبة للمرأة الثانية وهي مليكة بنت كعب والتي عيرتها عائشة بأن زوجها هو قاتل أبيها، فلم يرد النبي (ص) أن تعيش هذه المسكينة (والتي هي صغيرة السن ولا رأي لها كما شهد بذلك قومها) على هواجس ومخاوف قد تسبب مصائب كبرى خصوصاً وأن عائشة سوف لن تتركها تترتاح مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولا شك أن هناك أسباباً أخرى يعلمها رسول الله وغابت عنا.

والمهم أن نعرف بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يجري وراء الجمال والشهوات الجسدية والجنسية كما يتوهمه بعض الجاهلين وبعض المستشرقين الذين يقولون كان همّ محمد هو النساء الحسنات.

وقد رأينا كيف طلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هاتين المرأتين رغم صغرهما وجمالهما فكانتا أجمل أهل زمانهما وأتمه كما جاء

في كتب التاريخ وكتب الحديث - فقول من يدعي أن رسول الله (ص) يحب عائشة لصفرها وجمالها مردود ولا يقبل.

أما القائلين بأن حبه إياها لأنها ابنة أبي بكر، فهذا غير صحيح، ولكن يمكننا أن نقول بأنه تزوجها من أجل أبي بكر، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوج من عدة قبائل زواجا سياسياً لتأليف القلوب ولتسود المودة والرحمة في تلك القبائل بدلاً من التنافر والتباغض فقد تزوج النبي (ص) بأم حبيبة أخت معاوية وهي بنت أبي سفيان العدو الأول للنبي (ص) وذلك لأنه لا يحقد وهو رحمة للعالمين، وقد تعدى عطفه وحنانه القبائل العربية إلى مصاهرة اليهود والنصارى والأقباط ليقرب أهل الأديان بعضهم من بعض.

وبالخصوص إذا عرفنا من خلال ما نقرأه في كتب السيرة بأن أبا بكر هو الذي طلب من النبي (ص) بأن يتزوج من ابنته عائشة، كما طلب عمر من النبي (ص) بأن يتزوج ابنته حفصة، وقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن قلبه يسع أهل الأرض كلهم.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

وإذا رجعنا إلى الرواية التي روتها عائشة وقالت فيها بأن رسول الله (ص) لم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه، عرفنا كذب الزعم بأنه (ص) لا يصبر عنها^(١).

وهذا الاستنتاج ليس استنتاجاً عفويّاً ألفه خيالي، كلاً فإن له أدلة في صحاح السنة، فقد روى مسلم في صحيحه وغيره من صحاح أهل السنة، أن عمر بن الخطاب قال: لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم نساءه قال دخلت المسجد فإذا الناس يكتئون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ٦٤ ومسنَد الإمام أحمد ج ٦ ص ٢٢١.

الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل أن يؤمرن بالحجاب، فقال عمر: فقلت لأعلمن ذلك اليوم قال: فدخلت على عائشة فقلت:

يا بنت أبي بكر أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: مالي ومالك يا ابن الخطاب عليك بعبيتك! قال: فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها، يا حفصة أقد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكث أشد البكاء... الحديث^(١).

إن هذه الرواية تدلنا بوضوح لا يقبل الشك في أن زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حفصة بنت عمر لم يكن عن محبة، ولكنه لمصلحة سياسية اقتضتها الظروف.

ومما يزيدنا يقيناً بصحة ما ذهبنا إليه في هذا الاستنتاج أن عمر بن الخطاب يقسم بالله بأن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يحب حفصة ويزيدنا عمر يقيناً جديداً بأن ابنته حفصة تعلم هي الأخرى هذه الحقيقة المؤلمة، إذ يقول لها: «والله لقد علمت بأن رسول الله لا يحبك».

ثم لا يبق لنا أدنى شك في أن الزواج منها كان لمصلحة سياسية عندما قال: «ولولا أنا لطلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(١).

فهذه الرواية تعطينا أيضاً فكرة على زواج النبي صلى الله عليه وآله بعائشة بنت أبي بكر، وأنه صبر وتحمل كل أذاها من أجل أبي بكر أيضاً، وإلا فإن حفصة أولى بحب الرسول وتقديره، لأنه لم يصدر منها ما يُسيء للنبي صلى الله عليه وآله عشر معشار ما فعلته عائشة بنت أبي بكر.

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ١٨٨ في باب الإيلاء واعتزال النساء وتخبرهن وقوله تعالى: ﴿وإن نظاهرا عليه﴾.

وإذا بحثنا في الواقع العملي بقطع النظر عن الروايات الموضوعية التي نَمَقها بنو أمية في فضائل عائشة لوجدنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ كثيراً ما يتأذى منها وكثيراً ما يغضب عليها، وما نحن ننقل رواية واحدة أخرجها البخاري وكثير من المحدثين من أهل السنة، تعربُ عن مدى النفور الذي كانت تشعُرُ به أم المؤمنين عائشة من قِبَل زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أخرج البخاري في صحيحه في الجزء السابع في باب قول المريض إني وجع، أو وأرأساه.

قال: سمعتُ القاسم بن محمد قال قالت عائشة: وأرأساه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك لو كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرُ لَكَ وَأَدْعُو لَكَ، فَقَالَت عَائِشَةُ: وَاتَّكَلَيْتَاهُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا ظَنِّكَ تَجِبُ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَاكَ لَطَلَّيْتُ آخِرَ يَوْمِكَ مُعْرُساً بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ» (١).

فهل تدلُّك هذه الرواية على حُبِّ النبي لعائشة؟؟

ونخلص بالأخير إلى أن بني أمية وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان، يبخسون رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنذ أن آلت إليهم الخلافة عملوا على قلب الحقائق ظهراً على عقب، ورفعوا أقواماً إلى القمة من المجد والعظمة بينما كانوا في حياة النبي أناساً عاديين وليس لهم شأن كبير، ووضعوا آخرين كانوا في قمة الشرف والعزة أيام النبي (ص).

وأعتقد أن ميزانهم الوحيد في الرفع والوضع هو فقط عداؤهم الشديد وبغضهم اللامحدود لمحمد وأهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين، فكل شخص كان ضد الرسول صلى الله عليه وآله وضد أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً رفعوا من شأنه واختلقوا له روايات

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٨ من كتاب المرضى والطب.

وفضائل وقربوه وأعطوه المناصب والعطايا فأصبح يحظى بتقدير الناس واحترامهم

وكل شخص كان يحب الرسول (ص) ويدافع عنه، عملوا على انتقاصه وخلق المعاييب الكاذبة له واختلاق الروايات التي تنكر فضله وفضائله.

وهكذا أصبح عمر بن الخطاب الذي كان يعارضه في كل أوامره حتى رماه بالهجر في أواخر أيام حياته صلى الله عليه وآله وسلم. أصبح هذا الرجل هو قمة الإسلام عند المسلمين زمن الدولة الأموية.

أما علي بن أبي طالب الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى والذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله والذي هو ولي كل مؤمن أصبح يلعن على منابر المسلمين ثمانين عاماً.

وهكذا أصبحت عائشة التي جرعت رسول الله الفُصص وعصت أوامره كما عصت أمر ربها، وحاربت وصي رسول الله وتسببت في أكبر فتنة عرفها المسلمون والتي قُتل فيها آلاف المسلمين، أصبحت هذه المرأة هي أشهر نساء الإسلام وعنها تُؤخذ الأحكام - أما فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين التي يغضب رب العزة لغضبها ويرضى لرضاها، أصبحت نسياً منسياً ودُفنت في الليل سرّاً بعد ما هذدوها بالحرق وعصروا على بطنها بالباب حتى أسقطت جنينها ولا أحد من المسلمين من أهل السنة يعرف رواية واحدة تنقلها عن أبيها.

وهكذا أصبح يزيد بن معاوية وزيد بن أبيه وابن مرجانة وابن مروان والحجاج وابن العاص وغيرهم من الفساق الملعونين بنص الكتاب على لسان نبي الله. نعم أصبح هؤلاء أمراء المؤمنين وولاة أمورهم - أما الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة وريحاننا النبي من هذه الأمة، والأئمة من

عتره الرسول الذين هم أمان الأمة، أصبحوا مشردين مسجونين مقتولين مسمومين..

وهكذا أصبح أبو سفيان المنافق الذي ما وقعت حربٌ ضدَّ الرسول إلا وكان هو قائدها، أصبح محموداً مشكوراً حتى قيل من دخل داره كان آمناً أما أبو طالب حامي النبي وكفيله والمدافع عنه بكل ما يملك، والذي قضى حياته مناوئاً لقومه وعشيرته من أجل دعوة ابن أخيه حتى قضى ثلاث سنوات في الحصار مع النبي في شعب مكة وكنتم إيمانه لمصلحة الإسلام أي لإبقاء بعض الجسور مفتوحة مع قريش فلا يؤذون المسلمين كما يريدون - وذلك كمؤمن آل فرعون الذي كنتم إيمانه. أما هذا فكان جزاؤه ضخضاح من نار يضع فيها رجله فيغلي منها دماغه، وهكذا أصبح معاوية بن أبي سفيان الطليق بن الطليق واللعين بن اللعين ومن كان يتلاعب بأحكام الله ورسوله ولا يقيم لها وزناً ويقتل الصالحاء والأبرياء في سبيل الوصول إلى أهدافه الخبيسة ويسب رسول الله (ص) على مرأى ومسمع من المسلمين^(١)، أصبح هذا الرجل يسمى كاتب الرجي ويقولون بأن الله إئتمن على وحيه جبرئيل ومحمداً ومعاوية وأصبح يوصف بأنه رجل الحكمة والسياسة والتدبير.

أما أبو ذر الغفاري الذي ما أقلت الخضراء ولا أظلت الغبراء أصدق ذي لهجة منه، فأصبح صاحب فتنة يضرب ويشرد ويُنفي إلى الربذة وأما سلمان والمقداد وعمار وحذيفة وكل الصحابة المخلصين الذين والوا علياً وتشيعوا له فقد لاقوا التعذيب والتشريد والقتل.

وهكذا أصبح أتباع مدرسة الخلفاء وأتباع معاوية وأصحاب المذاهب الذين أوجدتهم السلطة الجائرة، أصبحوا هم أهل السنة والجماعة وهم

(١) يقول الشاعر في هذا المعنى:

حاندوا وأحمده وصادوا علياً وتولوا منافقاً وضرباً
واسرّوا سبَّ النبي نفاقاً حين سبّوا جهراً أحماءً علياً

الذين يمثلون الإسلام ومن خالفهم كان من الكافرين . ولو اقتدى بأئمة أهل البيت الطيبين الطاهرين .

أما أتباع مدرسة أهل البيت الذين اتبعوا باب مدينة العلم وأول الناس إسلاماً ومن كان الحق يدور معه حيث دار، وتشيعوا لأهل البيت واتبعوا الأئمة المعصومين، أصبحوا هم أهل البدعة والضلالة ومن خالفهم وحاربهم كان من المسلمين * فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصدق الله إذ يقول:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُ الَّذِينَ آمَنُوا كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 13].

وإذا رجعنا إلى موضوع حب الرسول صلى الله عليه وآله لعائشة لأنها حفظت عنه نصف الدين وكان يقول خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء، فهذا حديث باطل لا أساس له من الصحة ولا يستقيم مع ما روي عن عائشة من أحكام مضحكة مبكية ينتزه عن ذكرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ويكفيها مثلاً على ذلك قضية رضاعة الكبير التي كانت تروى عن رسول الله (ص) والتي أخرجها مسلم في صحيحه ومالك في موطأه والتي وافينا البحث فيها في كتابنا «لاكون مع الصادقين» فمن أراد التفصيل والوقوف على جليلة الأمر فليراجعه.

ويكفي في هذه الرواية الشيعة أن زوجات النبي كلهن رفضن العمل بها وأنكرنها . وحتى أن راويها بقي عامماً كاملاً يتهيب أن يذكرها لفظاً عنها وقلة حباؤها.

وإذا ما رجعنا إلى صحيح البخاري في باب يقصر من الصلاة إذا خرج من موضعه، قال: عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها

قالت: الصَّلَاةُ أَوَّلُ مَا فُرِضَتْ رَكْعَتَانِ فَأَقْرَبَتْ صَلَاةَ السَّفَرِ وَأَتِمَّتْ صَلَاةَ الْحَضَرِ، قَالَ الزَّهْرِيُّ: فَقُلْتُ لَعَرُوءَ فَمَا بَالُ عَائِشَةَ تُتَمُّ؟ قَالَ: تَأَوَّلْتُ مَا تَأَوَّلَ عِثْمَانُ - وَأَخْرَجَهَا مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ فِي بَابِ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصَرَهَا وَبِعِبَارَةٍ أَوْضَحَ مِمَّا فِي الْبَخَارِيِّ. قَالَ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ عَرُوءَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ الصَّلَاةَ أَوَّلُ مَا فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ فَأَقْرَبَتْ صَلَاةَ السَّفَرِ وَأَتِمَّتْ صَلَاةَ الْحَضَرِ، قَالَ الزَّهْرِيُّ فَقُلْتُ لَعَرُوءَ: مَا بَالُ عَائِشَةَ تُتَمُّ فِي السَّفَرِ؟ قَالَ: إِنَّهَا تَأَوَّلْتُ كَمَا تَأَوَّلَ عِثْمَانُ.

إِنَّهُ التَّنَاقُضُ الصَّرِيحُ، فَهِيَ الَّتِي تَرَوِي بِأَنَّ صَلَاةَ الْمَسَافِرِ فُرِضَتْ رَكْعَتَيْنِ وَلَكِنَّهَا تُخَالَفُ مَا افْتَرَضَهُ اللَّهُ وَعَمِلَ بِهِ رَسُولُهُ (ص) وَتَتَأَوَّلُ لِتَغْيِيرِ أَحْكَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (ص) إِحْيَاءَ لِسَنَةِ عِثْمَانَ وَلِهَذِهِ الْأَسْبَابُ نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ فِي صَحَاحِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَلَكِنْ لَا يَعْمَلُونَ بِهَا لِأَنَّهُمْ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ يَأْخُذُونَ بِتَأَوَّلِ أَبِي بَكْرٍ وَتَأَوَّلِ عُمَرَ وَتَأَوَّلِ عِثْمَانَ وَتَأَوَّلِ عَائِشَةَ وَتَأَوَّلِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

فَإِذَا كَانَتْ الْحَمِيرَاءُ الَّتِي يَأْخُذُ عَنْهَا نِصْفُ الدِّينِ تَتَأَوَّلُ فِي أَحْكَامِ اللَّهِ كَيْفَ نَشَاءُ، فَلَا أَعْتَقِدُ بِأَنَّ زَوْجَهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَرْضَى مِنْهَا هَذَا وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِالِاقْتِدَاءِ بِهَا، عَلَى أَنَّهُ وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ وَصَحَاحِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ فِي اتِّبَاعِهَا مَعْصِيَةَ اللَّهِ، وَسُنُوفِيكَ بِذَلِكَ فِي أَوَانِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَأَمَّا الْقَائِلُونَ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحِبُّهَا لِأَنَّ جِبْرِئِيلَ أَتَاهُ بِصُورَتِهَا قَبْلَ الزَّوْجِ وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ إِلَّا فِي بَيْتِهَا فَهَذِهِ رَوَايَاتُ تَضْحَكُ الْمَجَانِينِ وَلَسْتُ أَدْرِي أَكَانَتْ الصُّورَةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا جِبْرِئِيلُ فُتُوغْرَافِيَّةً أَمْ لَوْحَةً زَيْتِيَّةً، عَلَى أَنَّ صَحَاحَ أَهْلِ السُّنَّةِ يَرَوُونَ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ بَعَثَ بِعَائِشَةَ إِلَى النَّبِيِّ (ص) وَمَعَهَا طَبَقٌ مِنَ التَّمْرِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا وَهُوَ الَّذِي دُخِلَ مِنْ النَّبِيِّ (ص) أَنَّ يَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ، فَهَلْ هُنَاكَ دَاعٌ لِيَنْزِلَ جِبْرِئِيلُ بِصُورَتِهَا وَهِيَ تَسْكُنُ عَلَى بَعْدِ بَضْعِ أُمْتَارٍ مِنْ مَسْكَنِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَأَعْتَقِدُ لَنْ مَارِيَةٍ

القبطية التي كانت تسكن مصر وهي بعيدة عن رسول الله (ص) وما كان أحد يتصور مجيئها، هي أولى بأن ينزل جبرئيل بصورتها ويبشر رسول الله (ص) بأن الله سيرزقه منها إبراهيم.

ولكن هذه الروايات هي من وضع عائشة التي كانت لا تجد شيئاً تفتخر به على ضرأتها إلا الأساطير التي يخلقها خيالها، أو أنها من وضع بني أمية على لسانها ليرفعوا من شأنها عند بسطاء العقول.

وأما أن جبرئيل كان لا يدخل على محمد (ص) وهو مضطجع إلا في بيت عائشة فهي أقبح من الأولى والمعلوم من القرآن الكريم أن الله هددها عندما تظاهرت على رسوله، هددها بجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا.

فما أقوال شيوخنا وعلمائنا إلا ضرب من الظن والخيال وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً - قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون -

عائشة فيما بعد النبي صلى الله عليه وآله

أما إذا درسنا حياة أم المؤمنين عائشة ابنة أبي بكر بعد لحوق زوجها بالرفيق الأعلى روعي له الفداء. وبعد ما خلا لها الجو وأصبح أبوها هو الخليفة والرئيس على الأمة الإسلامية وأصبحت هي حينذاك المرأة الأولى في الدولة الإسلامية لأن زوجها رسول الله وأبوها هو خليفة رسول الله.

ولأنها كما تعتقد هي أو توهم نفسها بأنها أفضل أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لا شيء إلا لأنه تزوجها بكرًا وما تزوج بكرًا غيرها، وقد توفي عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي في عز شبابها وزهرة عمرها فكان عمرها يوم وفاة زوجها ثمانية عشر عاماً على أكثر التقادير وأشهر الروايات، ولم تعاشر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوى ست أو ثمان سنوات على اختلاف الرواة قضت السنوات الأولى منها تلعب ألعاب

الأطفال وهي زوجة النبي (ص) وهي كما وصفتها بريرة جارية رسول الله (ص) عندما قالت في عائشة «إنها جارية حديثة السن تنام عن المعجين فتأتي الداجن فتأكله»^(١).

نعم ثمانية عشر عاماً لفتاة بلغت سن المراهقة كما يقال اليوم وقضت نصف عمرها مع صاحب الرسالة وبين ضرات يبلغ عددهن عشر أو تسع زوجات وهناك امرأة أخرى أغفلنا ذكرها في حياة عائشة وكانت أشد عليها من كل ضرة لأن حب الرسول (ص) لها فاق التصور وهذه المرأة هي فاطمة الزهراء ربيبة عائشة ابنة رسول الله (ص) من خديجة وما أدراك ما خديجة الصديقة الكبرى التي سلم عليها جبرئيل وبشرها ببيت لها في الجنة لا صخب فيه ولا نصب^(٢).

والتي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدع مناسبة تفوته إلا ويذكر خديجة فيتفطر كبد عائشة ويحترق قلبها غيرة فتثور ثائرتها وتخرج عن أطوارها فتشتتم بما يحلو لها ولا تبال بعواطف زوجها ومشاعره. ولنستمع إليها تحدث عن نفسها بخصوص خديجة كما روى البخاري وأحمد والترمذي وابن ماجه قالت: ما غرتُ على امرأة لرسول الله كما غرتُ على خديجة^(٣) لكثرة ذكر رسول الله إياها وثناؤه عليها، فقلتُ ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين هلكن في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها، قالت: فتغير وجه رسول الله (ص) تغيراً ما كنتُ أراه إلا عند نزول الوحي، وقال: لا ما أبدلني الله خيراً منها، قد آمنتُ بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذَّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله

(١) صحيح البخاري ج 3 ص 156 باب تعديل النساء بعضهم بعضاً.

(٢) صحيح البخاري ج 4 ص 231 صحيح مسلم باب فضائل أم المؤمنين خديجة ج 7 ص 133.

(٣) قد مر بنا سابقاً قولها ما غرت على امرأة كما غرت على صفيّة وقولها ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية، لك الله يا عائشة فهل سلمت واحدة من أزواج النبي من غيرتك وأذيتك؟

عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء.

وليس هناك شك أن رد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يبطل دعوى من يقول بأن عائشة هي أحب وأفضل أزواج النبي (ص)، وأكد أيضاً أن عائشة إزدادت غيرة وكرهاً لخديجة عندما قرعها رسول الله (ص) بهذا التوبيخ وأعلمها بأن ربّه لم يُبدله خيراً من خديجة، ومرة أخرى يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه لا يميل مع الهوى ولا يحبّ الجمال والبطالة، لأن خديجة سلام الله عليها تزوجت قبله مرتين وكانت تكبره بخمسة عشرة عاماً، ومع ذلك فهو يحبّها ولا يشتي عن ذكرها، وهذا لعمرى هو خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يحب في الله ويبغض في الله. وهناك فرق كبير بين هذه الرواية الحقيقية وتلك المزيفة التي تدّعي بأن الرسول يميل إلى عائشة حتى بعث إليه نساؤه ينشدنه العدل في ابنة أبي قحافة.

وهل لنا أن نسأل أم المؤمنين عائشة التي ما رأت يوماً في حياتها السيدة خديجة ولا التفت بها كيف تقول عنها عجوز حمراء الشدين؟ وهل هذه هي أخلاق المؤمنة العادية التي يحرم عليها أن تغتاب غيرها إذا كان حياً؟ فما بالك بالميت الذي أفضى إلى ربّه، فما بالك إذا كان ضحية الغيبة زوج رسول الله (ص) والتي ينزل جبرئيل في بيتها ويبشرها ببيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب^(١).

وبالتأكيد أن ذلك البغض وتلك الغيرة التي تآججت في قلب عائشة من أجل خديجة لا بدّ لها من فورة ومنتفّس وإلا انفجرت، فلم تجد عائشة أمامها إلا فاطمة ابنة خديجة ربيتها والتي هي في سنّها أو تكبرها قليلاً على اختلاف الرواة.

وبالتأكيد أيضاً أن ذلك الحب العميق من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٣١ صحيح مسلم باب فضل خديجة أم المؤمنين.

وآله وسلم لخديجة تجسد وقوي في أبنته ووحيدته فاطمة الزهراء، فهي الوحيدة التي عاشت مع أبيها تحمل في جنباتها أجمل الذكريات التي كان يحبها رسول الله في خديجة فكان يسميها أم أبيها.

وزاد في غيرة عائشة أن ترى رسول الله يمجّد إبنته ويسميها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة^(١) ثم يرزقه الله منها سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين فترى رسول الله (ص) يذهب ويبات عند فاطمة ساهراً على تربية أحفاده ويقول: ولداي هذان ريحانتي من هذه الأمة ويحملهما على كتفيه فتزداد بذلك عائشة غيرة لأنها عقيم، ثم ازدادت الغيرة أكثر عندما شملت زوج فاطمة أبا الحسين لا شيء إلا لحب الرسول (ص) إياه وتقديره على أبيها في كل المواقف، فلا شك أنها كانت تعيش الأحداث.

وترى ابن أبي طالب يفوز في كل مرة على أبيها ويمضي بحب الرسول (ص) له وتفضيله وتقديره على من سواه، فقد عرفت أن أبوها رجع مهزوماً في غزوة خيبر بمن معه من الجيوش وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تألم لذلك وقال: لأعطين غداً الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحب الله ورسوله كراً ليس فراراً. وكان ذلك الرجل هو علي بن أبي طالب زوج فاطمة، ثم رجع علي بعد ما فتح خيبر بصفية بنت حبي التي تزوجها رسول الله (ص) ونزلت على قلب عائشة كالصاعقة.

وقد عرفت أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبوها بسورة براءة ليبلغها إلى الحبيب ولكنه أرسل خلفه علي بن أبي طالب فأخذها منه ورجع أبوها يبكي ويسأل عن السبب فيجيبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله أمرني أن لا يبلغ عني إلا أنا أو أحد من أهل بيتي».

وقد عرفت أيضاً بأن رسول الله (ص) نصب ابن عمه علي خليفة على

المسلمين من بعده وأمر أصحابه وزوجاته بتهنئته بإمرة المؤمنين فجاءه أبوها في مقدمة الناس يقول: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيّت مولى كل مؤمن ومؤمنة.

وقد عرفت بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر علي أبيها شاباً صغيراً لا نبات بعارضيه عمره سبعة عشر عاماً وأمره بالسّير تحت قيادته والصلاة خلفه.

ولا شك بأن أم المؤمنين عائشة كانت تتفاعل مع هذه الأحداث فكانت تحمل في جنباتها هم أبيها والمنافسة على الخلافة والمؤامرة التي تدور عند رؤساء القبائل في قريش، فكانت تزداد بغضاً وحنقاً على علي وفاطمة وتحاول بكل جهودها أن تتدخل لتغيير الموقف لصالح أبيها بشتى الوسائل كلفها ذلك ما كلفها - وقد رأيناها كيف أرسلت إلى أبيها على لسان زوجها تأمره ليصلي بالناس عندما علمت بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل خلف علي ليكلفه بتلك المهمة ولما علم رسول الله (ص) بتلك المؤامرة اضطر للخروج فأزاح أبا بكر عن موضعه وصلى بالناس جالساً، وغضب على عائشة وقال لها إنكن أنتن صويحبات يوسف (يقصد أن كيدها عظيم)^(١).

والباحث في هذه القضية التي روتها عائشة بروايات مختلفة ومتضاربة يجد التناقض واضحاً، وإلا فإن أباهما عبّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جيش وأمره بالخروج تحت قيادة أسامة بن زيد قبل تلك الصلاة بثلاثة أيام، ومن المعلوم بالضرورة أن قائد الجيش هو إمام الصلاة فأسامة هو إمام أبي بكر في تلك السرية، فلما أحسّت عائشة بتلك الإهانة وفهمت مقصود النبي (ص) منها خصوصاً وأنها تفتنت بأن علي بن أبي طالب لم يعينه رسول الله (ص) في ذلك الجيش الذي عبّاه فيه وجوه المهاجرين

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ١٩٧ ينقل ذلك عن الإمام علي.

والأنصار والذين لهم في قريش زعامة ومكانة، وقد علمت من رسول الله (ص) كما علم أكثر أصحابه بأن آيame أصبحت معدودة ولعلها كانت على رأي عمر بن الخطاب في أن رسول الله أصبح يهجر ولا يدري ما يفعل، فدفعتها غيرتها القاتلة أن تتصرف بما تراه يرفع من شأن أبيها وقدره مقابل منافسه علي، ولكل ذلك أنكرت أن يكون النبي (ص) أوصى لعلي ولذلك حاولت إقناع البسطاء من الناس بأن رسول الله (ص) مات في حجرها بين سحرها ونحرها - ولذلك حدثت بأن النبي (ص) قال لها وهو مريض أدع لي أباك وأخاك لاكتب لهم كتاباً عسى أن يدع مدع ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر فهل من سائل يسألها: ما الذي منعها من دعوتهم؟

- موقف عائشة ضد علي أمير المؤمنين

والباحث في موقفها تجاه أبي الحسن يجد أمراً عجيباً وغريباً. ولا يجد له تفسيراً إلا الغيرة والعداء لأهل بيت النبي (ص) وقد سجل لها التاريخ كرهاً وبغضاً للإمام علي لم يعرف له مثيل وصل بها إلى حد أنها لا تطيق ذكر اسمه^(١) ولا تطيق رؤيته وعندما تسمع بأن الناس قد بايعوه بالخلافة بعد قتل عثمان، تقول: وددت لو أن السماء انطبقت على الأرض قبل أن يليها ابن أبي طالب. وتعمل كل جهودها للإطاحة به وتفقد ضده عسكرياً جراراً لمحاربتة، وعندما يأتيها خبر موته تسجد شكراً لله.

ألا تعجبون معي لأهل السنة والجماعة الذين يروون في صحاحهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»^(٢)، ثم يروون في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم بأن عائشة تبغض الإمام علي ولا تطيق ذكر اسمه، أليس ذلك شهادة منهم على ماهية المرأة؟ كما يروي البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ١٦٢ وج ٣ ص ١٣٥ وج ٥ ص ١٤٠.

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ٦١ صحيح الترمذي ج ٥ ص ٣٠٦ سنن النسائي ج ٨ ص ١١٦.

عليه وآله وسلّم قال: فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله^(١). ثم يروي البخاري نفسه بأن فاطمة ماتت وهي غاضبة على أبي بكر فلم تكلمه حتى ماتت^(٢) - أليس ذلك شهادة منهم بأن الله ورسوله غاضبان على أبي بكر؟ فهذا ما يفهمه كل العقلاء، ولذلك أقول دائماً بأن الحق لا بد أن يظهر مهما ستره المبطلون ومهما حاول أنصار الأمويين التلميح والتلفيق فإن حجة الله قائمة على عباده من يوم نزول القرآن إلى قيام الساعة والحمد لله رب العالمين.

حدث الإمام أحمد بن حنبل أن أبا بكر جاء مرة واستأذن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وقبل الدخول سمع صوت عائشة عالياً وهي تقول للنبي (ص): «والله لقد عرفت أن علياً أحب إليك مني ومن أبي تعيدها مرتين أو ثلاثاً...» الحديث^(٣).

ويبلغ من أمر عائشة ويغضبها للإمام علي، أنها كانت تحاول دائماً إبعاده عن النبي (ص) ما استطاعت لذلك سبيلاً.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج. أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم استندني علياً فجاء حتى قعد بينه وبينها وهما متلاصقان، فقالت له: أما وجدت مقعداً لكذا إلا فخذني.

وروي أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم سافر يوماً الإمام علي وأطال مناجاته، فجاءت عائشة وهي سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما، وقالت لهما: فيم أنتمما فقد أطلتُما، فغضب لذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم^(٤).

(١) البخاري ج ٤ ص ٢١٠.

(٢) صحيح البخاري ج ٥ ص ٨٢ وج ٨ ص ٣.

(٣) الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٧٥.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٩ ص ١٩٥.

ويروي أيضاً أنها دخلت مرة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يناجي علياً فصرخت وقالت: مالي ولك يا بن أبي طالب؟ إن لي نوبة واحدة من رسول الله - فغضب النبي (ص).

وكم من مرة أغضبت رسول الله (ص) بتصرفاتها الناتجة عن الغيرة الشديدة وعن حدة طبعها وكلامها اللاذع.

وهل يرضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مؤمن أو مؤمنة ملا قلبه كرهاً وبغضاً لابن عمه وسيد عترته، الذي قال فيه «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»⁽¹⁾ وقال فيه «من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني»⁽²⁾.

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ

أمر الله سبحانه نساء النبي (ص) بالاستقرار في بيوتهن وأن لا يخرجن متبرجات وأمرهن بقراءة القرآن وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإطاعة الله ورسوله (ص).

وعمل نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكلهن امثالن أمر الله وأمر رسوله الذي نهاهن هو الآخر (ص) قبل وفاته وحذرهن بقوله: أبتكن تركب الجمل وتنبحها كلاب الحوآب، كلهن ما عدا عائشة فقد احترقت كل الأوامر وسخرت من كل التحذيرات ويذكر المؤرخون أن حفصة بنت عمر أرادت الخروج معها ولكن أخاها عبد الله حذرهما وقرأ عليها الآية فرجعت عن عزمها، أما عائشة فقد ركب الجمل ونبحتها كلاب الحوآب يقول طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى: مرت عائشة في طريقها بماء فنبحتها كلابه وسألت عن هذا الماء فقيل لها إنه الحوآب، فجزعت جزعاً شديداً وقالت:

(1) البخاري ومسلم في فضائل علي بن أبي طالب ج 7 ص 130.

(2) المستدرك للحاكم ج 3 ص 130 صححه على شرط الشيخين البخاري ومسلم وعشرات المصادر.

رَدُونِي رَدُونِي، قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ وَعِنْدَهُ نِسَاؤُهُ: أَيْتَكُنْ تَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوَابِ؟ وَجَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ فَتَكَلَّفَ تَهْدِئَتَهَا وَجَاءَهَا بِخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَامِرٍ يَحْلِفُونَ لَهَا كَذِبًا أَنَّ هَذَا الْمَاءَ لَيْسَ بِمَاءِ الْحَوَابِ.

وَأَنَا أَعْتَقِدُ بَأَنَّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ وُضِعَتْ فِي زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةٍ لِيُخَفِّفُوا بِهَا عَنْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ثِقَلَ مَعْصِيَتِهَا ظَنًّا مِنْهُمْ بِأَنَّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَصْبَحَتْ مَعْدُورَةٌ بَعْدَ أَنْ خَدَعَهَا ابْنُ أُخْتِهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ وَجَاءَهَا بِخَمْسِينَ رَجُلًا يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ وَيَشْهَدُونَ شَهَادَةَ زُورًا بِأَنَّ الْمَاءَ لَيْسَ هُوَ مَاءُ الْحَوَابِ. إِنَّهَا سَخَافَةٌ هَزِيلَةٌ يَرِيدُونَ أَنْ يَمْوَهُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ عَلَى بَسْطَاءِ الْعُقُولِ وَيُقْنَعُونَهُمْ بِأَنَّ عَائِشَةَ خُدِعَتْ لِأَنَّهَا عِنْدَمَا مَرَّتْ بِالْمَاءِ وَسَمِعَتْ نَبَاحَ الْكِلَابِ فَسَأَلَتْ عَنْ هَذَا الْمَاءِ فَقِيلَ لَهَا إِنَّهُ الْحَوَابُ فَجَرَعَتْ وَقَالَتْ رَدُونِي رَدُونِي. فَهَلْ لِهَؤُلَاءِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِينَ وَضَعُوا الرَّوَايَةَ أَنْ يَلْتَمِسُوا لِعَائِشَةَ عُذْرًا فِي مَعْصِيَتِهَا لِأَمْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِوَجُوبِ الْإِسْتِقْرَارِ فِي بَيْتِهَا، أَوْ يَلْتَمِسُوا لَهَا عُذْرًا فِي مَعْصِيَتِهَا لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِوَجُوبِ لَزُومِ الْحَصِيرِ وَعَدَمِ رُكُوبِ الْجَمَلِ، قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى نَبَاحِ الْكِلَابِ فِي مَاءِ الْحَوَابِ، وَهَلْ يَجِدُونَ لَأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عُذْرًا بَعْدَمَا رَفَضَتْ نَصِيحَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمَّ سَلَمَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَرِّخُونَ إِذْ قَالَتْ لَهَا: أَتَذْكُرِينَ يَوْمَ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) وَنَحْنُ مَعَهُ حَتَّى إِذَا هَبَطَ مِنْ قَدِيدِ ذَاتِ الشَّمَالِ فَخَلَا بَعْلِي يُنَاجِيهِ فَأَطَالَ، فَأَرَدْتُ أَنْ تَهْجُمِي عَلَيْهِمَا فَتَنْهَيْتُكَ فَمَعْصِيَتِي وَهَجَمْتِ عَلَيْهِمَا، فَمَا لَبِثْتُ أَنْ رَجَعْتُ بِأَكِيَّةٍ، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقُلْتُ: أَتَيْتُهُمَا وَهُمَا يَتَنَاجِيَانِ، فَقُلْتُ لِعَلِي: لَيْسَ لِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَّا يَوْمٌ مِنْ تِسْعَةِ أَيَّامٍ أَفَمَا تَدْعُنِي يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ وَيَوْمِي، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيَّ وَهُوَ مُحَرَّمُ الْوَجْهِ غَضَبًا فَقَالَ: ارْجِعِي وَرَاءَكَ وَاللَّهُ لَا يَبْغِضُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْإِيمَانِ، فَرَجَعْتُ نَادِمَةً سَاخِطَةً، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نَعَمْ أَذْكَرُ ذَلِكَ. قَالَتْ: وَأَذْكَرُكَ أَيْضًا كُنْتُ أَنَا وَأَنْتِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ لَنَا: وَأَيْتَكُنْ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الْأَدَبِ تَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوَابِ

فتكون ناكبة عن الصراط؟» فقلنا نعوذ بالله ورسوله من ذلك، فضرب على ظهره وقال: «إياك أن تكونيها يا حميراء» قالت عائشة أذكر ذلك. فقالت أم سلمة: أتذكرين يوم جاء أبوك ومعه عمر، وقمنا إلى الحجاب، ودخلا يتحدثانه فيما أراد إلى أن قالوا: يا رسول الله، إنا لا ندري أمد ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا فقال لهما: «أما أني قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرق بنو إسرائيل عن هارون»، فسكتا ثم خرجا، فلما خرجا خرجنا إلى رسول الله فقلت له أنت وكنت أجرا عليه منا: يا رسول الله من كنت مستخلفا عليهم؟ فقال: خاصف النعل، فنزلنا فرأيناه عليا. فقلت يا رسول الله ما أرى إلا عليا. فقال: هو ذاك.

قالت عائشة: نعم أذكر ذلك، فقالت لها أم سلمة: فأي خروج تخرجين بعد هذا يا عائشة. فقالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس^(١) فنهتها أم سلمة عن الخروج بكلام شديد وقالت لها: إن عمود الإسلام لا يثأب بالنساء إن مال، ولا يرأب بهن إن صدع، حماديات النساء غض الأطراف، وخفر الأعراض، ما كنت قائلة لو أن رسول الله (ص) عارضك في بعض هذه الفلوات، ناصة قلوفا من منهل إلى آخر؟ والله لو سرت سيرك هذا ثم قيل لي ادخلي الفردوس، لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكة حجاباً ضربه علي^(٢)...

كما لم تقبل أم المؤمنين عائشة نصائح كثير من الصحابة المخلصين روى الطبري في تاريخه أن جارية بن قدامة السعدي قال لها: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح، إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٧٧.

(٢) ابن قتيبة في كتابه المصنف في غريب الحديث وكذلك في الإمامة والسياسة.

وأحب حُرمتك، إنه من يرى قتالك فإنه يرى قتلك إن كنت أيتنا طائعة
فارجعي إلى منزلِك وإن كنت أيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس^(١).

أم المؤمنين هي القائدة

ذكر المؤرخون بأنها كانت هي القائدة العامة وهي التي تولي وتعزل
وتصدر الأوامر حتى أن طلحة والزبير اختلفا في إمامة الصلاة وأراد كل
منهما أن يصلي بالناس، فتدخلت عائشة وعزلتهما معاً وأمرت عبد الله بن
الزبير ابن أختها أن يصلي هو بالناس. وهي التي كانت ترسل الرسل بكتبها
التي بعثتها في كثير من البلدان تستنصرهم على علي بن أبي طالب وتثير
فيهم حمية الجاهلية.

حتى عبأت عشرين ألفاً أو أكثر من أوباش العرب وأهل الأطماع لقتال
أمير المؤمنين والإطاحة به. وأثارتها فتنة عمياء قُتل فيها خلق كثير باسم
الدفاع عن أم المؤمنين ونصرتها ويقول المؤرخون أن أصحاب عائشة لما
غدروا بعثمان بن حنيف والي البصرة وأسروه هو وسبعين من أصحابه الذين
كانوا يحرسون بيت المال جاؤوا بهم إلى عائشة فأمرت بقتلهم فذبحوهم كما
يذبح الغنم. وقيل كانوا أربعمئة رجل يقال أنهم أول قوم من المسلمين
فسربت أعناقهم صبراً^(٢).

روى الشعبي عن مسلم بن أبي بكره عن أبيه قال: لما قدم طلحة
والزبير البصرة، تقلدت سيفي وأنا أريد نصرهما، فدخلت على عائشة فإذا
هي تأمر وتنهاي وإذا الأمر أمرها، فتذكرت حديثاً عن رسول الله (ص) كنت
سمعته يقول: «لن يفلح قوم تدبر أمرهم امرأة» فانصرفت عنهم واعتزلتهم.
كما أخرج البخاري عن أبي بكره قوله: لقد نفعتني الله بكلمة أيام

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٨٢.

(٢) الطبري في تاريخه ج ٥ ص ١٧٨ وشرح النهج ج ٢ ص ٥٠١ وغيرهم.

الجمال، لما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن فارساً ملكوا ابنة كسرى قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»^(١).

ومن المواقف المضحكة والمبكية في آن واحد أن عائشة أم المؤمنين تخرج من بيتها عاصية لله ولرسوله ثم تأمر الصحابة بالاستقرار في بيوتهم، إنه حقاً أمرٌ عجيب!!

فكيف وقع ذلك يا ترى؟

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج وغيره من المؤرخين أن عائشة كتبت - وهي في البصرة - إلى زيد بن صوحان العبدي رسالة تقول له فيها: من عائشة أم المؤمنين بنت أبي بكر الصديق، زوجة رسول الله، إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد فأقم في بيتك وخذّل الناس عن ابن أبي طالب، وليبلغني عنك ما أحبّ فإنك أوثق أهلي عندي والسلام.

فأجابها هذا الرجل الصالح بما يلي: من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر، أما بعد فإن الله أمرك بأمر، وأمرنا بأمر، أمرك أن تقرّي في بيتك، وأمرنا أن نجاهد، وقد أتاني كتابك تأمريني أن أصنع خلاف ما أمرني الله به، فأكون قد صنعت ما أمرك الله به، وصنعت أنت ما به أمرني، فأمرك عندي غير مطاع، وكتابك لا جواب له.

وبهذا يتبين لنا بأن عائشة لم تكتب بقيادة جيش الجمل فقط وإنما طمحت في إمرة المؤمنين كافة في كل بقاع الأرض ولكل ذلك كانت هي التي تحكم طلحة والزبير اللذين كانا قد رشّحهما عمر للخلافة، ولكل ذلك أباحنّ لنفسها أن ترسل رؤساء القبائل والولاة وتطيعهم وتستنصروهم.

ولكل ذلك بلغت تلك المرتبة وتلك الشهرة عند بني أمية فأصبحت هي المنظور إليها والمهابة لديهم جميعاً والتي يخشى سطوتها ومعارضتها

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ٩٧ باب الفتن. والنسائي ج ٤ ص ٣٠٥ والمستدرک ج ٤ ص ٥٢٥.

فإذا كان الأبطال والمشاهير من الشجعان يتخاذلون ويهربون من الصفِّ إزاء علي بن أبي طالب ولا يقفون أمامه فإنها وقفت وألّبت واستصرخت واستفزّت.

ومن أجل هذا حيرت العقول وأدهشت المؤرّخين الذين عرفوا مواقفها في حرب الجمل الصغرى قبل قدوم الإمام علي وفي حرب الجمل الكبرى بعد مجيء الإمام علي ودعوتها لكتاب الله فأبّت وأصرّت على الحرب في عنادٍ لا يمكن تفسيره إلا إذا عرفنا عمق وشدة الغيرة والبغضاء التي تحملها أمّ المؤمنين لأبنائها المخلصين لله ورسوله (ص).

تحذير النبي (ص) من عائشة وفتنتها

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدرك عمق وخطورة المؤامرة التي تُدار حوله من جميع جوانبها، ولا شك بأنه عرف ما للنساء من تأثير وفتنة على الرجال، كما أدرك بأن كيدهن عظيم تكاد تزول منه الجبال، وعرف بالخصوص بأن زوجته عائشة هي المؤهلة لذلك الدور الخطير لما تحمله في نفسها من غيرة وبغض لخليفته علي خاصة، ولأهل بيته عامة، كيف وقد عاش بنفسه أدواراً من مواقفها وعداوتها لهم، فكان يغضب حيناً ويتغير وجهه أحياناً، ويحاول إقناعها في كل مرة بأن حبيب علي هو حبيب الله والذي يبغض علياً هو منافق يبغضه الله - ولكن هيهات لتلك الأحاديث أن تغوص في أعماق تلك النفوس التي ما عرفت الحق حقاً إلا لفائدتها وما عرفت الصواب صواباً إلا إذا صدر عنها.

ولذلك وقف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما عرف بأنها هي الفتنة التي جعلها الله في هذه الأمة ليلتها بها كما ابتلى سائر الأمم السابقة. قال تعالى: ﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت: 2].

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمته منها في مرّات

متعددة حتى قام في يوم من الأيام واتجه إلى بيتها وقال: ههنا الفتنة، ههنا الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان، وقد أخرج البخاري في صحيحه في باب ما جاء في بيوت أزواج النبي: قال عن نافع عن عبد الله رضي الله عنه قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة ثلاثاً، من حيث يطلع قرن الشيطان^(١).

كما أخرج مسلم في صحيحه أيضاً عن عكرمة بن عمار عن سالم عن ابن عمر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة، فقال: رأس الكفر من ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان^(٢).

ولا عبرة بالزيادة التي أضافوها بقولهم: يعني المشرق، فهي واضحة الوضع ليخففوا بها عن أم المؤمنين ويبعدوا هذه التهمة عنها.

وقد جاء في صحيح البخاري أيضاً: قال لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، بعث علي بن عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدموا علينا الكوفة فصعدا المنبر فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عماراً يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة والله إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياها تطيعون أم هي^(٣).

الله أكبر فهذا الخبر يدل أيضاً أن في طاعتها معصية لله وفي معصيتها هي والوقوف ضدّها طاعة لله.

كما نلاحظ أيضاً في هذا الحديث أن الرواة من بني أمية أضافوا عبارة والآخرة، في (أنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة) ليموهوا على العامة بأن الله غفر لها كل ذنب اقترفته وأدخلها جنته وزوجها حبيب رسول الله صلى

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٦.

(٢) صحيح مسلم ج ٨ ص ١٨١.

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ٩٧.

الله عليه وآله وسلم - وإلا من أين عَلِمَ عَمَّار بأنها زوجته في الآخرة؟

وهذه هي آخر الحيل التي تَفْطِنُ لها الوضَّاعون من الرواة في عهد بني أمية عندما يجدون حديثاً جرى على السنة الناس فلا يمكنهم بعدُ نكرانه ولا تكذيبه فيعمدون إلى إضافة فقرة إليه أو كلمة أو تغيير بعض ألفاظه ليخففوا من حدِّته أو يُفقدوه المعنى المخصوص له، كما فعلوا ذلك بحديث، أنا مدينة العلم وعلي بابها الذي أضافوا إليه وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها.

وقد لا يخفى ذلك على الباحثين المنصفين فيبطلون تلك الزيادات التي تدلُّ في أغلب الأحيان على سخافة عقول الوضَّاعين وبعدهم عن حكمة ونور الأحاديث النبوية، فيلاحظون أنَّ القول بأن أبا بكر أساسها، معناه أنَّ علم رسول الله (ص) كَلَّه من علم أبي بكر، وهذا كفرٌ. كما أنَّ القول بأنَّ عمر حيطانها فمعناه بأنَّ عمر يمنع الناس من الدخول للمدينة أعني يمنعهم من الوصول للعلم والقول بأنَّ عثمان سقفها، فباطل بالضرورة لأنه ليس هناك مدينة مسقوفة وهو مستحيل. كما يلاحظون هنا بأنَّ عماراً يقسمُ بالله على أنَّ عائشة زوجة النبي (ص) في الدنيا والآخرة، وهو رجماً بالغيب فمن أين لعمار أن يقسم على شيء يجهله؟ هل عنده آية من كتاب الله، أم هو عهد عهده إليه رسول الله (ص)؟

فيبقى الحديث الصحيح هو إنَّ عائشة قد سارت إلى البصرة، وإنها لزوجة نبيكم، ولكنَّ الله ابتلاكم بها ليعلم إِيَّاه تُطِيعُونَ أم هي.

والحمد لله ربِّ العالمين على أن جعل لنا عقولاً نُمِيزُ بها الحق من الباطل وأوضح لنا السبيل ثم ابتلانا بأشياء عديدة لتكون علينا حجةً يوم الحساب.

خاتمة البحث

والمهم في كل ما مرّ بنا من الأبحاث وإن كانت مختصرة أنّ عائشة بنت أبي بكر أمّ المؤمنين وزوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن معدودة من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين عصمهم الله من كلّ الذنوب وطهرهم من كلّ رجس فأصبحوا بعد ذلك معصومين.

ويكفي عائشة أنها قضت آخر أيام حياتها في بكاء ونحيب وحسرة وندامة، تذكر أعمالها فتفيض عينها ولعلّ الله سبحانه يغفر لها خطاياها فهو وحده المطلع على أسرار عباده والذي يعلم صدق نواياهم، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. فلا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، وليس لنا ولا لأي أحد من الناس أن يحكم بالجنة أو بالنار على مخلوقاته فهذا تكلف وتطفل على الله، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِر لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284].

وبهذا لا يمكن لنا أن نترضى عليها ولا أن نلعنها ولكن لنا أن لا نفتدي بها ولا نُبارك أعمالها، ونحدث بكل ذلك لتوضيح الحقيقة إلى الناس، عسى أن يهتدوا لطريق الحق.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لا تكونوا سبّابين ولا لعّانين، ولكن قولوا: كان من فعلهم كذا وكذا لتكون أبلغ في الحجّة.

قول أهل الذكر بخصوص أهل البيت

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو سيد العترة:
تالله لقد علّمتُ تبليغ الرّسالات، وإتمام العدّات وتمام الكلمات

وعندنا أهل البيت أبواب الحكيم وضياء الأمر^(١).

أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا أن
رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطي
الهدى ويستجلى العمى، إن الأئمة من قریش غرسوا في هذا البطن من
هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم^(٢).

نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، لا تُوثق البيوت إلا من
أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقاً. ثم يذكر أهل البيت فيقول:
فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم
يسبقوا^(٣).

هم غيش العلم وموت الجهل، يُخبركم حلمهم عن علمهم،
وصمتهم عن حكيم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعائم
الإسلام وولائج الاعتصام، بهم غاذ الحق في نصابه، وانزاح الباطل عن
مقايه وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الذين عقل وعاية ورعاية، لا عقل
سماع ورواية، فإن رواة العلم كثير ورعاه قليل^(٤).

عثرته خير العثر وأسرته خير الأسر وشجرته خير الشجر نبت في حرم
ويسقت في كرم لها فروع طوال وثمرة لا تنال.

نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن
العلم، وينابيع الحكيم، ناظرنا ومُحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر
السطوة^(٥).

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبده صفحة 283 طبع دار البلاغة بيروت.

(٢) نهج البلاغة شرح محمد عبده صفحة 314 طبع دار البلاغة بيروت.

(٣) نهج البلاغة شرح محمد عبده صفحة 330 طبع دار البلاغة بيروت.

(٤) نهج البلاغة شرح محمد عبده صفحة 508 طبع دار البلاغة بيروت.

(٥) نهج البلاغة ج 2 ص 213 طبعة دار الأندلس.

نحن النجباء، وأفراطنا أفراط الأنبياء، وحزبنا حزب الله عز وجل،
والفتنة الباغية حزب الشيطان، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا.

فأين تذهبون وأنى تؤفكون؟ والأعلام قائمة والآيات واضحة، والمنار
منصوبة فأين يتأه بكم، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أئمة
الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فانزلوهم بأحسن منازل القرآن
ورددوهم ورود الهيم العطاش.

أيها الناس خذوها من خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم: إنه
يموت من مات منا وليس بميت، ويلى من بلى من بلى منا وليس ببال، فلا تقولوا
بما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون، واعذروا من لا حجة لكم عليه
وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر وركزت
فيكم راية الإيمان^(١).

أنظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من
هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فإن لبسوا فالبسوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا
تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا^(٢).

هذه أقوال الإمام علي عليه السلام بخصوص العترة الطاهرة الذين
أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ولو تتبعنا أقوال الأئمة من بنه عليهم السلام والذين خطبوا في
الناس، أمثال الإمام الحسن، والإمام الحسين، وزين العابدين وجعفر
الصّادق والإمام الرضا عليهم السلام أجمعين لوجدناهم يقولون نفس الكلام
ويرمون نفس المرمى، ويرشدون الناس في كل عصر ومصر إلى كتاب الله
وعترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لينقذوهم من الضلالة ويدخلوهم
في الهداية.

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ١٥٥ طبعة دار الأندلس.

(٢) نهج البلاغة ج ٢ ص ١٩٠ طبعة دار الأندلس.

أضف إلى ذلك بأن التاريخ خير شاهد على عصمة أهل البيت فلم يسجل لهم إلا العلم والتقوى والورع والزهد، والجود والكرم والحلم والمغفرة، وكل عمل يحبه الله ورسوله (ص).

كما أن التاريخ خير شاهد على أن الصالحين من هذه الأمة والزهاد من رجال الصوفية ومشايخ الطرق وأئمة المذاهب والمصلحين من العلماء القدامى والمعاصرين كل هؤلاء يُقَرَّون بأفضليتهم وتقدمهم علماً وعملاً وأخصهم برسول الله قربى وشرفاً.

ولكل هذا فلا ينبغي لمسلم أن يخلط أهل البيت «الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» والذين أدخلهم الرسول معه تحت الكساء «بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

ألا ترى أن أئمة المحدثين أمثال مسلم والبخاري والترمذي والإمام أحمد والنسائي وغيرهم عندما يخرجون أحاديث الفضائل في كتبهم وصحاحهم يفصلون فضائل أهل البيت عن سواهم من نساء النبي^(١).

كما جاء في صحيح مسلم في باب فضائل علي بن أبي طالب قوله عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا وأني تارك فيكم الثقلين أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من أتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة» ثم قال «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» فقلنا من أهل بيته نساؤه؟ قال: «لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العُصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أضلُّ وعَصْبَتُهُ الَّذِينَ حُرِّمُوا الصَّدَقَةُ بَعْدَهُ»^(٢).

كما جاءت شهادة البخاري ومسلم في أن عائشة هي من آل أبي بكر

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٣٠ وما بعدها.

(٢) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٣ باب فضائل علي بن أبي طالب.

وليسَتْ من آل النبي. في حادثة نزول آية التيمّم^(١).

فلماذا هذا الإصرار من بعض المعاندين الذين يُحاولون بكل ثمن إحياء الفتنة وتقليب الحقائق التي لا شك فيها.

فيسبّون الشيعة لا لشيء إلا لأنهم لا يعترفون لأمّ المؤمنين بهذه الفضيلة، فلماذا لا يسبّون صحابهم وعلماءهم الذين أخرجوا نساء النبي بأجمعهن من أهل البيت.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾
[الأحزاب: 71].



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

(1) البخاري ج 1 ص 86 ومسلم ج 1 ص 191.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الرابع

فيما يتعلق بالصحابة عامة

إن كل الأحكام التشريعية والعقائد الإسلامية، جاءتنا عن طريق الصحابة، فليس هناك أحد يدعي أنه بعدد الله من خلال الكتاب والسنة إلا وكان الصحابة هم الوسطة لإيصال هذين المصدرين الأساسيين إلى كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وبما أن الصحابة اختلفوا بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتفرقوا، وتسابوا وتلاعنوا، وتقاتلوا حتى قتل بعضهم بعضاً فلا يمكن والحال هذه، أن نأخذ عنهم الأحكام بدون نقاش ولا نقد ولا تمحيص ولا اعتراض، كما لا يمكن أن نحكم لهم أو عليهم بدون معرفة أحوالهم وقراءة تاريخهم وما فعلوه في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبعد وفاته، ونمحص المصحق من المبطل، والمؤمن من الفاسق والمخلص من المنافق، ونعرف المنقلبين من الشاكرين.

وأهل السنة عامة، وبكل أسف لا يسمحون بذلك ويمنعون بكل شدة نقد الصحابة وتجريحهم وبترضون عليهم جميعاً، بل ويصلون عليهم كما يصلون على محمد وآل محمد ولا يستثنون منهم أحداً.

والسؤال الذي يطرح على أهل السنة والجماعة هو: هل في نقد الصحابة وتجريحهم خروج عن الإسلام، أو مخالفة للكتاب والسنة؟

وإجابة على هذا السؤال لا بد لي من استعراض أعمال وأقوال بعض الصحابة في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته، من خلال ما ذكره علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم وتواريخهم مقتصرًا عليهم دون ذكر أي كتاب من كتب الشيعة لأن هؤلاء موقفهم من بعض الصحابة معروف ولا يتطلب مزيداً من التوضيح.

وحتى أرفع الإلتباس لكي لا أترك للخصم حجة يحتج بها عليّ، أقول إنه عندما نتكلم في هذا الفصل عن الصحابة، فالمقصود هو البعض منهم وليس جميعهم، وقد يكون هذا البعض أكثرية أو أقلية، فهذا ما سنعرفه من خلال البحث إن شاء الله تعالى. لأن كثيراً من المشاغبين يتهموننا بأننا ضد الصحابة، وأننا نشتم الصحابة ونسبهم ليؤثروا بذلك على السامعين ويقطعوا بذلك الطريق على الباحثين، في حين أننا ننتزه عن سب الصحابة وشتيمهم بل وترضى على الصحابة المخلصين الذين سماهم القرآن، بـ(الشاكرين) ونبتراً من المنقلبين على الأعقاب الذين ارتدوا على أدبارهم بعد النبي وتسيبوا في ضلالة أغلب المسلمين، وحتى هؤلاء لا نسبهم ولا نشتمهم، وإنما كل ما في الأمر أننا نكشف أفعالهم التي ذكرها المؤرخون والمحدثون ليتجلى الحق للباحثين، وهذا ما لا يرتضيه إخواننا من أهل السنة ويعتبرون ذلك سباً وشتماً.

وإذا كان القرآن الكريم وهو كلام الله الذي لا يستحي من الحق هو الذي فتح لنا هذا الباب وأعلمنا بأن من الصحابة منافقين، ومنهم الفاسقين، ومنهم الظالمين، ومنهم المكذبين، ومنهم المشركين ومنهم المنقلبين، ومنهم الذين يؤفون الله ورسوله.

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، ولا تأخذه في الله لومة لائم، هو الذي فتح لنا هذا الباب وأعلمنا بأن من الصحابة مرتدين، ومنهم المارقين، والناكثين والقاسطين، ومنهم من يدخل النار ولا تنفعه الصلابة، بل تكون عليه حجة قد تضاعف عذابه يوم

لا ينفع مال ولا بنون.

فكيف والحال هذه، يشهد بها كتاب الله الحكيم، وسنة رسوله العظيم، ومع ذلك يريد أهل السنة منع المسلمين من التكلّم والنقاش في الصحابة لئلا ينكشف الحق ويعرف المسلمون، أولياء الله فيوالونهم كما يعرفون أعداء الله ورسوله فيعادونهم.

كنت يوماً في العاصمة التونسية داخل مسجد عظيم من مساجدها، وبعد أداء فريضة الصلاة جلس الإمام وسط حلقة من المصلّين وبدأ درسه بالتّديد والتكفير لأولئك الذين يشتمون أصحاب النبي (ص) واسترسل في حديثه قائلاً:

أيّاكم من الذين يتكلّمون في أعراض الصحابة بدعوى البحث العلمي والوصول لمعرفة الحق، فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين، إنهم يريدون تشكيك النّاس في دينهم، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إذا وصل بكم الحديث إلى أصحابي فامسكوا، فوالله لو أنفقتم مثل أحد ذهباً لما بلغت معشار معشار أحدهم».

وقاطعه أحد المستبصرين كان يصحّني قائلاً: هذا الحديث غير صحيح وهو مكذوب على رسول الله!

وثارت نائرة الإمام وبعض الحاضرين والتفتوا إلينا منكرين مشمّزين، فتداركت الموقف متلفظاً مع الإمام وقلت له: يا سيدي الشيخ الجليل، ما هو ذنب المسلم الذي يقرأ في القرآن قوله: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشّاكرين﴾ [آل عمران: 144].

وما هو ذنب المسلم الذي يقرأ في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم قول رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصحابه: «سيؤخذ بكم يوم القيامة إلى ذات الشمال، فأقول: إلى أين؟ فيقال: إلى النار والله، فأقول:

يا رب هؤلاء أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك إنهم لا يزالوا مرتدين منذ فارقتهم، فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي، ولا أرى بخلص منهم إلا مثل حمل النعم^(١).

وكان الجميع يستمعون إليّ في صمت رهيب، وسألني بعضهم إن كنت واثقاً من وجود هذا الحديث في صحيح البخاري؟ وأجبتهم: نعم كوثوقي بأن الله واحد لا شريك له، ومحمد عبده ورسوله.

ولما عرف الإمام تأثيري في الحاضرين من خلال حفظي للأحاديث التي رويتها قال في هدوء: نحن قرأنا على مشايخنا رحمهم الله تعالى بأن الفتنة نائمة فلن الله من أيقظها.

فقلت: يا سيدي الفتنة عمرها ما نامت، ولكننا نحن النائمون، والذي يستيقظ منا ويفتح عينيه ليعرف الحق تهيمونه بأنه أيقظ الفتنة، وعلى كل حال فإن المسلمين مطالبون باتباع كتاب الله وسنة رسوله (ص)، لا بما يقوله مشايخنا الذين يترضون على معاوية ويزيد وابن العاص.

وقاطعني الإمام قائلاً: وهل أنت لا ترضى عن سيدنا معاوية رضي الله عنه وأرضاه. كاتب الوحي؟

قلت: هذا موضوع يطول شرحه، وإذا أردت معرفة رأيي في ذلك، فانا أهديك كتابي «ثم اهديت» لعله يوقظك من نومك ويفتح عينيك على بعض الحقائق وتقبل الإمام كلامي وهديتي بشيء من التردد، ولكنه وبعد شهر واجد كتب إليّ رسالة لطيفة بحمد الله فيها أن هداه إلى صراطه المستقيم وأظهر ولاء وتعلقاً بأهل البيت عليهم السلام وطلبت منه نشر رسالته في الطبعة الثالثة لما فيها من معاني الود وصفاء الزوج التي متى ما عرفت الحق تعلقت به وهي تعبر عن حقيقة أكثر أهل السنة الذين يميلون

(١) صحيح البخاري ج 7 ص 209 وج 4 ص 94 وص 156، صحيح مسلم ج 7 ص 66.

إلى الحق بمجرد رفع الستار.

ولكنه طلب مني كتم رسالته وعدم نشرها، لأنه لا بد له من الوقت الكافي حتى يُقنع المجموعة التي تصلي خلفه، وهو يجتهد أن تكون دعوته سلمية بدون هرج ومرج حسب تعبيره.

ونعود إلى موضوع الكلام في الصحابة، لنكشف عن الحقيقة المرة التي سجلها القرآن الحكيم والسنة النبوية الشريفة.

ولنبداً بكلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو الحكم العدل وهو القول الفصل. قال تعالى في بعض الصحابة:

﴿ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم، نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ [التوبة: 101].

﴿يحلفون بالله ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا﴾ [التوبة: 74].

﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ [التوبة: 77].

﴿الأعراب أشد كفراً وثفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم﴾ [التوبة: 97].

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ [البقرة: 10].

﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك

لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون، إتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون، ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴿[المنافقون: 3]﴾.

﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطَّاغوت وقد أمرُوا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلَّهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً، فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدّمت أيديهم ثم جاؤوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً﴾ [النساء: 62].

﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يראؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ [النساء: 142].

﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم، هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [المنافقون: 4].

﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً، أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت، فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حذاد أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً﴾ [الأحزاب: 19].

﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال أنفاً، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾ [محمد: 16].

﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، ولو نشاء لأريناكم فلمعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم

أعمالكم﴾ [محمد: 30].

﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا، فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم...﴾ [الفتح: 11].

فهذه الآيات البينات من كتاب الله المجيد وما بيّنته من نفاق البعض منهم الذين اندسوا في صفوف الصحابة المخلصين، حتى غابت حقيقتهم عن صاحب الرسالة نفسه لولا وحي الله.

ولكن لنا دائماً من أهل السنة اعتراض على هذا، فهم يقولون. ما لنا والمنافقين لعنهم الله، والصحابة ليسوا من هؤلاء، أو أن هؤلاء المنافقين ليسوا من الصحابة، وإذا ما سألتهم من هؤلاء المنافقين الذين نزلت فيهم أكثر من مائة وخمسين آية في سورتي التوبة والمنافقون؟ فسُجّيون: هو عبد الله بن أبي وعبد الله بن أبي سلول، وبعد هذين الرجلين لا يجدون إسماءً آخرًا

سبحان الله! فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله هو نفسه لا يعرف الكثير منهم، فكيف يُحصر النفاق بابن أبي وابن أبي سلول المعلومين لدى عامة المسلمين؟

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله علم ببعضهم وعلم أسماءهم إلى حذيفة بن اليمان كما تقولون وأمره بكتمان أمرهم حتى أن عمر بن الخطاب أيام خلافته كان يسأل حذيفة عن نفسه، هل هو من أهل النفاق؟ وهل أخبر النبي باسمه؟ كما تروون ذلك في كتبكم⁽¹⁾.

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أعطى للمنافقين علامة يُعرفون بها وهي بغض علي بن أبي طالب كما تروون ذلك في صحاحكم⁽²⁾

(1) كنز العمال ج 7 ص 24، تاريخ ابن عساکر ج 4 ص 97، إحياء العلوم للغزالي ج 1 ص 129.

(2) صحيح مسلم ج 1 ص 61، صحيح الترمذي ج 5 ص 306، سنن النسائي ج 8 ص 116، كنز العمال ج 15 ص 105.

فما أكثر هؤلاء من الصحابة الذين تترضون عنهم وتضعونهم في القمة وقد وصل بهم البغض لعلّي أن حاربوه وقتلوه ولعنوه حباً وميئاً هو وأهل بيته ومحبيه، وكلّ هؤلاء من خيار الصحابة عندكم.

واقتضت حكمة الرسول صلى الله عليه وآله أن يُعلم حذيفة أسماءهم تارة، ويُعطي للمسلمين علامتهم تارة أخرى، ليقيم على الناس الحجة فلا يقولوا بعدها إنا كنا عن هذا غافلين.

ولا عبرة بما يقوله أهل السنة اليوم: نحن نحب الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه فنقول لهم: إنه لا يجتمع في قلب مؤمن حبّ ولي الله وحبّ عدوه! وقد قال الإمام علي نفسه: «ليس منا من سوى بيننا وبين أعدائنا»^(١).

ثم إن القرآن الكريم عندما تكلم عن الصحابة تكلم عنهم بعدة أوصاف وعلامات ثابتة، وإذا استثنينا منهم الصحابة المخلصين الشاكرين، فإن البقية الباقية منهم وصفهم الذكر الحكيم بأنهم: فاسقون، أو خائنون، أو متخاذلون، أو ناكثون أو منقلبون، أو شاكّون في الله وفي رسوله، أو فارّون من الزحف، أو معاندون للحقّ، أو عاصون أوامر الله ورسوله، أو مبطّون غيرهم عن الجهاد، أو مُنفضون إلى اللّهو والتجارة وتاركون الصّلاة، أو قائلون ما لا يفعلون، أو ممنون على رسول الله إسلامهم، أو قاسية قلوبهم فلم تخشع لذكر الله وما نزل من الحقّ، أو رافعون أصواتهم فوق صوت النبي، أو مؤذون لرسول الله، أو سماعون للمنافقين.

ولنكتف بهذا القدر اليسير لأن هناك آيات كثيرة لم نذكرها روماً للاختصار، ولكن لتعميم الفائدة لا بدّ من ذكر بعض الآيات التي جاءت في ذمّ الصحابة الذين اتصفوا بتلك الصفات، ولكنهم بفضل السياسة أصبحوا

بعد رسول الله (ص) وبعد انقطاع الوحي كلهم عدول أبصعين أجمعين ولا يمكن لأحد من المسلمين أن يتكلم في حقهم بشيء من النقد والتجريح.

القرآن الكريم يكشف حقائق بعض الصحابة

وحتى لا يتوهم معاند في آيات المنافقين ويحاول فصلهم عن الصحابة كما يقول بذلك أهل السنة، فقد تعمّدنا سرد الآيات التي تخص المؤمنين.

فقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله إنا قلتم إلى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يُعذبكم عذاباً أليماً وبستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً والله على كل شيء قدير» [التوبة: 39].

«يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أحرّة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم» [المائدة: 54].

«يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول، وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم» [الأنفال: 28].

«يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب» [الأنفال: 25].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا، إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: 3].

- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: 16].

- ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ، بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: 17].

- ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ، فَتَرْبُّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

- ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: 14].

- ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: 45].

- ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 47].

- ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ﴿[التوبة: 81]﴾.

- ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم، ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماءهم ولتعرفنهم في لحن القول، والله يعلم أعمالكم﴾ [محمد: 30].

- ﴿وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ [الأنفال: 6].

- ﴿ها أنتم هؤلاء تدهون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء، وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ [محمد: 38].

- ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ [التوبة: 58].

- ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً، أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم﴾ [محمد: 16].

- ﴿ومنهم الذين يؤفون النبي ويقولون هو أذن، قل هو أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم، والذين يؤفون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ [التوبة: 61].

إن هذا القدر من الآيات البيّنات كاف لإقناع الباحثين بأن الصحابة ينقسمون إلى قسمين إثنيين.

1- قسم آمن بالله وبرسوله (ص) وأسلم أمره وقيادته لهما، فاطاع الله ورسوله (ص) وتغافى في حبهما وضحّى في سبيلهما وكان من الفائزين،

وهؤلاء يمثلون الأقلية وقد سماهم القرآن ﴿الشَّاكِرِينَ﴾.

2- قَسَمَ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ (ص) ظَاهِرِيًّا وَلَكِنْ قَلْبُهُ فِيهِ مَرَضٌ، فَلَمْ يَسْلَمْ أَمْرُهُ إِلَّا لِمَصْلَحَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَمَنَافِعِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ فَهُوَ يَمَارِضُ الرِّسُولَ (ص) فِي أَحْكَامِهِ وَأَوَامِرِهِ وَيَقْدِمُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ (ص) فَكَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَهَؤُلَاءِ يُمَثِّلُونَ الْكَثْرِيَّةَ وَقَدْ حَبَّرَ عَنْهُمْ الْقُرْآنُ بِأَوْجَزِ تَعْبِيرٍ إِذْ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزَّحْرَفُ: 78].

فَالْبَاحِثُ يَكْتَشِفُ أَنَّ هَؤُلَاءِ «الْكَثْرِيَّةَ» كَانُوا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمِيشُونَ مَعَهُ وَيَصَلُّونَ خَلْفَهُ وَيُصَاحِبُونَهُ فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ، وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ لِّئَلَّا يَنْكَشِفَ أَمْرُهُمُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلَصِينَ، وَيُحَاوِلُونَ جَهْدَهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا بِمَظْهَرٍ يَغْطِطُهُمْ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ لِكثْرَةِ تَعَبُّدِهِمْ وَوَرَعِهِمْ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ⁽¹⁾.

فَإِذَا كَانَ هَذَا حَالَهُمْ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَكَيْفَ أَصْبَحُوا بَعْدَ وَفَاتِهِ؟ لَا شَكَّ بِأَنَّهُمْ نَشَطُوا وَتَكَاثَرُوا وَازْدَادَ تَسْتَرُّهُمْ وَتَمَثِيلُهُمْ، فَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ نَبِيٌّ يَعْرِفُهُمْ وَلَا وَحْيٌ يَفْضَحُهُمْ، وَخُصُوصاً وَقَدْ ظَهَرَتْ بِمَوْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَوَادِرُ الشَّقَاقِ وَالْإِفْتِرَاقِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ مَرَدُّوا عَلَى النِّفَاقِ وَكَذَلِكَ ارْتِدَادُ الْعَرَبِ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً، وَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعَى النَّبُوَّةَ كَمَسِيلِمَةَ الْكَذَابِ وَطَلِيحَةَ وَسَجَاحَ بِنْتِ الْحَرِثِ وَأَتْبَاعَهُمْ وَكُلَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا مِنَ الصَّحَابَةِ.

(1) أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ حَجَرٍ فِي إِصَابَتِهِ فِي تَرْجُمَةِ ذِي الثَّنَدَةِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ رَجُلٌ يَعْجَبُنَا تَعَبُّدَهُ وَاجْتِهَادَهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاسْمِهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَوَصَفْنَاهُ بِصِفَتِهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَذْكُرُهُ إِذْ طَلَعَ الرَّجُلُ، قُلْنَا: هُوَ ذَا! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: إِنَّكُمْ تَخْبِرُونِي عَنْ رَجُلٍ إِنْ فِي وَجْهِهِ لَسَعْفَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، أَقْتُلُوهُمْ فَهُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ.

وإذا تركنا كل هؤلاء واعتمدنا فقط على سكان المدينة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإننا نجزم بأن هؤلاء أيضاً ظهرت فيهم حسيكة النفاق وحتى المؤمنين منهم أغلبهم إنقلب على عقبيه من أجل الخلافة.

وقد عرفنا فيما سبق من أبحاث أنهم تأمروا على رسول الله (ص) وعلى وصيه وعصوا رسول الله (ص) في أوامره التي أمرهم بها وهو على فراش الموت.

وهذه الحقيقة لا مفر منها للباحثين عن الحق إذ يصطدمون بها عند قراءة كتب التاريخ والسيرة النبوية، وقد سجلها كتاب الله سبحانه بأجلى العبارة وأحكم الآيات بقوله تعالى:

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين﴾ [آل عمران: 144].

فالشاكرون هم الأقلية من الصحابة الذين لم ينقلبوا، وثبتوا على العهد الذي أبرموه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبدلوا تبديلاً.

وبهذه الآية الكريمة ومدلولها المحكم تسقط دعوى أهل السنة: بأن الصحابة لا علاقة لهم بالمنافقين، ولو سلمنا لهم جدلاً بذلك، فإن هذه الآية الكريمة خاطبت الصحابة المخلصين الذين لم يكونوا منافقين في حياة النبي (ص) وإنما انقلبوا على أعقابهم بعد وفاته مباشرة.

وسوف يتضح أمر هؤلاء إذا ما بحثنا أحوالهم في حياة النبي (ص) وبعد وفاته وما قاله فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطفحت به كتب الحديث والسيرة والتاريخ.

السنة النبوية تكشف حقائق بعض الصحابة

وحتى لا يتوهم معاند في الأحاديث النبوية التي تناولت الصحابة ويحاول الطعن فيها أو تضعيفها، فقد اعتمدنا فقط أحاديث البخاري والذي هو أصح الكتب عند أهل السنة ورغم أن البخاري كتم الكثير من هذه الأحاديث حفاظاً على كرامة الصحابة كما هو معروف عنه ولأن غيره من صحاح أهل السنة أخرج أضعافها وبعبارات أكثر وضوحاً إلا أننا نكتفي بهذا الموجز الذي أخرج به البخاري لتكون حجتنا أبلغ.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الأول في باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر من كتاب الإيمان.

قال إبراهيم التيمي: ما عرضتُ قولي على عملي إلا خشيتُ أن أكون مكذباً، وقال ابن أبي مليكة: أدركتُ ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحدٌ يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل... (صحيح البخاري ج 1 ص 17).

* وإذا كان ابن أبي مليكة أدرك ثلاثين من أصحاب النبي (ص) كلهم يخاف النفاق على نفسه ولا يدعي الإيمان الصحيح لنفسه فما بال أهل السنة يرفعونهم إلى منزلة الأنبياء ولا يقبلون النقد في أي واحد منهم.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب الجاسوس والتجسس من كتاب الجهاد والسير.

أن حاطب بن أبي بلتعة وهو من صحابة النبي (ص) بعث إلى المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله (ص)، وقد جيء بكتابه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رسول الله (ص): ما هذا يا حاطب؟ فاعتذر للنبي بأنه يريد حماية قرابته في مكة، وصدقه رسول الله (ص)، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق! قال: إنه شهد بذراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد أطلع على

أهل بدر فقال إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.. (صحيح البخاري ج 4 ص 19).

• وإذا كان حاطب وهو من الرعيل الأول من الصحابة الذين شهدوا بدرًا يبعث بأسرار النبي (ص) إلى أعدائه من مشركي مكة ويخون الله ورسوله (ص) بعذر حماية قرابته، ويشهد عمر بن الخطاب نفسه على نفاقه، فكيف بالصحابة الذين أسلموا بعد الفتح أو بعد خيبر أو بعد حنين وكيف بالطلاق الذين استسلموا ولم يسلموا.

أما ما جاء في الفقرة الأخيرة من القول المنسوب للنبي (ص) بأن الله قال لأهل بدر إعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم. فترك التعليق عليه للقارئ اللبيب.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السادس في باب قوله: سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين من كتاب فضائل القرآن سورة المنافقين.

أن رجلاً من المهاجرين كسح رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله (ص) فقال: ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ قالوا: يا رسول الله كسح رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: دعوها فإنها مبيتة، فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال: فعلوها أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. (صحيح البخاري ج 6 ص 65).

• وهذا الحديث صريح في أن المنافقين كانوا من الصحابة، فقد أقر رسول الله قول عمر بأنه منافق ولكن منعه من قتله حتى لا يقال بأن محمداً يقتل أصحابه، ولعل الرسول كان يعلم بأن أكثر أصحابه منافقون وإذا ما قتل

كل المنافقين لم يبق من أصحابه عددٌ كثير. فأين أهل السنة من هذه الحقيقة المؤلمة التي تدحض مزاعمهم.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب حديث الإفك من كتاب الشهادات.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من يعدرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال: كذبت لعمر الله لا نقتله ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن الحضير فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتله فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحبان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت... (صحيح البخاري ج 3 ص 156 وكذلك ج 6 ص 8).

• وإذا كان سعد بن عباد سيد الأنصار يتهم بالنفاق بعدما كان رجلاً صالحاً كما تشهد بذلك الرواية، ويقال عنه منافق بحضرة النبي (ص) فلا بدافع عنه وإذا كان الأنصار الذين امتدحهم الله في كتابه يشورون جميعاً بأوسهم وخزرجهم ويهموا بالافتتال من أجل منافق آذى النبي (ص) في أهله فيدافعون عنه ويرفعون أصواتهم بحضرة النبي (ص).

فكيف يستغربُ النفاق من غيرهم الذين كرسوا حياتهم في محاربة النبي (ص) ودعوته أو من الذين هموا بحرق دار إبنته بعد وفاته من أجل الخلافة.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثامن من كتاب التوحيد في باب قول الله تعالى: ﴿تخرج الملائكة والروح إليه﴾.

أَنَّ عَلِيًّا بْنِ أَبِي طَالِبٍ بَعَثَ وَهُوَ بِالْيَمَنِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْطَعُ مِنَ الذَّهَبِ فَقَسَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فَتَغَضَّبَتْ قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ فَقَالُوا يُعْطِيهِ صَنَادِيدُ أَهْلِ نَجْدٍ وَيدْعُنَا؟ قَالَ النَّبِيُّ (ص): إِنَّمَا أَنَا لِفَهْمٍ فَأَقْبِلْ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَقُولُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَنْ يَطْعُ اللَّهَ إِذَا عَصَيْتُهُ؟ فَيَأْمَنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي؟ فَسَأَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَتْلَهُ فَمَنْعَهُ النَّبِيُّ (ص) مِنْ ذَلِكَ. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ ضُغْضُنِي هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مَرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ، لَنْ أَدْرِكْتَهُمْ لِأَقْتُلْنَهُمْ قَتْلَ عَادٍ. (صحيح البخاري ج 8 ص 178).

• وهذا منافق آخر من الصحابة يتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحيف في القسمة ويواجه النبي (ص) في غير أدب بقوله: يا محمد إنا نقول الله ورغم معرفة النبي (ص) لثقافته وأنه يخرج من ضغنه قوم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية فيقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان ورغم ذلك كله منع النبي خالد من قتله.

وفي هذا جواب لأهل السنة الذين كانوا كثيراً ما يحتجّون على بقولهم: لو كان رسول الله يعلم أن من أصحابه منافقين سيكونون سبباً في ضلالة المسلمين لوجب عليه قتلهم لحماية أمته وحماية دينه.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب إذا أشار الإمام بالصلح من كتاب الصلح.

أَنَّ الزَّبِيرَ كَانَ يَحْدُثُ أَنَّهُ خَاصِمٌ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَدْ شَهِدَ بِذُرٍّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَرَاجٍ مِنَ الْحَرَّةِ كَانَا يَسْقِيَانِ بِهِ كِلَاهُمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزَّبِيرِ: إِسْقِ يَا زَبِيرُ ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَى جَارِكَ فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَ ابْنُ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوْنَ وَجْهَهُ

رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال: أَسْقِيْ ثُمَّ أَحْبَسْ حَتَّى يَبْلُغَ
الْجَدْرَ... (صحيح البخاري ج 3 ص 171).

• وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين يعتقدون بأن رسول
الله (ص) تأخذه العاطفة فيميل مع ابن عمته ويقولها بكل وقاحة حتى يتغير
وجه رسول الله ويتلون من شدة الغضب.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب ما كان النبي
يعطي المؤلف قلوبهم من كتاب الجهاد والسير. عن عبد الله رضي الله
عنه.

قال: لما كان يوم حنين أثر النبي صلى الله عليه وسلم أناساً في
القسم فاعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى عيينة مثل ذلك،
وأعطى أناساً من أشراف العرب فآثرهم يومئذ في القسم، فقال رجل: والله
إن هذه القسم ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله، فقلت والله لأخبرن
النبي صلى الله عليه وسلم، فأتيته فأخبرته، فقال: فمن يعدل إذا لم يعدل
الله ورسوله؟ رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر. (صحيح
البخاري ج 4 ص 61).

• وهذا منافق آخر من صحابة رسول الله (ص) ولعله من عظماء
قريش ولذلك تحاشى الراوي ذكر اسمه خوفاً من الجهاز الحاكم في ذلك
الوقت وترى هذا المنافق يعتقد جزمياً ويقسم على ذلك بأن محمداً ما كان
عادلاً ولا أراد بقسمته وجه الله. ورحم الله محمداً فقد أودى بأكثر من هذا
فصبر.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب علامات النبوة
في الإسلام من كتاب بدء الخلق.

أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً إذا أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من

بني تميم فقال: يا رسول الله أعدل! فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر: يا رسول الله إئذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.... (صحيح البخاري ج 4 ص 179).

• وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين كانوا يظهرون أمام الناس بمزيد من التقوى والخشوع حتى أن النبي (ص) قال لعمر إن أحدكم يحقر صلاته وصيامه مع صلاتهم وصيامهم. ولا شك أنهم كانوا يحفظون القرآن حفظاً متراكماً ولكن لا يتجاوز حناجرهم، وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «دعه فإن له أصحاباً» يدل على وجود المنافقين بأعداد كبيرة ضمن الصحابة.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السابع في اب من لم يواجه الناس بالعتاب من كتاب الأدب، *مركز تحقيق مكتبة علوم إسلامي*

قالت عائشة: صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً فرخص فيه فتنة عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخطب فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية، (صحيح البخاري ج 7 ص 96).

• وهذا نوع آخر من الصحابة الذين يتنزهون عن سنة النبي (ص) ولا شك أنهم كانوا يسخرون من أفعاله ولذلك نراه صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فيهم ويقسم بالله أنه لأعلمهم بالله وأشدّهم له خشية.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب الإشتراك في الهدى والبدن من كتاب المظالم.

عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم صبيحاً رابعة من ذي الحجة مهلين بالحج لا يخلطهم شيء، فلما قدمنا أمرنا فجعلناها عمرة

وَأَنَّ نَحْلُ إِلَى نِسَائِنَا، فَفَشْتُ فِي ذَلِكَ الْقَالَةَ، قَالَ عطاء، قال جابر: فيروح أحدنا إلى منى وذكره يقطر منياً، فقال جابر بكفه، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقام خطيباً فقال: بلغني أن أقواماً يقولون كذا وكذا، والله لانا أبر وأتقى لله منهم... (صحيح البخاري ج 3 ص 114).

* وهذا نمط آخر من الصحابة الذين يعصون أوامر رسول الله في الأحكام الشرعية، وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: بلغني أن أقواماً يقولون كذا وكذا، يدل على أن الكثير منهم رفضوا أن يتحللوا لنسائهم بدعوى أنهم يتزهدون أن يروحوا إلى منى وذكرانهم تقطر منياً وغاب عن هؤلاء الجهلة أن الله أوجب عليهم الغسل والطهارة بعد كل عملية جنسية، فكيف يروحون إلى منى والمنى يقطر من ذكورهم؟ وهل هم أعلم بأحكام الله من رسول الله نفسه؟ أم هم أبر وأتقى لله منه؟

ولَا شَكَّ أَنَّ زَوَاجَ الْمُتَعَةِ أَوْ «مُتَعَةِ النِّسَاءِ» وَقَعَ تَحْرِيمُهَا بَعْدَ الرِّسُولِ (ص) مِنْ طَرَفِ رِجَالِهِمْ، مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَلِذَا كَانُوا فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ (ص) يَرَفُضُونَ أَمْرَهُ بِنِكَاحِ نِسَائِهِمْ أَيَّامَ الْحَجِّ، فَلَا يُسْتَعْرَبُ مِنْهُمْ أَنْ يَمْنَعُوا نِكَاحَ الْمُتَعَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ تَنْزِيهاً مِنْهُمْ لَأَنْفُسِهِمْ عَمَّا كَانَ يَأْمُرُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْتَبِرُونَ نِكَاحَ الْمُتَعَةِ مِنْ قَبِيلِ الزَّنا، كَمَا يَقُولُ الْيَوْمَ أَهْلُ السُّنَّةِ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب ما كان النبي يعطي المؤلفه قلوبهم من كتاب الجهاد والسير.

عن أنس بن مالك، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ فَأَعْطَى رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ الْأَنْصَارُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَدْعُنَا وَسِيفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ! فَجَمَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَبَةِ وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: «مَا كَانَ حَدِيثُ بَلْغَنِي عَنْكُمْ؟» وَلَمَّا أَعَادُوا عَلَيْهِ مَقَالَتَهُمْ، قَالَ: «إِنِّي أُعْطِي رِجَالاً حَدِيثُ عَهْدِهِمْ بِكَفْرِ، أَمَا

ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رجالكم برسول الله، فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به» قالوا: بلى يا رسول الله قد رضيينا. فقال لهم: «إنكم سترون بعدي أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض» قال أنس: فلم نصبر (صحيح البخاري ج 4 ص 60).

• ونسأل: هل كان في الانصار كلهم رجل واحد رشيد إقنع بما فعله رسول الله (ص) واعتقد بأنه لا يميل مع الهوى والعاطفة، وفهم قول الله سبحانه في هذا الصدد: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ [النساء: 65].

فهل كان فيهم من دافع عن رسول الله (ص) عندما قالوا: يغفر الله لرسول الله؟

كلأ لم يكن فيهم واحداً بمستوى الإيمان الذي اقتضته الآية الكريمة، وقولهم بعد ذلك: بلى يا رسول الله قد رضيينا، لم يكن عن قناعة، ولذلك جاءت شهادة أنس بن مالك وهو منهم في محلها عندما قال: أوصانا بالصبر فلم نصبر.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب غزوة الحديبية من كتاب المغازي.

عن أحمد بن إشكاب حدثنا محمد بن فضيل عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما، فقلت: طوي لك صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وبايعته تحت الشجرة!

فقال: يا بن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده. (صحيح البخاري ج 5 ص 66).

• لقد صدق البراء بن عازب: فإن أغلب الناس لا يدرون ما أحدث الصحابة بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم - من ظلم وصيه وابن عمه

وأبعاده عن الخلافة - ومن ظلم ابنته الزهراء وتهديدها بالحرق، وغصب حقها من النحلة والإرث والخمس، ومن مخالفة وصايا النبي (ص) وتبديل الأحكام التشريعية وحرق السنة النبوية وضرب الحصار عليها، ومن أذيتة صلى الله عليه وآله وسلم في لعن وقتل أهل بيته وإبعادهم وتشريدهم وإعطاء السلطة إلى المنافقين والفاسقين من أعداء الله ورسوله. نعم كل ذلك وغيره كثير مما أحدثوه من بعده وبقي مجهولاً عند عامة الناس الذين ما عرفوا من الحقائق إلا ما أملكه عليهم مدرسة الخلفاء. التي تفتنت في تبديل أحكام الله ورسوله باجتهادات شخصية سميت البدع الحسنة.

وبهذه المناسبة نقول لأهل السنة: لَا تَغْتَرُوا يَا إِخْوَتَنَا بِالصُّحْبَةِ وَالصَّحَابَةِ فَمَا هُوَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ مِنَ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ، الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ (ص) تَحْتَ الشَّجَرَةِ يَقُولُ لَابْنُ أَخِيهِ بِلِسَانِ الْحَالِ: لَا تَغْرَنُكَ صَحْبَتِي وَلَا يَبْعَتِي تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أُحْدِثُ بَعْدَهُ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ...﴾ [الفتح: 10].

وكم كان عدد الصحابة الناكثين كبيراً حتى عهد النبي (ص) لابن عمه علي أن يُقاتلهم، كما جاء ذلك في كتب التاريخ.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الأول والثالث في باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة من كتاب الجمعة.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أقبلت غير من الشام تحمِلُ طعاماً ونحن نصلِّي مع النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة، فانفضَّ الناس، إلا إثنى عشر رجلاً، فنزلت هذه الآية، وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً. (صحيح البخاري ج 1 ص 225 وج 3 ص 6 و 7).

• وهذا نمط آخر من الصحابة المنافقين الذين لا يتورعون ولا يخشعون، بل ويفرون من صلاة الجمعة ليتفرجوا على العير والتجارة

ويتركون رسول الله قائماً بين يدي الله يؤدّي فريضته في خشوع ورهبة.

فهل هؤلاء مسلمون كَمُلَ إيمانهم؟ أم هل هم منافقون يهزؤون من الصلاة وإذا قاموا إليها قاموا كُسَالَى؟ ولا يُسْتَنَى منهم إلا الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم لإتمام صلاة الجمعة وعددهم إثني عشر رجلاً.

ومن تتبّع أحوالهم واستقصى أخبارهم، فسوف يندهش لأفعالهم ولا شك أن هروبهم من صلاة الجمعة تكرر لمرات متعدّدة ولذلك سجّله كتاب الله سبحانه بقوله: قل ما عند الله خير من اللّهُو ومن التجارة.

وحتى تعرف أيها القارئ العزيز، مدى احترامهم لهذه الصلاة التي يحترمها مسلمو العصر الحاضر أكثر منهم إليك هذه الرواية.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب ما جاء في الغرس من كتاب الوكالة.

عن سهل بن سعيد رضي الله عنه أنه قال: إنا كنا نفرح بيوم الجمعة كانت لنا عجوز تأخذ من أصول سلق لنا كنا نغرسه في أربعائنا فتجعله في قدر لها فتجعل فيه حبّات من شعير لا أعلم إلا أنه قال ليس فيه شحم ولا ودك، فإذا صلينا الجمعة زرناها فقرّبته إلينا، فكنا نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك، وما كنا نتغذى ولا نقيل إلا بعد الجمعة. (صحيح البخاري ج 3 ص 73).

• فهنيئاً مريئاً لهؤلاء الصّحابة الذين لا يفرحون بيوم الجمعة للقاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاستماع لخطبه ومواعظه والصلاة بإمامته ولا بقاء بعضهم البعض وما في ذلك اليوم من بركات ورحمات ولكنهم يفرحون بيوم الجمعة من أجل طعام مخصوص أعدته لهم عجوز، ولو قال أحد المسلمين اليوم بأنه يفرح بيوم الجمعة من أجل الطعام لأعُتِبَ من المسوّفين المهملين.

وإذا أردنا مزيداً من البحث والتنقيب فإننا سنجد الشاكرين الذين مدحهم القرآن الكريم، أقلية لا يتجاوز عددهم الإثنى عشر رجلاً، وهؤلاء هم المخلصون الذين لم ينفضوا إلى اللهو والتجارة وتركوا الصلاة، وهم أنفسهم الذين ثبتوا في الجهاد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العديد من المواطن التي فر منها بقية الصحابة وولوا مدبرين.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الرابع في باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب من كتاب الجهاد والسير.

عن البراء بن عازب قال: جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجال يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً، عبد الله بن جبير فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتيدن قد بدت خلاخلهن وأسواقهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: «والله لتأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير إثنى عشر رجلاً فأصابوا منا سبعين...» (صحيح البخاري ج 4 ص 26).

* وإذا عرفنا مما ذكره المؤرخون لهذه الغزوة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج بألف صحابي كلهم يتشوقون للجهاد في سبيل الله مغترين بالنصر الذي حصل في غزوة بدر، ولكنهم غصوا أمر النبي (ص) وتسببوا في هزيمة نكراء شنيعة قُتل فيها سبعون وعلى رأسهم حمزة عم النبي (ص) وفر الباقي ولم يبق مع النبي (ص) في ساحة المعركة غير إثنى عشر رجلاً على ما يقوله البخاري، أما غيره من المؤرخين فينزل بهذا العدد إلى أربعة فقط وهم علي بن أبي طالب الذي تصدى للمشركين يحمي بذلك

وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو دجاجة يحمي ظهره وطلحة والزبير وقيل سهل بن حنيف.

ومن هذه المواقف نفهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَا أَرَى يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمْلِ النِّعَمِ» (سيأتي البحث في هذا الحديث).

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد توعدهم بالنار إذا فرّوا من الحرب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ، وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَشِّرِ الْمَصِيرَةَ﴾ [الأنفال: 16].

فما هي قيمة هؤلاء الصحابة الذين يفرّون من الصلاة من أجل الله والتجارة، ويفرون من الجهاد خوفاً من الموت تاركين رسول الله صلى الله عليه وآله وحده بين الأعداء. وفي كلتا الحالتين ينفضوا ويولّوا الأدبار بأجمعهم ولا يبق معه صلى الله عليه وآله وسلم غير اثني عشر رجلاً على أكثر التقديرات. فآين الصحابة يا أولي الألباب؟؟

ولعل بعض الباحثين عندما يقرؤون مثل هذه الأحداث والروايات يستصغرون شأنها ويظنون بأنها حادثة عرضية عفى الله عنها، ولم يعد الصحابة إلى مثلها بعد ذلك.

كلّا، فإن القرآن الكريم يوقفنا على حقائق مذهلة، فقد سجّل الله سبحانه فرارهم يوم غزوة أحد⁽¹⁾ بقوله:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ، إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ

(1) تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ج 4 ص 126. تفسير الطبري أيضاً. وكذلك صحيح البخاري ج 5 ص 29 باب غزوة أحد.

من يريد الآخرة، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم، ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين إذ تُصَبِّدُونَ ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمًا بغمٍ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبيرٌ بما تعملون ﴿[آل عمران: 153]﴾.

فهذه الآيات نزلت بعد معركة أحد، والتي انهزم فيها المسلمون بسبب رغبتهم في متاع الدنيا عندما رأوا النساء رافعات ثيابهن قد بدت أسواقهن وخلاخلهن على ما حكاه البخاري، فعصوا الله ورسوله (ص) كما حكاه القرآن؛ فهل اعتبر الصحابة بتلك الحادثة وتابوا إلى الله واستغفروه ولم يعودوا لمثلها بعد ذلك؟

كلًا فإنهم لم يتوبوا وعادوا إلى أكبر منها في غزوة حُنين والتي وقعت في آخر حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وكان عددهم في تلك المعركة إثني عشر ألفاً على ما ذكره المؤرخون، ورغم كثرتهم فقد لاذوا بالفرار وولّوا مدبرين كالعادة تاركين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسط أعداء الله من المشركين ومعه تسعة أو عشرة أنفار من بني هاشم على رأسهم الإمام علي بن أبي طالب كما نصّ عليه اليعقوبي في تاريخه وغيره^(١).

وإذا كان فرارهم يوم أحد شنيع فهو في حنين أشنع وأقبح لأن الصّابرين الذين ثبتوا معه يوم أحد كانوا أربعة من ألف صحابي وهي نسبة واحد من كل مائتين وخمسين.

أما في يوم حُنين فكان الصّابرون الثابتون عشرة، من إثني عشر ألف صحابي وهي نسبة واحد من كل ألف ومائتين.

وإذا كانت معركة أحد في بداية الهجرة والناس لم يزالوا أقلية وحديثي

(١) عباس العقاد في عبقرية خالد ص 68.

عهد بجاهلية، فما هو عذرهم في معركة حُنين التي وقعت في آخر السنة الثامنة للهجرة النبوية ولم يبق من حياة النبي معهم إلا عامين ورغم كثرة عددهم وعدتهم فقد أطلقوا أرجلهم للريح وهربوا غير مُلتفتين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فالقرآن الكريم يُبين بوضوح مواقفهم المتخاذلة وهروبهم من الزحف في تلك المعركة بقوله:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ، فَانْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَهَدَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ذَلِكَ جَزَاءَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 26].

يُبين سبحانه بأنه قد ثبتَّ رسوله (ص) والذين صبروا معه على القتال بإنزال السكينة عليهم، ثم أمدهم بجنود من الملائكة يحاربون معهم ونصرهم على الكافرين فلا حاجة للمرتدين الذين يفرون من العدو خوفاً من الموت، ويعصون بذلك ربهم ونبئهم، وكلما امتحنهم الله وجددهم فاشلين.

ولمزيد البيان لا بُدَّ لنا من استعراض الرواية التي أخرجها البخاري بخصوص انهزام الصحابة يوم حُنين.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾. من كتاب المغازي.

أنَّ أبا قتادة قال: لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَآخِرُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَخْتَلُهُ مِنْ وِجَاهِهِ لِيَقْتُلَهُ فَاسْرَعْتُ إِلَى الَّذِي يَخْتَلُهُ فَرَفَعَ يَدَهُ لِيَضْرِبَنِي فَضَرَبَتْ يَدَهُ فَقَطَعَتْهَا ثُمَّ أَخَذَنِي فَضَمَّنِي ضَمًّا شَدِيدًا حَتَّى تَخَوَّفْتُ ثُمَّ تَرَكَ فَتَحَلَّلَ وَدَفَعْتُهُ ثُمَّ قَتَلْتُهُ، وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَانْهَزَمْتُ مَعَهُمْ فَإِذَا بِعَمْرِبِ بْنِ الْخَطَّابِ فِي النَّاسِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا

شأن الناس؟ قال: أمر الله... (صحيح البخاري ج 5 ص 101).

• عجيبٌ والله أمرُ عمر بن الخطاب الذي هو معدود عند أهل السنة من أشجع الصحابة إذا لم يكن أشجعهم على الإطلاق، لأنهم يروون بأن الله أعزَّ به الإسلام وأن المسلمين لم يجهرُوا بالدعوة إلا بعد إسلامه وقد أوقفنا التاريخ على الصحيح والواقع وكيف أنه ولَّى دبره وهرب من المعركة يوم أحد، كما ولَّى دبره وفرَّ هارباً يوم خيبر عندما أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مدينة خيبر ليفتحها وأرسل معه جيشاً فانهزم هو وأصحابه ورجعوا بجبنونه ويَجْبَنُهُمْ⁽¹⁾، كما ولَّى دبره وهرب يوم حنين مع الهاربين أو لعلَّه كان أولُ الهاربين وتبعه الناس إذ كان هو أشجعهم، ولذلك نرى أباً قتادة يلتفت من بين ألوف المنهزمين إلى عمر بن الخطاب ويسأله كالمستغرب، ما شأن الناس؟ ولم يكتفِ عمر بن الخطاب بهروبه من الجهاد وترك رسول الله (ص) وسط الأعداء من المشركين حتَّى يمؤهُ على أبي قتادة بأنه أمرُ الله!

فهل أمر الله عمر بن الخطاب بالفرار من الرِّحْف؟

أم أنه أمره بالثبات والصبر في الحروب وعدم الفرار؟ فقد قال له ولأصحابه ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾ [الأنفال: 1].

كما أخذ الله عليه وعلى أصحابه عهداً بذلك، فقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً﴾ [الأحزاب: 15].

فكيف يُولِّي أبو حفص الذِّبْر من الرِّحْف ويدَّعي أن ذلك أمرُ الله؟؟

فأين هو من هذه الآيات البيِّنات، أم على قلوب أفعالها؟

(1) مستدرک الحاكم ج 3 ص 37 كما أخرجه الذهبي في تلخيصه.

ولسنا هنا بصدد البحث عن شخصية عمر بن الخطاب فسوف نُفرد له باباً خاصاً به، ولكن حديث البخاري مشيرٌ لم يترك لنا مندوحة من هذه الملاحظة السريعة، والذي يهمنا الآن هو شهادة البخاري بأن الصحابة على كثرة عددهم ولوا مُدبرين يوم حنين، والذي يقرأ كتب التاريخ في تلك الحروب والغزوات يظهر له العجب العجيب.

وإذا كان أمرُ الله لا يطاع من أكثر الصحابة كما عرفنا من خلال الأبحاث السابقة، فلا يُستغربُ منهم الإغراض عن أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو حيٌ معهم - أما أوامره بعد وفاته بأبي هو وأمي وما لقيت منهم من إهمال وتبديل فحدث ولا حرج.

الصحابة تجاه أوامر الرسول (ص) في حياته

ولنبداً بالأوامر التي أمر بها صلى الله عليه وآله وسلم في حياته والتي قوبلت بالتمرد والعصيان من قبل هؤلاء الصحابة.

وسوف لن نتحدث إلا بما أخرج به البخاري في صحيحه روماً للاختصار وضارباً على بقية صحاح أهل السنة صفحاً وإلا فإن فيها أضعاف الأضعاف وبعبارات أكثر وضوحاً، وأكثر تحدياً.

أخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثالث في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب من كتاب الشروط.

وبعدما أورد البخاري قصة صلح الحديبية ومعارضة عمر بن الخطاب لما وافق عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشكّه فيه حتى قال له صراحة: أُلستَ نبي الله حقاً؟ إلى آخر القضية. قال البخاري: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه قوموا فانحروا ثم أحلقوا. قال: فوالله ما قامَ منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرّات فلم يقم منهم أحدٌ فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس.

(صحيح البخاري ج 3 ص 182).

* ألا تعجب أيها القارئ من تمرّد الصحابة وعصيانهم تجاه أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورغم تكرار الأمر ثلاث مرات فلم يستجب له منهم أحد؟؟

ولا بدّ هنا من ذكر محادثة دارت بيني وبين بعض العلماء في تونس بعد صدور كتابي «ثم اهتديت» ولأنهم قرأوا فيه تعليقي على صلح الحديبية، فعلقوا بدورهم على هذه الفقرة بقولهم: إذا كان الصحابة قد عصوا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنحر والحلق فلم يمثل لأمره أحد فإن علياً بن أبي طالب كان معهم ولم يمثل هو الآخر لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم. وأجبتهم بما يلي:

أولاً: لم يكن علي بن أبي طالب معدوداً من الصحابة، فهو أخ رسول الله وابن عمّه وزوج ابنته وأبو ولده، وقد كان عليّ مع رسول الله في جانب وبقية الناس في جانب، فإذا قال الراوي في صحيح البخاري بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر أصحابه بالنحر والحلق، فإن أبا حسن سلام الله عليه لم يكن معدوداً ضمنهم، فهو بمنزلة هارون من موسى، ألا ترون أنّ الصلاة على محمد لا تكون كاملة إلا إذا أضيف إليها الصلاة على آله، وعلي هو سيد آل محمد بدون منازع فأبو بكر وعمر وعثمان وكل الصحابة لا تصحّ صلاتهم إلا إذا كان فيها ذكر علي بن أبي طالب مع محمد بن عبد الله.

ثانياً: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان دائماً يُشركُ علياً أخاه في هديه كما وقع ذلك في حجة الوداع عندما قدم عليّ من اليمن وسأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بماذا أهملت يا علي؟ فقال: بما أهلّ رسول الله. فأشركه النبي في هديه، وقد ذكر هذه القضية كل المحذّثين والمؤرّخين، فلا بد أن يكون شريكه يوم الحديبية أيضاً.

ثالثاً: إن علياً بن أبي طالب هو الذي كتب الصلح يوم الحديبية بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يعترض عليه في شيء طيلة حياته، لا بمناسبة الحديبية ولا في غيرها، ولم يسجل التاريخ بأنه عليه السلام تأخر عن أمر الرسول (ص) أو عصاه مرة واحدة - حاشاء - ولا فر مرة من الزحف وترك أخاه وابن عمه بين الأعداء، بل كان دائماً يفديه بنفسه. والخلاصة أن علياً بن أبي طالب هو كنفس النبي (ص) ولذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا يحل لأحد أن يجنب في المسجد إلا أنا وعلي»^(١).

واقتنع أغلب المحاورين بما أوردته واعترفوا بأن علياً بن أبي طالب ما خالف في حياته أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثامن في باب كراهية الخلاف من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

عن عبد الله بن عباس قال: «لما احتضر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله واختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: قوموا عني، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم. (صحيح البخاري ج 8 ص 161 وج 1 ص 37 وج 5 ص 138).

(١) صحيح الترمذي ج 5 ص 303 تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 172 الصواعق المحرقة لابن حجر ص 121.

* وهذا أمر آخر لرسول الله صلى الله عليه وآله يقابله الصحابة بالرفض والعصيان وبانتفاص النبي صلى الله عليه وآله.

مع الملاحظة بأن عمر بن الخطاب قال بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما طلب منهم إحضار الكتف والدواة ليكتب لهم الكتاب الذي يمنهم من الضلالة قال: إن رسول الله يهجر بمعنى يهذي - والعياذ بالله - .

ولكن البخاري هذب تلك العبارة وأبدلها بـ «غلبه الوجع» لأن قائلها عمر بن الخطاب. وقرأه إذا أهمل اسم عمر في الرواية قال: فقالوا هجر رسول الله وهذه أمانة البخاري في نقل الحديث (وسوف نعقد له باباً خاصاً).

وعلى كل حال فإن أكثر المحدثين والمؤرخين ذكروا بأن عمر بن الخطاب قال: إن رسول الله يهجر، وتبعه كثير من الصحابة فقالوا مقالته بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - ولنا أن نتصور ذلك الموقف الرهيب وتلك الأصوات المرتفعة وكثرة اللغط والاختلاف بحضرة صلى الله عليه وآله وسلم، ومهما تكن الرواية معبرة فلا تُعبر في الواقع إلا قليلاً عن المشهد الحقيقي، كما إذا قرأنا كتاباً تاريخياً يحكي حياة موسى عليه السلام فمهما يكن الكتاب معبراً فلا يبلغ تعبير الفيلم السينمائي الذي نشاهده عياناً.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه السابع في باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله عز وجل من كتاب الأدب.

قال: احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجارة مُخَصَّفة أو حصيراً فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي إليها، فتبعه رجالٌ وجاؤوا يُصَلُّونَ بصلاته ثم جاؤوا ليلة فحضرُوا وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فلم يخرج إليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم مُغضباً فقال لهم: ما زال بكم صنعكم حتى ظننتُ أنه سيكتب

عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة. (صحيح البخاري ج 7 ص 99 وج 2 ص 252 وج 4 ص 168).

• ومع كل الأسف فإن عمر بن الخطاب خالف أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجمع الناس على صلاة النافلة أيام خلافته وقال في ذلك: إنها بدعة ونعم البدعة^(١)، وتبعه على بدعته أكثر الصحابة الذين كانوا يرون رأيه ويؤيدونه في كل ما يفعل ويقول، وخالفه علي بن أبي طالب وأهل البيت الذين لا يعملون إلا بأوامر سيدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم ولا يفتون عنها بدلاً، وإذا كانت كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فما بالك بالتي جعلت لتخالف أحكام النبي صلى الله عليه وسلم عليه وآله وسلم.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب غزوة زيد بن حارثة من كتاب المغازي.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة على قوم فطعنوا في إمارته، فقال: إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إماره أبيه من قبله، وآيم الله لقد كان خليفاً للإمارة وإن كان من أحب الناس إلي وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده (صحيح البخاري ج 5 ص 84).

• وهذه القصة ذكرها المؤرخون بشيء من التفصيل وكيف أنهم أغضبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وآله وسلم حتى لعن المتخلفين عن بعث أسامة وهو القائد الصغير الذي لم يبلغ عمره سبعة عشر عاماً وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم عليه وآله وسلم على جيش فيه أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وكل وجوه قريش، ولم يعين في ذلك الجيش علي بن أبي طالب ولا أحداً من الصحابة الذين كانوا يتشيعون له.

(1) صحيح البخاري ج 2 ص 252 كتاب صلاة التراويح.

ولكن البخاري دائماً يقتصر الحوادث ويبتز الأحاديث حفاظاً على كرامة السلف الصالح من الصحابة، ومع ذلك ففي ما أخرجه كفاية لمن أراد الوصول إلى الحق.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الثاني في باب التنكيل لمن أكثر الوصال من كتاب الصوم.

عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله! قال: وآيكم مثلي؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال، فقال: لو تأخر لزدتكم كتكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا. (صحيح البخاري ج 2 ص 243).

• مرحى لهؤلاء الصحابة الذين يتهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الشيء فلا ينتهوا ويكرر لهم نهيهم فلا يسمعون، أفلم يقرأوا قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

ورغم تهديد الله سبحانه لمن خالف رسوله (ص) بالعقاب الشديد فإن بعض الصحابة لا يقيمون لتهديده ووعيده وزناً.

وإذا كان حالهم على هذا الوصف فلا شك في نفاقهم ولو تظاهروا بكثرة الصلاة والصيام والتشدد في الدين إلى درجة أنهم يحرموا نكاح نسائهم لئلا يروحووا ومذاكيرهم تقطر منياً. ويتزهون عما يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما تقدم في الأبحاث السابقة.

وأخرج البخاري في صحيحه من جزئه الخامس في باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كتاب المغازي.

عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم

خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون صباناً صباناً، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كل رجل منّا أسيرته، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منّا أسيره، فقلت والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرناه له، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فقال: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ مَرَّتَيْنِ. (صحيح البخاري ج 5 ص 107 وج 8 ص 118).

* ذكر المؤرخون هذه الحادثة بشيء من التفصيل وكيف ارتكب خالد بن الوليد هذه المعصية الشنيعة هو وبعض الصحابة الذين أطاعوه ولم يمثلوا أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تحريم قتل من أسلم، إنها من أكبر المعاصي التي أراقت دماء بريئة، ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره بدعوتهم للإسلام ولم يأمره بقتالهم.

ولكن خالد بن الوليد تغلبت عليه دعوى الجاهلية وأخذته الحمية الشيطانية لأن بني جذيمة قتلوا عمه «الفاكه بن المغيرة» أيام الجاهلية، فغدر بهم وقال لهم ضعوا أسلحتكم فإن الناس قد أسلموا ثم أمر بهم فكُتفوا وقتل منهم خلقاً كثيراً.

ولما علم بعض الصحابة المخلصين نوايا خالد، هربوا من الجيش والتحقوا بالنبي (ص) ورا عليه الخبر، فكتب رسول الله (ص) من فعله وأرسل علياً بن أبي طالب فودى لهم الدماء والأموال.

ولمعرفة هذه القضية بشيء من التفصيل، لا بأس بقراءة ما كتبه عباس محمود العقاد في كتابه «عبقريّة خالد» إذ قال العقاد بالحرف في صفحة 57 و 58 ما يلي:

«بعد فتح مكة توجهت عنايته عليه السلام إلى تطهير البوادي المحيطة بها من عبادة الأصنام، فأرسل السرايا إلى قبائلها لدعوتها والاستيثاق من

نَيَاتِهَا، ومنها سرية خالد إلى بني جذيمة في نحو ثلاثمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار وبني سليم - أرسلهم دعاة ولم يأمرهم بقتال - وكان بنو جذيمة شرّ حيّ في الجاهلية يسمّون لعقة الدم ومن قتلهم الفاكه بن المغيرة وأخوه عمّا خالد بن الوليد ووالد عبد الرحمن بن عوف، ومالك بن الشريد وإخوته الثلاثة من بني سليم في موطن واحد، وغير هؤلاء من قبائل شتى.

فلما أقبل عليهم خالد وعلموا أنّ بني سليم معه لبسوا السلاح وركبوا للحرب وأبوا النزول، فسألهم خالد: أمسلمون أنتم؟ فقبل إن بعضهم أجابه بنعم، وبعضهم أجابه: صيأنا صيأنا! أي تركنا عبادة الأصنام، ثم سألهم: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إنّ بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا أن نكونوا هم فأخذنا السلاح! فناداهم: ضعوا السلاح فإنّ الناس قد أسلموا. فصاح بهم رجل منهم يقال له جحدم، ويلكم يا بني جذيمة إنّ خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. فما زالوا به حتى نزع سلاحه فيمن نزع وتفرّق الآخرون.

فامر خالد بهم فكتفوا وعرضهم على السيف، فأطاعه في قتلهم بنو سليم ومن معه من الأعراب، وأنكر عليه الأنصار والمهاجرون أن يقتل أحداً غير مأمور من النبي عليه السلام بالقتال، ثم انتهى الخبر إلى النبي فرفع يديه إلى السماء وقال ثلاثاً: «اللهم إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد» وبعث بعلي بن أبي طالب إلى بني جذيمة فودى دماءهم وما أصيب من أموالهم...

وقد عمّ النكير على الحادث بين أجلاء الصحابة، من حضر منهم السرية ومن لم يحضرها، واشتدّ عبد الرحمن بن عوف حتى رمى خالدًا بقتل القوم عمداً ليدرك ثار عميه، انتهى كلام العقاد.

• نعم هذا ما ذكره العقاد بالحرف في كتابه عبقرية خالد والعقاد

كغيره من مفكري أهل السنة، بعدما يورد القصة بكاملها يلتبسُ أَعذاراً باردة ملفقة لخالد بن الوليد لا تقوم على دليل ولا يقبلها عقل سليم - وليس للعقاد عُذر سوى أنه يكتب «عقوبة خالد». فكل ما جاء به من أَعذار لخالد فهي واهية كبيت العنكبوت والذي يقرأها يشعر بسخافة الدفاع ووهنه.

فكيف وقد شهد هو بنفسه في كلامه بأن النبي (ص) أرسلهم دعاء ولم يأمرهم بقتال - واعترف بأن بني جذيمة نزعوا سلاحهم بعدما لبسوه عندما خدعهم خالد بقوله لأصحابه: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا واعترف أيضاً بأن جحدم الذي رفض نزع السلاح وحذر قومه بأن خالداً سيفدر بهم بقوله: ويلكم يا بني جذيمة إنه خالد، والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار وما بعد الأسار إلا ضرب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً. وقال العقاد بأن بني جذيمة ما زالوا به حتى نزع سلاحه، وهذا ما يدل على إسلام القوم وحسن نيتهم.

فإذا كان رسول الله (ص) أرسلهم دعاء ولم يأمرهم بقتال كما شهدت يا عقاد فما هو عذر خالد لمخالفة أوامر النبي (ص)؟ هذه عقدة لا أحسبك تحلها يا عقاد.

وإذا كان القوم قد نزعوا السلاح وأعلنوا إسلامهم وغلبوا أصحابهم الذي أقسم أن لا يضع سلاحه حتى أقنعوه كما اعترفت به يا عقاد فما هو عذر خالد للغدر بهم وقتلهم صبراً وهم عزّل من السلاح؟

وقد قلت بأن خالد أمر بهم فكثفوا وعرضهم على السيف. وهذه عقدة أخرى ما أظنك قادراً على حلها يا عقاد. وهل الإسلام أمر المسلمين بقتل من لم يقاتلهم؟ على فرض أنهم لم يعلنوا إسلامهم. كلا فهذه حجة المستشرقين أعداء الإسلام والتي يروجونها اليوم.

ثم اعترفت مرةً أخرى بأن النبي (ص) لم يأمره بقتال القوم، إذ قلت بأن المهاجرين والأنصار أنكروا على خالد أن يقتل أحداً غير مأمور من النبي

عليه السلام بالقتال، فما هو عُذرك يا عَقَاد في التماس العذر لخالد؟
ويكفيها ردّاً على العقّاد، أنّه أبطل أَعذاره بنفسه وناقضها بأكملها حين
اعترف بقوله:

وقد عَمَّ النّكير على الحادث بين أجلاء الصحابة، من حضر منهم
السرية ومن لم يحضرها - فإذا كان أجلاء الصّحابة شدّدوا النّكير على خالد
حتّى هربوا من جيشه واشتكوه للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان عبد
الرحمن بن عوف قد اتهم خالداً بقتل القوم عمداً ليدرك ثأر عمّيه - كما شهد
بذلك العقّاد..

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد رفع يديه إلى السماء وقال
ثلاث مرّات: «اللهمّ إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد».

وإذا كان النّبي بعث بعليٍّ ومعه أموالٌ فودّى لبني جذيمة دماءهم وما
أصيب من أموالهم حتّى استرضاهم - كما شهد العقّاد - هذا يدلّ على أن
القوم أسلموا ولكنّ خالد ظلّمهم واعتدى عليهم فهل من سائل يسأل العقّاد
الذي يحاول جهده تبرير خالد إن كان هو أعلم من رسول الله (ص) الذي
تبرأ إلى الله ثلاثاً من فعله؟ أو من أجلاء الصّحابة الذين أنكروا عليه؟ أو من
الصّحابة الذين حضروا الواقعة وهربوا من السّرية لهول ما رأوه من صنيعه
المُنكر؟ أو من عبد الرحمن بن عوف الذي كان معه في السّرية وهو لا شك
أعرف بخالد من العقّاد، والذي اتهمه بقتل القوم عمداً ليدرك ثأر عمّيه؟

قاتل الله التعصّب الأعمى والحمية الجاهلية التي تقلب الحقائق؛
ومهما اختصر البخاري القضية في أربعة سطور، فإنّ فيما أورده كفاية لإدانة
خالد وبقية الصّحابة الذين أطاعوه في قتل المسلمين الأبرياء والذين ذكرهم
العقّاد بقوله: فأطاعه في قتلهم بنو سليم ومن معه من الأعراب، ولكنّ
البخاري لا يستثني من الصّحابة الذين أطاعوه إلا اثنين أو ثلاثة هربوا من
الجيش ورجعوا للنّبي يشكون خالد فلا يمكن لك أن تقنعنا يا عَقَاد بأنّ

المهاجرين والأنصار وعددهم ثلاثمائة وخمسون كما صرحت أنت بذلك لم يطيعوا خالد في قتل القوم وهربوا كلهم من الجيش فهذا لا يصدق أحد من الباحثين.

ولكنها محاولة منك للحفاظ على كرامة السلف الصالح من الصحابة وستر الحقائق بأي ثمن. وجاء الوقت لإزاحة الستار ومعرفة الحق.

وكم لخالد بن الوليد من مجازر شنيعة حدثنا عنها التاريخ خصوصاً يوم البطاح عندما انتدبه أبو بكر على رأس جيش كبير مؤلف من الصحابة الأولين فغدر أيضاً بمالك بن نويرة وقومه ولما وضعوا السلاح أمر بهم فكثفوا وضرب أعناقهم صبراً، ودخل بـزوجة مالك ليلي أم تميم في نفس الليلة التي قتل فيها بعلمها. ولما وقف عمر بن الخطاب يقتص منه وقال له: قتلت امرأة مسلماً ثم نزوت على زوجته، والله لأرجمك بأحجارك يا عدو الله! وقف أبو بكر إلى جانب خالد وقال لعمر: إرفع لسانك عن خالد فإنه تأول فأخطأ. وهذه قضية أخرى يطول شرحها ويقبح عرضها. فكم من مظلوم يهضم حقه لأن ظالماً قوياً عزيز، وكم من ظالم ينصر ظلمه وباطله لأنه غني ومقرب للجهاز الحاكم، فهذا البخاري عندما يستعرض قصة بنو جذيمة يترها بترأ ويقول: بعث النبي خالد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون: صباناً صباناً.

فهل كان بنو جذيمة فرس أم أتراك أم هنود وألمان، حتى لا يحسنوا أن يقولوا أسلمنا يا بخاري؟ أم هم من القبائل العربية التي نزل القرآن بلغتهم؟ ولكن التعصب الأعمى والمؤامرة الكبرى التي حيكت للحفاظ على كرامة الصحابة هي التي جعلت البخاري يقول مثل هذا القول ليبري فعل خالد بن الوليد. وهذا العقاد أيضاً يقول: فسألهم خالد أسلمون أنتم؟ ثم يقول العقاد: فقل إن بعضهم أجابه بنعم وبعضهم أجابه صباناً صباناً... وكلمة «فقل» تدل دلالة واضحة على أن القوم يتمسكون بأي شيء قد

يوهمون به الناس ليعذروا خالد بن الوليد - لأن خالد بن الوليد هو سيف الحاكم المسلول وهو المدافع عن الخلافة الغاصبة وهو وأتباعه يمثلون القوة الضاربة لكل من تحدّثه نفسه بالخروج والتمرد عما أبرمه أبطال السقيفة يوم وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

معاملة الصحابة لأوامر الرسول (ص) بعد وفاته

تضييعهم سنة النبي (ص)

أخرج البخاري في جزئه الأول في باب تضييع الصلاة.. عن غيلان قال أنس بن مالك: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم! قيل الصلاة، قال: ~~ما أيسر ضييعكم ما ضييعتم فيها.~~

وقال سمعت الزهري يقول دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت له: ما يُبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضييعت. (صحيح البخاري ج 1 ص 134).

كما أخرج البخاري في جزئه الأول في باب فضل صلاة الفجر في جماعة قال: حدثنا الأعمش قال: سمعتُ سالمًا قال: سمعتُ أم الدرداء تقول دخل عليّ أبو الدرداء وهو مُغَضَّبٌ فقلت: ما أغضبك؟ فقال: والله ما أعرف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أنهم يصلّون جميعاً. (صحيح البخاري ج 1 ص 159).

وأخرج البخاري في جزئه الثاني في باب الخروج إلى المصلّى بخبر منبر عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلّى فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم بعد

ذلك يعظ الناس، فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فأراد أن يرتقي المنبر قبل أن يُصلي، فجذت بثوبه فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة. فقلت له: غيرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ما تعلم! فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم. فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة. (صحيح البخاري ج 2 ص 4).

إذا كان الصحابة في عهد أنس بن مالك وعلى عهد أبي الدرداء وفي حياة مروان بن الحكم وهو عهد قريب جداً بحياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، يغيرون سنن النبي (ص) ويضيعون كل شيء حتى الصلاة كما سمعت، ويقلبون سنن المصطفى (ص) لمصالحهم الخسيسة وهي أن بني أمية اتخذوا سنة سب ولعن علي وأهل البيت على المنابر بعد كل خطبة فكان أكثر الناس في عيد الفطر والأضحى عندما تنتهي الصلاة يتفرقون ولا يحبون الاستماع إلى الإمام يلعن علياً بن أبي طالب وأهل البيت ولذلك عمد بنو أمية إلى تغيير سنة النبي (ص) وقدموا الخطبة على الصلاة في العيدين ليتسنى لهم سب ولعن علي بمحضر المسلمين كافة ويرغمون بذلك أنوفهم وعلى رأس هؤلاء معاوية بن أبي سفيان فهو الذي سن لهم تلك السنة التي أصبحت عندهم من أعظم السنن التي يتقربون بها إلى الله حتى أن بعض المؤرخين حكى أن أحد أئمتهم أتم خطبته في يوم الجمعة ونسي لعن علي وهم بالنزول للصلاة فإذا الناس يتصايحون من كل جانب: تركت السنة، نسيت السنة - أين هي السنة؟ نعم، وللأسف فهذه البدعة التي ابتدعها معاوية بن أبي سفيان بقيت ثمانين عاماً متداولة على منابر المسلمين، وبقيت أثارها حتى اليوم، ومع ذلك فأهل السنة والجماعة يترضون على معاوية وأتباعه ولا يطبقون فيه نقداً ولا تجريحاً بدعوى احترام الصحابة.

والحمد لله أن الباحثين المخلصين من أمة الإسلام بدأوا يعرفون

الحق من الباطل وبدأ الكثير منهم يتخلص من عقدة الصحابة التي ما كونها إلا معاوية وأشياعه وأتباعه، وأهل السنة والجماعة بدأوا يفيقون لهذا التناقض الشنيع «في الوقت الذي يدافعون فيه عن الصحابة أجمعين حتى يلعنوا من انتقص واحداً منهم. وإذا قلت لهم: إن لعنكم هذا يشمل معاوية بن أبي سفيان لأنه سب ولعن أفضل الصحابة على الإطلاق وهو يقصد بالطبع سب رسول الله الذي قال: «من سب علي فقد سبني»^(١) ومن سبني فقد سب الله».

عند ذلك يتلجلجون ويتكؤون في الجواب ويقولون أشياء إن دلت على شيء فلا تدل إلا على سخافة العقول والتعصب الأعمى المقيت يقول بعضهم مثلاً: هذه أكاذيب من موضوعات الشيعة، والبعض الآخر يقول: هم صحابة رسول الله ولهم أن يقولوا في بعضهم ما شاؤوا أما نحن فلسنا في مستواهم لكي نتقدمهم!

سبحانك اللهم وبحمدك لقد أوقفني كلامك في القرآن الكريم على حقائق كان من الصعب علي فهمها والاعتقاد بها وكنت كلما قرأت: ﴿وَلَقَدْ فَرَأْنَا لَٰجِهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ. أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الاعراف: 179].

انعجب في نفسي وأقول كيف يكون ذلك؟ أيمكن أن يكون الحيوان الأبكم أهدى من هذا الإنسان؟ أيمكن أن ينحت الإنسان حجراً ثم يعبدُه ويطلب منه الرزق والمعونة؟ ولكن والحمد لله زال عجبني عندما تفاعلت مع الناس وسافرت إلى الهند ورأيت العجب العجيب رأيت دكاترة في علم التشريح يعرفون خلايا الإنسان ومكوناته، ولا يزالون يعبدون البقر، ولو

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک في ج ٣ ص ١٢١ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، كما أورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته، وكذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٦ ص ٣٢٣ والنسائي وغيرهم.

اقترب هذا الإثم، الجاهلون من الهندوس لكان عذرهم مقبول، ولكن أن ترى النخبة المثقفة منهم يعبدون البقر والحجر والبحر والشمس والقمر، فما عليك بعد ذلك إلا أن تُسلم وتفهم مدلول القرآن الكريم بخصوص البشر الذين هم أضلّ من الحيوان.

شهادة أبي ذر الغفاري في بعض الصحابة.

أخرج البخاري في جزئه الثاني في باب ما أدبت زكاته فليس بكثر عن الأحنف بن قيس قال: جلستُ إلى ملا من قريش فجاء رجلٌ خشنُ الشعر والثياب والهيئة حتى قام عليهم فسلم ثم قال: بشر الكانزين برضفٍ يُحمى عليه في نار جهنم ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم يخرج من نفضٍ كتفه ويوضع على نفضٍ كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل ثم ولى فجلس إلى سارية، وتبعته وجلستُ إليه وأنا لا أدري من هو، فقلتُ له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلتُ! قال: إنهم لا يعقلون شيئاً، قال لي خليلي...، قلتُ من خليلك؟ قال: النبي صلى الله عليه وسلم، قال لي: يا أبا ذر أتبصر أحدًا قال: فنظرتُ إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرسلني في حاجة له، قلتُ: معم، قال: ما أحبُّ أن لي مثل أحدٍ ذهباً أنفقهُ كلُّه إلا ثلاثةً دنائير. وإن هؤلاء لا يعقلون إنما يجمعون الدنيا، لا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله عز وجل. (صحيح البخاري ج 2 ص 112).

وأخرج البخاري في جزئه السابع في باب الحوض وقول الله تعالى: إنا أعطيناك الكوثر: عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلم فقلتُ أين؟ قال: إلى النار والله قلتُ: وما شأنهم قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديارهم القهقري ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلم، قلتُ أين؟ قال: إلى النار والله

قلتُ ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديارهم الفهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل حمل النعم.

وعن أبي سعيد الخدري: فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سُخْفًا سُخْفًا لِمَنْ غَيَّرَ بعدي. (صحيح البخاري ج 7 ص 209).

كما أخرج البخاري في جزئه الخامس في باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾.

عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيتُ البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلتُ: طوبى لك صجبتُ النبي صلى الله عليه وسلم وبايعته تحت الشجرة فقال: يابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده. (صحيح البخاري ج 5 ص 66).

• وإنها لشهادة كبرى من صحابي كبير كان على الأقل صريح مع نفسه ومع الناس، وتأتي شهادته مؤكدة لما قاله الله فيهم ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾. *مركزية كميونير علوم إسلامي*

ومؤكدة لما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «فيقال لي، إنهم ارتدوا بعدك على أديارهم الفهقري».

والبراء بن عازب وهو صحابي جليل من الأكابر ومن السابقين الأولين الذين بايعوا النبي (ص) تحت الشجرة يشهد على نفسه وغيره من الصحابة بأنهم أحدثوا بعد وفاة النبي (ص) كي لا يغتر بهم الناس، وأوضح بأن صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومبايعته تحت الشجرة والتي سميت بيعة الرضوان لا تمنعان من ضلالة الصحابي وارتداده بعد النبي (ص).

وأخرج البخاري في جزئه الثامن في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لتبعن سنن من كان قبلكم. عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لتبعن سنن من كان قبلكم

شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جُحر ضب تبعتموهم - قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن؟ (صحيح البخاري ج 8 ص 151).

شهادة التاريخ في الصحابة

ولنا بعد القرآن والسنة شهادة أخرى قد تكون أوضح وأصرح لأنها ملموسة ومحسوسة عاشها الناس وشاهدوها وتفاعلوا معها فأصبحت تاريخاً يُدون وأحداثاً تحفظ وتكتب.

وإذا قرأنا كتب التاريخ عند أهل السنة والجماعة كالطبري وابن الأثير وابن سعد وأبي الفداء وابن قتيبة وغيرهم لرأينا العجب العجيب ولأدركنا أن ما يقوله أهل السنة والجماعة في عدالة الصحابة وعدم الطعن في أي واحد منهم، كلام لا يقوم على دليل ولا يقبله العقل السليم ولا يوافق عليه إلا المتعصبون الذين حجبت الظلمات عنهم النور، ولم يعودوا يفرقون بين محمد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ولا يفعل إلا الحق. وبين صحابته الذين شهد القرآن بنفاقهم وفسقهم وقلة تقواهم، فتراهم يدافعون عن الصحابة أكثر مما يدافعون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأضرب لذلك مثلاً.

• عندما تقول لأحدهم بأن سورة عبس وتولى لم يكن المقصود بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما المقصود بها أحد كبار الصحابة الذي عاتبه الله على تكبره واشمئزازه عند رؤيته الأعمى الفقير - فتراه لا يقبل بهذا التفسير ويقول: ما محمد إلا بشرٌ وقد غلط مرات عديدة وعاتبه ربه في أكثر من موقع. وما هو بمعصوم إلا في تبليغ القرآن، هذا رأيه في رسول الله!

ولكنك عندما تقول بأن عمر بن الخطاب أخطأ في ابتداعه لصلاة التراويح التي نهى رسول الله (ص) عنها وأمر الناس بالصلاة في بيوتهم

فُرَادَى إِذَا كَانَتِ الصَّلَاةُ نَافِلَةً (أَيِ غَيْرِ الْمَكْتُوبَةِ).

تَرَاهُ يَدَافِعُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دِفَاعاً لَا يَقْبَلُ النَّقَاشَ وَيَقُولُ: إِنَّهَا بَدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَيَحَاوِلُ بِكُلِّ جُهْدِهِ أَنْ يَلْتَمِسَ لَهُ عِذْراً رَغْمَ وَجُودِ النَّصِّ مِنَ النَّبِيِّ (ص) عَلَى النَّهْيِ، وَإِذَا قُلْتُ لَهُ إِنَّ عُمَرَ عَطَّلَ سَهْمَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمُ الَّذِي حَكَمَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فَتَرَاهُ يَقُولُ: إِنَّ سَيِّدَنَا عُمَرَ عَرَفَ أَنَّ الْإِسْلَامَ قَدْ قَوِيَ فَقَالَ لَهُمْ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَفَاهِيمِ الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ النَّاسِ! أَلَا تَعْجَبُ مِنْ هَذَا؟

وَوَصَلَ الْحَدَّ بِأَحَدِهِمْ عِنْدَمَا قُلْتُ لَهُ: دَعْنَا مِنَ الْبَدْعَةِ الْحَسَنَةِ وَمِنَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ، مَا هُوَ دِفَاعُكَ عَنْهُ إِذَا أَخَذَ يَهْدُدُ بِحَرْقِ بَيْتِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ بِمَنْ فِيهِ إِلَّا أَنْ يَخْرُجُوا لِلْبَيْعَةِ؟

فَأَجَابَنِي بِكُلِّ صِرَاحَةٍ: مَعَ الْحَقِّ، وَلَوْلَا أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَتَخَلَّفَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَلَوْ قَعَتِ الْفِتْنَةُ.

فَكَلَامُنَا مَعَ هَذَا النَّمَطِ مِنَ النَّاسِ لَا يُجْدِي وَلَا يَنْفَعُ، وَمَعَ الْأَسَفِ الشَّدِيدِ فَإِنَّ الْأَغْلَبِيَّةَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَفْكُرُونَ بِهَذِهِ الْعَقْلِيَّةِ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الْحَقَّ إِلَّا مِنْ خِلَالِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَأَفْعَالِهِ، فَهَمَّ عَكَسُوا الْقَاعِدَةَ وَعَرَفُوا الْحَقَّ بِالرِّجَالِ، وَالْمَفْرُوضُ أَنَّ يَعْرِفُوا الرِّجَالَ بِالْحَقِّ (أَعْرِفَ الْحَقَّ نَعْرِفَ أَهْلَهُ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ).

ثُمَّ سَرَتْ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ فِيهِمْ وَتَعَدَّتْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِلَى كُلِّ الصَّحَابَةِ، فَهَمَّ كُلُّهُمْ عُدُولٌ وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ خَدَشَهُمْ أَوْ الطَّعَنَ فِيهِمْ وَبِذَلِكَ ضَرَبُوا حَاجِزاً كَثِيفاً وَسَدّاً مَنِعاً عَلَى كُلِّ بَاحِثٍ يَرِيدُ مَعْرِفَةَ الْحَقِّ فَتَرَاهُ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْ مَوْجَةٍ حَتَّى تَعْتَرِضَهُ أَمْوَاجٌ وَلَا يَتَخَلَّصُ مِنْ خَطَرٍ حَتَّى تَعْتَرِضَ سَبِيلَهُ أَخْطَارٌ، وَلَا يَكَادُ الْمَسْكِينُ يَصِلُ إِلَى شَاطِئِ السَّلَامَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنْ أُولَى الْعِزْمِ وَالصَّبْرِ وَالشَّجَاعَةِ.

وَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى مَوْضُوعِ التَّارِيخِ فَإِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ قَدْ كُشِفَتْ

عوراتهم وسقطت أفئنتهم وظهروا على حقيقتهم التي حاولوا جُهدهم إخفاءها على الناس، أو حاول ذلك أنصارهم وأتباعهم. أو قل حكام السوء والمتزلفين إليهم.

وأول ما يلفت النظر هو موقف هؤلاء تجاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غداة وفاته وروحي له الفداء، وكيف تركوه جثة ولم يشتغلوا بتجهيزه وتغسيله وتكفينه ودفنه، بل أسرعوا إلى مؤتمرهم في سقيفة بني ساعدة يختصمون ويتنافسون على الخلافة، والتي عرفوا صاحبها الشرعي وبايعوه في حياة النبي (ص).

مما يؤكد لنا بأنهم اغتتموا فرصة غياب علي وبني هاشم الذين أثبت أخلاقهم أن يتركوا رسول الله (ص) مُسَجًى ويتسابقوا للسقيفة فأراد هؤلاء أن يُبرموا الأمر بسرعة قبل فراغ أولئك من مهمتهم الشريفة ويلزمهم بالأمر الواقع فلا يقدرّون بعده على الكلام والاحتجاج لأن أصحاب السقيفة تعاقدوا على قتل كل من يحاول فسخ الأمر الذي أبرموه بدعوى مقاومة المخالفين وإخماد الفتنة.

ويذكر المؤرخون أشياء عجيبة وغريبة وقعت في تلك الأيام من أولئك الصحابة الذين أصبحوا فيما بعد، هم خلفاء الرسول (ص) وأمراء المؤمنين - كحملهم الناس على البيعة بالضرب والتهديد بالقوة وكالهجوم على بيت فاطمة وكشفه، وكعصر بطنها بالباب الذي كانت وراءه حتى أسقطت جنينها. وإخراج علي مكتفياً وتهديده بالقتل إن رفض البيعة، وغضب الزهراء حقوقها من النحلة والإرث وسهم ذي القربى حتى ماتت غاضبة عليهم وهي تدعي عليهم في كل صلاة، ودُفنت في الليل سرّاً ولم يحضروا جنازتها وكقتلهم للصحابة الذين أبوا أن يدفعوا الزكاة لأبي بكر تريثاً منهم حتى يعرفوا سبب تأخر علي عن الخلافة، لأنهم بايعوه في حياة النبي في غدير خم^(١).

(١) قضية مالك بن نويرة وقتله مشهورة في كتب التاريخ.

وكهنتهم للمحارم وتعدي حدود الله في قتل الأبرياء من المسلمين والدخول بنسائهم من غير احترام للعدة^(١).

وكتغييرهم أحكام الله ورسوله (ص) المبيّنة في الكتاب والسنة وإبدالها بأحكام اجتهادية تخدم مصالحهم الشخصية^(٢).

وكشرب بعضهم الخمر والمداومة على الزنا وهم ولاية: المسلمين والحاكمون فيهم^(٣).

وكنفّي أبي ذر الغفاري وطرده من مدينة رسول الله (ص) حتى مات وحيداً بدون ذنب اقترفه - وضرب عمار بن ياسر حتى وقع له فتق وضرب عبد الله بن مسعود حتى كُسرَت أضلاعه وعزل الصحابة المُخلصين من المناصب وتولّى الفاسقين والمنافقين من بني أمية أعداء الإسلام.

وكسب ولعن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وقتل من تشيع لهم من الصحابة الأبرار^(٤).

وكاستيلائهم على الخلافة بالقهر والقوة والقتل والإرهاب وتصفية من عارضهم بشتى الوسائل كالاغتيال ودس السم وغير ذلك^(٥) وكإباحتهم مدينة الرسول لجيش يزيد يفعل فيها ما يشاء رغم قول الرسول: «إن حرمي المدينة فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

(١) قضية خالد بن الوليد ودخوله بليلى بنت المنهال بعد قتل زوجها.

(٢) كتعطيل إرث الزهراء. وسهم ذي القربى - وسهم المؤلفة قلوبهم - ومتعة الزواج ومتعة الحج وغيرها كثير.

(٣) كقضية المغيرة بن شعبة وزناه بأم جميل والقصة مشهورة في كتب التاريخ.

(٤) كما قتل معاوية بن أبي سفيان حبر بن عدي الصحابي الجليل وأصحابه لأنه امتنع عن لعن علي بن أبي طالب.

(٥) يقول المؤرخون كان معاوية يستدعي معارضيه ويسقيهم عسلاً مسموماً فيخرجون من عنده ويموتون فيقول: «إن الله جنداً من عسل».

وكرمهم بيت الله بالمنجنيق وحرقتهم الحرم الشريف وقتلهم بعض الصحابة بداخله.

وكرههم لأمير المؤمنين وسيد الوصيين سيد العترة الطاهرة الذي كان من رسول الله بمنزلة هارون من موسى في حرب الجمل وحرب صفين وحرب النهروان من أجل أطماع خسيصة ودنيا فانية.

وكتلتهم سيدي شباب أهل الجنة الإمام الحسن بالسّم والإمام الحسين بالذبح والتمثيل، وقتل عترة الرسول (ص) بأجمعهم فلم ينج منهم إلا علي بن الحسين وكأفعال أخرى يندى لها جبين الإنسانية وأنزّه قلبي عن كتابتها وأهل السنة والجماعة يعرفون الكثير منها ولذلك يحاولون جردهم صدّ المسلمين عن قراءة التاريخ والبحث في حياة الصحابة.

وما ذكرته الآن من كتب التاريخ من جرائم وموبقات هي من أعمال الصحابة بلا شك، فلا يمكن لعقل بعد قراءة هذا، أن يبقى مُصراً على تنزيه الصحابة والحكم بعدائهم وعدم الظن فيهم إلا إذا فقد عقله.

مع الملاحظة الأكيدة بأننا واعون جداً إلى عدالة البعض منهم ونزاهتهم وتقواهم وحبهم لله ورسوله (ص) وثباتهم على عهد النبي (ص)، حتى قضوا نحبتهم وما بدّلوا تبديلاً فرضي الله عنهم وأسكنهم بجوار حبيبتهم ونبّيتهم محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

وهؤلاء هم أكبر وأعظم وأسمى من أن يَخْدشَ في سمعتهم خادش، أو يتقول عليهم متقول وقد مدحهم ربُّ العزة والجلالة في عدة مواضع من كتابه العزيز كما نوه بصحبته وإخلاصهم نبي الرحمة أكثر من مرة كما لم يسجل لهم التاريخ إلاّ المواقف المشرفة المليئة بالمروءة والنبل والشجاعة والتقوى والخشونة في ذات الله، فهنيئاً لهم وحسن مثاب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب ورضاء من الله أكبر ذلك جزاء الشاكرين. والشاكرون كما ذكر كتاب الله هم أقلية قليلة، فلا تُنسأ

أما الذين استسلموا ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم وصاحبوا رسول الله (ص) رغبة ورهبة أو حاجة في نفس يعقوب ووبخهم القرآن وهددهم وتوعدهم، وحذَّره رسول الله (ص) وحذَّر منهم ولعنهم في عدة مواطن، وسجَّل لهم التاريخ أعمال ومواقف شنيعة... أما هؤلاء فليسوا جديرين بأي احترام ولا تقدير فضلاً عن أن نرضى عليهم وننزلهم منزلة النبيين والشهداء والصالحين.

وهذا لعمرى هو الموقف الحق الذي يزُن الموازين بالقسط ولا يتعدى حدود ما رسمه الله لعباده من موالاة المؤمنين ومعاداة الفاسقين والبراءة منهم قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * استحوذ عليهم الشيطان فأنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ، وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 14-22].

صدق الله العلي العظيم

ولا يفوتني في هذا الصدد أن أسجِّل بأن الشيعة هم على حق لأنهم لا يُلقون بالموذَّة إلا لمحمد وأهل بيته وللصحابة الذين ساروا على نهجهم

وللمؤمنين الذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين وغير الشيعة من المسلمين يلقون بالمودة لكل الصحابة أجمعين غير مباليين بمن حادَّ الله ورسوله، وعادة هم يستدلون بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: 10].

فتراهم يترضون عن عليٍّ ومعاوية غير مباليين بما ارتكبه هذا الأخير من أعمال أقل ما يقال فيها أنها كفرٌ وضلالٌ ومحاربةٌ لله ورسوله وقد ذكرتُ فيما سبق تلك الطريقة التي لا بأس بتكرارها وهي أن أحدَ الصالحين زار قبرَ الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي فوجدَ عنده رجلاً يبكي ويكثرُ البكاء فظنه من الشيعة فسأله: لماذا تبكي؟ أجاب: أبكي على سيدنا حجر رضي الله تعالى عنه!

قال: ماذا أصابه؟

أجاب: قتلَهُ سيدنا معاوية رضي الله تعالى عنه.

قال: ولماذا قتلَهُ؟

أجاب: لأنه امتنع عن لعن سيدنا علي رضي الله تعالى عنه.

فقال له ذلك الصالح: وأنا أبكي عليك أنتَ رضي الله تعالى عنكَ.

فلماذا هذا الإصرار والعناد على مودة كل الصحابة أجمعين حتى تراهم لا يصلون على محمد وآله إلا ويضيفون وعلى أصحابه أجمعين فلا القرآن أمرهم بذلك ولا رسول الله (ص) طلب منهم ذلك ولا أحدٌ من الصحابة قال بذلك، وإنما كانت الصلاة على محمد وآل محمد كما نزل بها القرآن وكما علمها لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وإن شككتُ في شيء فلا ولن أشك في أن الله طلب من المؤمنين مودة ذي القربى وهم أهل البيت وجعلها فرضاً عليهم كأجر على الرسالة المحمدية فقال تعالى:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: 23].

وقد اتفق المسلمون بلا خلاف على مودة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام واختلفوا في غيرهم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

وقول الشيعة في مودة أهل البيت ومن تبعهم لا ريب فيه وقول أهل السنة والجماعة في مودة الصحابة أجمعين فيه ريب كبير وإلا كيف يُلقَى المسلم بالمودة إلى أعداء أهل البيت (ع) وقَاتِلِهِمْ وَيَرْضَى عَنْهُمْ؟ أليس هذا هو التناقض المقيت؟

ودع عنك قول أهل الشطحات وبعض المتصوفة الذين يزعمون أن الإنسان لا يصفى قلبه ولا يعرف الإيمان الحقيقي إلا عندما لا يبقى في قلبه مثقال ذرة من بغض لعباد الله أجمعين من يهود ونصارى وملحدين ومشركين، ولهم في ذلك أقوال عجيبة وغريبة يلتفتوا فيها مع المبشرين من رجال الكنيسة المسيحيين الذين يؤمنون على الناس بأن الله محبة والذين محبة فمن أحب مخلوقاته فليس له حاجة بالصلاة والصوم والحج وغير ذلك.

إنها لعمري خزعبلات لا يقرها القرآن والسنة ولا العقل فالقرآن الكريم يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: 51].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النوبة: 23]. وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المنحة: 1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يتم إيمان المؤمن حتى يكون حبه في الله وبغضه في الله».

وقال أيضاً: «لا يجتمع في قلب مؤمن حب الله وحب عدوه».

والأحاديث في هذا المجال كثيرة جداً. ويكفي العقل وحده دليلاً بأن الله سبحانه حُبَّ للمؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان فقد يكره الإنسان ابنه أو أباه أو أخاه لمعاداة الحق والتمادي في طريق الشيطان، وقد يحب ويوالي أجني لا تربطه به إلا أخوة الإسلام.

ولكل هذا يجب أن يكون حُبنا وودنا وموالاتنا لمن أمر الله بمودتهم كما يجب أن يكون بغضنا وكرهنا وبرائتنا لمن أمر الله سبحانه بالبراءة منهم.

ومن أجل ذلك كانت موالاتنا لعلي والأئمة من بنيهِ من غير أن تكون لنا علاقة مسبقة بمودتهم وذلك لأن القرآن والسنة والتاريخ والعقل لم يتركوا لنا فيهم أي ريب.

ومن أجل ذلك كانت أيضاً براءتنا من الصحابة الذين اغتصبوا حقه في الخلافة من غير أن تكون لنا علاقة مسبقة ببغضهم وذلك لأن القرآن والسنة والتاريخ والعقل تركوا لنا فيهم ريباً كبيراً.

وبما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرنا بقوله: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» فلا ينبغي لمسلم أن يتبع أي أمرٍ مريب ويترك الكتاب الذي لا ريب فيه.

كما يجب على كل مسلم أن يتحرر من قيوده وتقاليده ويحكم عقله بدون أفكار مسبقة ولا أحقاد دفينّة لأن النفس والشيطان عدوان خطيران

يُزَيِّنَانِ لِلْإِنْسَانِ سُوءَ عَمَلِهِ فِيرَاهُ حَسَنًا، وَلَنَعْمَ مَا قَالَه الْإِمَامُ الْبُوصَيْرِيُّ فِي الْبَرْدَةِ:

وِخَالَفِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَاعْصِمَا وَإِنْ هُمَا مُحَضَّاكَ النَّصِيحَ فَاتَّهَمَا

وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادَةِ الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ. أَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ فَلَا حَرَمَةَ لَهُمْ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «لَا نَمِيمَةَ فِي فَاسِقٍ» لِيُكْشَفَ الْمُسْلِمُونَ أَمْرَهُ فَلَا يَغْتَرُونَ بِهِ وَلَا يُوَالُونَهُ.

وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا الْيَوْمَ صَادِقِينَ مَعَ أَنْفُسِهِمْ وَيَنْظُرُوا إِلَى وَاقِعِهِمُ الْمُؤَلَّمِ الْحَزِينِ الْمَخْزِيِّ وَيَكْفِيهِمْ مِنَ التَّغْنِيِ وَالتَّفَاخُرِ بِأَمْجَادِ أَسْلَافِهِمْ وَكِبَرَاتِهِمْ فَلَوْ كَانَ أَسْلَافُنَا عَلَى حَقٍّ كَمَا نَصَّوْرُهُمُ الْيَوْمَ لَمَا وَصَلْنَا نَحْنُ إِلَى هَذِهِ النَتِيجَةِ الَّتِي هِيَ حَتْمًا حَصِيلَةُ الْإِنْقِلَابِ الَّذِي وَقَعَ فِي الْأُمَّةِ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهَا رُوحِي وَأَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ لَهُ الْفِدَاءُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 135].

قول أهل الذكر بخصوص بعض الصحابة

قال الإمام علي عليه السلام، يصف هؤلاء الصحابة المعدودين من السابقين الأولين: فلما نهضت بالأمر، نكثت طائفة ومركت أخرى، وقسط آخرون^(١)، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ بلى

(١) يقول محمد عبده في شرح نهج البلاغة من الخطبة الشفشفية في هذا: التاكثرون أصحاب الجمل، والمارقون أصحاب النهروان، والفاسطون أي الجائرون وهم أصحاب صفين.

والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها - نهج البلاغة ص 90.

وقال أيضاً سلام الله عليه فيهم: اتخذوا الشيطان لأمهم ملاكاً واتخذهم له أشراكاً فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظر بأعينهم ونطق بالسستهم فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل من قد شرّكه الشيطان في سلطان ونطق بالباطل على لسانه. نهج البلاغة ص 96.

وقال عليه السلام في الصحابي المشهور عمرو بن العاص: عجبا لابن النابغة... لقد قال باطلاً ونطق اثماً، أما وشرُّ القول الكذب، إنه يقول فيكذب ويبعد فيخلف، ويسأل فيلجف ويسأل فييخل، ويخون العهد ويقطع الإل. نهج البلاغة ص 200.

❖ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «آيات المنافق ثلاث، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اتعن خان - وكل هذه الرذائل وأكثر منها موجودة في عمرو بن العاص من حقيقة كونه من رعي

وقال عليه السلام في مدح أبي ذر الغفاري، وذم عثمان ومن معه الذين أخرجوه إلى الربذة ونفوه إلى أن مات وحيداً:

يا أبا ذر، إنك غضبت لله فارح من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعهم وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابع غداً والأكثر حسداً. ولو أن السماوات والأرضين كانت على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً، ولا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرصت منها لأمنوك. نهج البلاغة ص 299.

وقال عليه السلام في المغيرة بن الأخنس وهو أيضاً من أكابر الصحابة: يا بن اللعين الأبر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، والله ما

أَعَزَّ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مِنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ. إخراج عنا أبعد الله نواك
ثم أبلغ جهلك فلا أبقي الله عليك إن أبقيت. نهج البلاغة ص 306.

وقال عليه السلام في طلحة والزبير الصحابيَّان الشهيران اللذان حاربا
بعدهما بايعاه ونكثا بيعته:

والله ما أنكروا علي مُنْكَرًا، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصْفًا، وَأَنْتُمْ
لَيَبْطُلُونَ حَقًّا هُمْ تَرْكُوهُ، وَدَمًا هُمْ سَفْكُوهُ....

وانها للفتنة الباغية فيها الحما والحمة والشبهة المغدقة وإن الامر
لواضح، وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه....

فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعَوِذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا تَقُولُونَ الْبَيْعَةُ الْبَيْعَةُ،
قَبِضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا، وَنَازَعْتُمْ بِيَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ، فَاحْلُلْ
مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكَمْ لَهُمَا مَا أُبْرِمَا، وَأَرْهَمَا الْحِسَاءَةَ فِيمَا أُمَلَّا وَعَمِلَا، وَلَقَدْ
اسْتَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوَقَاعِ فَعَمَطَا النِّعْمَةَ وَرَدَّا الْعَافِيَةَ.
نهج البلاغة ص 306. وفي رسالة منه إليهما أيضاً فارجعا أيها الشيخان عن
رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار والسلام.
نهج البلاغة ص 626.

وقال عليه السلام في مروان بن الحكم وقد أسره في حرب الجمل ثم
أطلق سراحه وهو من الذين بايعوا ونكثوا البيعة.

لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفَّ يَهُودِيَّةً، لَوْ بَايَعَنِي بِكَفٍّ لَغَدَرَ بِسَيِّئِهِ،
أَمَّا إِنْ لَهُ إِمْرَةٌ كَلْعَقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ الْأَرْبَعَةِ، وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ
مَنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرًا. نهج البلاغة ص 176.

وقال عليه السلام في الصحابة الذين خرجوا مع عائشة إلى البصرة في
حرب الجمل. وفيهم طلحة والزبير:

فخرجوا يجرّون حُرمة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كما تُجرُّ الأُمّة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة، فحبسنا نساءهُما في بُيوتهما وأبرزنا حبس رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لهُما ولغيرهما، في جيش ما منهم رجلٌ إلّا وقد أعطاني الطاعةَ وسمّح لي بالبيعة طائعاً غير مكره، فقدموا على عاملي بها وخُزان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها فقتلوا طائفة صبراً، وطائفة غدرًا فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جُرم جرّة، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّهُ إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد، دع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم. نهج البلاغة ص 370.

وقال عليه السّلام في عائشة وأتباعها من الصّحابة في حرب الجمل: كُتُم جند المرأة وأتباع البهيمة. رغا فاجبتم وعقر فهربتم أخلاقكم دفاق وعهدكم شفاق، ودينكم نفاق. نهج البلاغة ص 98.

أما فلانة فأدركها رأيُ النّساء، وخصن غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دُعيت لتنال من غيري ما أتت إليّ لم تفعل ولها بعد حُرمتها الأولى والحسابُ على الله تعالى. نهج البلاغة ص 334.

وقال عليه السّلام في قريش عامّة وهم صحابة بلا شك:

أما الاستبدادُ علينا بهذا المقام ونحنُ الاعلونُ نسباً، والاشدونُ برسول الله صَلَّى الله عليه وآله نوطاً، فإنّها كانت أثرّة شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكمُ الله والمعوذُ إليه القيامة ودع عنك نهياً صيحاً في حُجراته.

وهلمّ الخطب في ابن أبي سفيان فلقد أضحكني الذّهرُ بعد إبكائه ولا غرو والله فيا له خطباً يستفرغُ العجب ويكثرُ الأود، حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه وسدّ فواره من ينبوعه وجَدَحوا بيني وبينهم شرباً وبيثاً، فإن ترتفعُ عنا وعنهم مَحَنُ البلوى أحملهم من الحقّ على محضه وإن تكن

الأخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون. نهج البلاغة ص 348.

وقال في هذا المعنى عند دفنه سيدة النساء فاطمة الزهراء وهو يخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

وَسْتَنْبُكَ ابْتُكَ بِتَضَافِرِ أَمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا فَأَحْفَهَا السُّؤَالَ وَاسْتَخْبَرَهَا الْحَالَ. هذا ولم يطل العهد ولم يخل منك الذكر... نهج البلاغة ص 460.

وقال عليه السلام في رسالة إلى معاوية بعث بها إليه:

فإِنَّكَ مُتَرَفٌّ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَا أَخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلُهُ وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَالْدَّمِ.

ومتى كنتم يا معاوية ساسة الرعية وولاة أمر الأمة بغير قدم سابق ولا شرف باسقي ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء. وأحذرك أن تكون مُتَمَادِيًا فِي غِرَّةِ الْأَمْنِيَةِ مُخْتَلِفِ الْعِلَانِيَةِ وَالسَّرِيَةِ.

وقد دعوت إلى الحرب فدع الناس جانباً واخرج إليّ واعقب الفريقين من القتال. لِيُعْلَمَ أَنَّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَالْمُغْطَى عَلَى بَصَرِهِ، فَأَنَا أَبُو حَسَنِ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السِّيفُ مَعِي وَبِذَلِكَ الْقَلْبُ أَلْقَى عَدَوِي مَا اسْتَبَدَلْتُ دِيناً وَلَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً، وَإِنِّي لَعَلَى الْمَنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ... نهج البلاغة ص 526.

وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِيَّةٌ كَهَاشِمٍ وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَلَا أَبُو سَفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ وَلَا الصُّرَيْحُ كَاللَّصِيْقِ وَلَا الْمَحْقُوقُ كَالْمُبْطَلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ وَلِبَشَرِ الْخَلْفِ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

وفي أيدينا بعد فضل النبوة التي أذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل

ولَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً
كُنْتُمْ مَعَهُ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السُّبْقِ
بَسْبِقِهِمْ وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ. نهج البلاغة ص 533.

وقد دعوتنا إلى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَسْنَا إِلَيْكَ أَجْبَنًا وَلَكِنَّا
أَجْبَنَّا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ - وَالسَّلَامُ. نهج البلاغة ص 595.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء: 81].



مركز تحقيقات کتب و تفسیر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الفصل الخامس

فيما يتعلق بالخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان

إن أهل السنة والجماعة وكما قلنا لا يسمحون بنقد وتجريح أي صحابي من صحابته صلى الله عليه وآله وسلم ويعتقدون بعدالتهم جميعاً، وإذا كتب أي مفكر حرّ وتناول بالنقد أفعال بعض الصحابة، فهم يُشنعون عليه بل ويكفرونه ولو كان من علمائهم وذلك ما حصل لبعض العلماء المتحررين المصريين وغير المصريين أمثال الشيخ محمود أبو رية صاحب «أضواء على السنة المحمدية» وكتاب «شيخ المضيرة» وكالقاضي الشيخ محمد أمين الانطاكي صاحب كتاب «لماذا اخترت مذهب أهل البيت» والسيد محمد بن عقيل الذي ألف كتاب «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية» - بل ذهب بعض الكتاب المصريين إلى تكفير الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عندما أفتى بجواز التعبد بالمذهب الجعفري.

وإذا كان شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية يُشنع عليه لمجرد اعترافه بالمذهب الشيعي الذي يتسبب لاستاذ الأئمة ومعلمهم جعفر الصادق (ع) فما بالك بمن اعتنق هذا المذهب بعد بحث وقناعة وتناول بالنقد المذهب الذي كان عليه وورثه من الآباء والأجداد. فهذا ما لا يسمح به أهل السنة والجماعة ويعتبرونه مروقاً عن الدين وخروجاً عن الإسلام وكأن الإسلام على زعمهم هو المذاهب الأربعة، وغيرها باطل. إنها عقول منحجرة

وجامدة تُشبه تلك العقول التي يحدثنا عنها القرآن والتي واجهت دعوة النبي (ص) وعارضته معارضة شديدة لأنه دعاهم إلى التوحيد وترك الآلهة المتعددة قال تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساجرٌ كذابٌ، أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عجاب﴾ [ص: 5].

ولكل ذلك فأننا واثقٌ من الهجمة الشرسة التي سوف تُواجهني من أولئك المتعصّبين الذين جعلوا أنفسهم قوّامين على غيرهم فلا يحقّ لأحد أن يخرج عن المألوف لديهم ولو كان هذا المألوف لا يمت للإسلام بشيء وإلا كيف يُحكم على من انتقد بعض الصحابة في أعمالهم بالخروج عن الدين والكفر، والذين بأصوله وفروعه ليس فيه شيء من ذلك.

بعض المتعصّبين كان يروج في أوساطه بأن كتابي «ثم اهتديت» يشبه كتاب سلمان رشدي، ليصدّ الناس عن قراءته بل ويحثهم على لعن كاتبه. إنه الدسّ والتزوير والبهتان العظيم الذي سوف يُحاسبه عليه ربّ العالمين وإلا كيف يُقارن كتاب «ثم اهتديت» الذي يدعو إلى القول بعصمة الرسول (ص) وتنزيهه والاقتداء بأئمة أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بكتاب «الآيات الشيطانية» الذي يشتُم فيه صاحبه الملعون الإسلام ونبي الإسلام (ص) ويعتبر أن الدين الإسلامي هو نفثة الشياطين؟؟

فالله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾ [النساء: 135].

ومن أجل هذه الآية الكريمة فأننا لا أبالي إلا برضاء الله سبحانه وتعالى ولا أخشى فيه لومة لائم ما دمتُ أدافع عن الإسلام الصحيح وأنزه نبيّه الكريم عن كل خطأ ولو كان ذلك على حساب نقد بعض الصحابة المقرّبين ولو كانوا من «الخلفاء الراشدين» لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم هو أولى بالتنزيه من كلّ البشر. والقارىء الحرّ اللبيب يفهم من

كل مؤلفاتي ما هو الهدف المنشود فليست القضية هي انتقاص الصحابة والنيل منهم بقدر ما هو دفاع عن رسول الله (ص) وعصمته ودفع الشبهات التي ألصقها الأمويون والعباسيون بالإسلام وبنبي الإسلام خلال القرون الأولى التي تحكموا فيها على رقاب المسلمين بالقهر والقوة وغيروا دين الله بما أملت عليه أغراضهم الدنيئة وسياستهم العقيمة، وأهواؤهم الخسيسة. وقد أثرت مؤامرتهم الكبرى على كتلة كبيرة من المسلمين الذين اتبعوهم عن حسن نية فيهم وتقبلوا كل ما روه من تحريف وأكاذيب على أنها حقائق وأنها من الإسلام ويجب على المسلمين أن يتعبدوا بها ولا يناقشوها.

ولو عرف المسلمون حقيقة الأمر لما أقاموا لهم ولا لمروياتهم وزناً ثم أنه لو كان التاريخ يروي لنا بأن الصحابة كانوا يمثلون أوامر رسول الله (ص) ونواهيهم ولا يناقشونه ولا يعترضون على أحكامه، وأنهم لم يعصوه في أواخر أيام حياته في عدة أحكام، لحكمنا بعداليتهم جميعاً ولما كان لنا في هذا المجال بحث ولا كلام.

أما وأن منهم مكذبون ومنهم منافقون ومنهم فاسقون بنص القرآن والسنة الثابتة الصحيحة.

أما وأنهم اختلفوا بحضرته وعصوه في أمر الكتاب حتى اتهموه بالهذيان ومنعوه من الكتابة. ولم يمثلوا أوامره عندما أمر عليهم أسامة، أما وإنهم اختلفوا في خلافة صلى الله عليه وآله حتى أهملوا تفسيره وتجهيزه ودفنه واختصموا من أجل الخلافة فرضي بها بعضهم ورفضها بعضهم الآخر. أما وأنهم اختلفوا في كل شيء بعده حتى كفر بعضهم بعضاً ولعن بعضهم بعضاً وتحاربوا فقتل بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض أما وأن دين الله الواحد أصبح مذاهب متعددة وآراء مختلفة فلا بد والحال هذه أن نبحث عن العلة وعن الخلل الذي أرجع خير أمة أخرجت للناس وأهوى بها إلى الحضيض فأصبحت أذل وأجهل وأحقر أمة على وجه البسيطة تنتهك حرمانها وتحتل مقدساتها وتستعمر شعوبها وتشرّد وتطرّد من أراضيها فلا تقدر على

دفع المعتدين ولا مسح العار عن جبينها.

والعلاج الوحيد فيما أعتقد لهذه المعضلة هو النقد الذاتي فكفانا التغمي بأسلافنا وبأمجادنا المزيفة التي تبخرت وأصبحت متاحف أثرية خالية حتى من الزوار. والواقع يدعونا أن نبحث عن أسباب أمراضنا وتخلّفنا وتفرّقنا وفشلنا حتى نكتشف الداء فنشخص له الدواء الناجع لشفائنا قبل أن يقضي علينا ويأتي على آخرنا.

هذا هو الهدف المنشود والله وحده هو المعبود وهو الهادي عباده إلى سواء الصراط.

وما دام هدفنا سليماً، فما قيمة اعتراض المعترضين والمتعصبين الذين لا يعرفون إلا السباب والشتائم بحجة الدفاع عن الصحابة، وهؤلاء لا نلومهم ولا نحقد عليهم بقدر ما نرثي لحالهم لأنهم -مساكين منهم حسن ظنهم بالصحابة وحجبتهم عن الوصول للحقيقة فما أشبههم بأولاد اليهود والنصارى الذين أحسنوا الظن بأبائهم وأجدادهم، ولم يكلّفوا أنفسهم جهد البحث في الإسلام معتقدين بمقالة أسلافهم بأن محمداً كذاب، وليس هو بنبي. قال تعالى: ﴿وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءتهم البينة﴾ [البينة: 3]. وبمرور القرون المتتالية أصبح من العسير اليوم على المسلم أن يُقنع يهودياً أو نصرانياً بعقيدة الإسلام فما بالك بمن يقول لهم بأن التوراة والإنجيل اللذين يتداولنهما هما محرّفان ويستدل على ذلك بالقرآن، فهل يجد هذا المسلم أذناً صاغية لديهم؟

وكذلك المسلم البسيط الذي يعتقد بعدالة كل الصحابة ويتعصب لذلك بدون دليل فهل يمكن لأحد من الناس أن يقنعه بعكس ذلك؟

وإذا كان هؤلاء لا يطيقون جرح ونقد معاوية وابنه يزيد وأمثالهم كثير الذين شوّها الإسلام بأعمالهم القبيحة فما بالك إذا كلمتهم عن أبي بكر وعمر وعثمان والصديق والفاروق ومن تستحي منه الملائكة أو عن عائشة أم

المؤمنين زوجة النبي (ص) وابنة أبي بكر والتي تكلمنا عنها في فصل سابق بما رواه عنها أصحاب الصحاح المعتمدين عند أهل السنة وجاء الآن دور الخلفاء الثلاثة لنكشف عن بعض أفعالهم التي سجلها عليهم صحاح السنة ومسانيدهم وكتب التاريخ المعتمدة لديهم لنبين أولاً أن مقولة عدالة الصحابة غير صحيحة وأن العدالة انتفت حتى عن بعض الصحابة المقربين.

ولنكشف ثانياً لإخواننا من أهل السنة والجماعة بأن هذه الانتقادات لا تدخل في السب والشتم والانتقاص بقدر ما هي إزالة للحجب للوصول إلى الحق كما أنها ليست من مختلقات وأكاذيب الروافض كما يدعي عامة الناس وإنما هي من الكتب التي حكموا بصحتها والزموا أنفسهم بها.

أبو بكر الصديق في حياة النبي (ص)

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء السادس صفحة 46 في كتاب تفسير القرآن سورة الحجرات. قال: حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما رفعاً أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافتك، فارتفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ الآية. قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمعُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر.

كما أخرج البخاري في صحيحه في الجزء الثامن صفحة 145 من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب ما يكره من التعمق والتنازع. قال أخبرنا وكيع عن نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر، لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم،

أشار أحدهما بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مُجَاشِعَ وأشار الآخرُ بغيره، فقال أبو بكر لعمر: إنما أردتُ خلافي، فقال عمر: ما أردتُ خلافَكَ فارتفعتْ أصواتُهُما عند النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ، إِنَّ الَّذِينَ يَغْضَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

قال ابن أبي مليكة قال ابن الزبير: فكان عمر بعدُ ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر إذا حدّث النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم بحديث حدّثه كأخي السرار لم يُسمعه حتّى يستفهمه.

كما أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الخامس صفحة 116 من كتاب المغازي - وفد بني تميم قال: حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركبٌ من بني تميم على النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم، فقال أبو بكر أمِر القعقاع بن معبد بن زرارة: فقال عمر: بل أمِر الأقرع بن حابس. قال أبو بكر ما أردتُ إلا خلافي، قال عمر: ما أردتُ خلافَكَ فتمازياً حتّى ارتفعتْ أصواتُهُما فنزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ حتّى انقضت.

والظاهر من خلال هذه الروايات أن أبا بكر وعمر لم يتأدبا بحضرة الرسول (ص) بالأداب الإسلامية وسمحاً لأنفسهما بأن يُقدّما بين يدي الله ورسوله بغير إذن ولا طلب منهما رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يُبديا رأيهما في تأمير أحد من بني تميم، ثم لم يكتفيا حتّى تشاجرا بحضرة وارتفعتْ أصواتُهُما أمامه من غير احترام ولا مُبالاة بما تفرضه عليهما الأخلاق والأداب التي لا يمكن لأي أحد من الصّحابة أن يجهلها أو

بتجاهلها بعدما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حياته في تعليمهم وتربيتهم.

ولو كانت هذه الحادثة قد وقعت في بداية الإسلام لالتمسنا للشيخين في ذلك عُذراً ولحاولنا أن نجد لذلك بعض التأويلات.

ولكن الروايات تثبت بما لا يدع مجالاً للشك بأن الحادثة وقعت في أواخر أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أن وفد بني تميم قدم على رسول الله في السنة التاسعة للهجرة ولم يعش بعدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا بضعة شهور كما يشهد بذلك كل المؤرخين والمحدثين الذين ذكروا قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي تحدث عنها القرآن الكريم في أواخر السور بقوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يعتذر المعتذرون عن موقف أبي بكر وعمر بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولو اقتضت الرواية على الموقف الذي مثله الصحابيَّان فحسب لما وسعنا النقد ولا الاعتراض. ولكن الله الذي لا يستحي من الحق سجلها وأنزل فيها قرآناً يُتلى، فيه التنديد والتهديد لأبي بكر وعمر بأن يحبط الله أعمالهما إن عادا لمثلها، حتى أن راوي هذه الحادثة بدأ كلامه بقوله: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر.

ويحاول راوي الحادثة بعد ذلك وهو عبد الله بن الزبير أن يُقنعنا بأن عمر بعد نزول هذه الآية في شأنه إذا حدث رسول الله (ص) لا يُسمعه صوته حتى يستفهمه ورغم أنه لم يذكر ذلك عن جدّه أبي بكر فالتاريخ والأحداث التي ذكرها المحدثون تُثبت عكس ذلك ويكفي أن تذكر رزية يوم الخميس قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثة أيام حتى نجد بأن عمر نفسه قال قوله المشؤومة «إن رسول الله يهجر وحسبنا كتاب الله» فاختلف القوم فمنهم من يقول قُربوا إلى الرسول يكتب لكم ومنهم من يقول مثل قول

عمر فلما أكثروا اللَّفْظ والاختلاف^(١) قال لهم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع^(٢) فالمفهوم من كثرة اللغو واللفظ والاختلاف والتنازع، أنهم تجاوزوا كل الحدود التي رسمها الله لهم في سورة الحجرات كما مر. ولا يمكن إقناعنا بأن اختلافهم وتنازعهم ولغظهم كان همساً في الأذان بل يفهم من كل ذلك بأنهم رفعوا أصواتهم حتى أن النساء اللاتي كن وراء الستر والحجاب شاركن في النزاع وقلن قربوا إلى رسول الله (ص) يكتب لكم ذلك الكتاب فقال لهن عمر: إنكن صويحبات يوسف إذا مرض عصرتن أعينكن وإذا صبح ركبتن عنقه فقال له رسول الله: دعوهن فإنهن خير منكم^(٣).

والذي نفهمه من كل هذا بأنهم لم يمثلوا أمر الله في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ ولم يحترموا مقام الرسول ولا تأدبوا عندما طعنوه بكلمة الهجر.

وقد سبق لأبي بكر أن تلفظ بكلام بذيء بحضرة النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم وذلك عندما قال لعروة بن مسعود أمض ببطر اللاب^(٤). وقال القسطلاني شارح البخاري معلقاً على هذه العبارة، والأمر بمص البطر من الشتائم الغليظة عند العرب، فإذا كانت أمثال هذه الكلمات تُقال بحضرة صَلَّى الله عليه وآله وسلم فما هو معنى قوله تعالى: ﴿ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾؟

وإذا كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم على خلق عظيم كما وصفه ربّه وإذا كان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها كما أخرج ذلك

(١) البخاري ج ٥ ص ١٣٨ باب مرض النبي ووفاته.

(٢) البخاري ج ١ ص ٣٧ كتاب العلم.

(٣) كنز العمال ج ٣ ص ١٣٨.

(٤) البخاري ج ٣ ص ١٧٩.

البخاري ومسلم^(١) وقد صرح الشيخان البخاري ومسلم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً وكان يقول: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً»^(٢) فما بال صحابته المقربين لم يتأثروا بهذا الخلق العظيم؟

أضف إلى كل ذلك بأن أبا بكر لم يمثل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما أمر عليه أسامة بن زيد وجعله من جملة عساكره وشدد النكير على من تخلف عنه حتى قال: لعن الله من تخلف عن جيش أسامة^(٣) وذلك بعدما بلغه صلى الله عليه وآله وسلم طعن الطاعنين عليه في مسألة تأمير أسامة التي ذكرها جلّ المؤرخين وأصحاب السير.

كما أنه سارع إلى السقيفة وشارك في إبعاد علي بن أبي طالب عن الخلافة، وترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مُسَجًى بأبي هو أُمَيٍّ ولم يهتم بتفسيه وتكفينه وتجهيزه ودفنه متشاغلاً عن كل ذلك بمنصب الخلافة والزعامة التي اشرأبت لها عنقه، فإين هي الصحبة المقربة والخلة المزعومة وأين هو الخلق؟ وأنا أستغرب موقف هؤلاء الصحابة من نبيهم الذي قضى حياته في هدايتهم وتربيتهم والنصح لهم ﴿عزیز علیہ ما عتَمَ حریصٌ علیکم بالمؤمنین رؤوف رحیم...﴾. فيتركونه جثة هامدة ويسارعون للسقيفة لتعيين أحدهم خليفة له. ونحن نعيش اليوم في القرن العشرين الذي نقول عنه بأنه انعس القرون وأن الأخلاق تدهورت والقيم تبخرت ومع كل ذلك فإن المسلمين إذا مات جارٌ لهم أسرعوا إليه وانشغلوا به حتى يواروه في حفرته ممثلين قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «إِكْرَامِ الْمَيِّتِ دَفْنُهُ».

(١) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي - ومسلم في كتاب الفضائل باب كثرة حياته (ص).

(٢) مسلم كتاب الفضائل باب كثرة حياته (ص) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي (ص).

(٣) كتاب الملل والنحل للشهرستاني المقدمة الرابعة، كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن العزيز الجوهري.

وقد كشف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن تلك الوقائع بقوله :
 «أما والله لقد تَقَمَّصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب
 من الرِّخا...» (2).

ثم بعد ذلك استباح أبو بكر مهاجمة بيت فاطمة الزَّهراء وتهديده
 بحرقه إن لم يخرج المتخلفون فيه لبيعته. وكان ما كان مما ذكره
 المؤرخون في كتبهم وتناقله الرواة جيلاً بعد جيل. ونحن نضرب عن ذلك
 صفحاً وعلى من أراد المزيد أن يقرأ كتب التاريخ.

أبو بكر بعد حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكذيبه للصديقة الطاهرة فاطمة الزَّهراء وغصبه حقها

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الخامس صفحة 82 في كتاب
 المغازي باب غزوة خيبر قال: عن عروة عن عائشة أن فاطمة عليها السَّلام
 بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما
 بقي من خمس خيبر فقال أبو بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
 لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد في هذا المال وإني والله لا
 أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كان
 عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عملن فيها بما عمل به
 رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئاً
 فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت
 وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر، فلما توفيت دفنها
 زوجها علي ليلاً وصلى عليها ولم يؤذن بها أبا بكر وكان لعل من الناس
 وجه في حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس فالتمس مصالحة

(1) الخطبة الشقشقية من نهج البلاغة.

أبي بكر ومبايعته ولم يكن يبائع تلك الأشهر... (١).

وأخرج مسلم في صحيحه من الجزء الثاني كتاب الجهاد باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا فهو صدقة.

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق، بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أفاء الله عليه فقال لها أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة» فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر قالت: وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير وفدك، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال: لست تاركاً شيئاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى، إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ، فأما صدقته بالمدينة فدفعتها عمر إلى علي والعباس، فأما خير وفدك فأمسكها عمر، وقال: هما صدقة رسول الله كانتا لحقوقه التي تعروه ونوابه، وأمرهما إلى من ولي الأمر. فهما على ذلك إلى اليوم (٢).

* ورغم أن الشيخين البخاري ومسلم اقتضبا هذه الروايات واختصرها لثلاثاً تنكشف الحقيقة للباحثين، وهذا فن معروف لديهما توخيها للحفاظ على كرامة الخلفاء الثلاثة، (ولنا معهما بحث في هذا الموضوع إن شاء الله سنوافيك به عما قريب).

إلا أن الروايات التي نَمَقوها كافية للكشف، عن حقيقة أبي بكر الذي

(١) صحيح مسلم أيضاً في كتاب الجهاد باب قول النبي لا نورث ما تركنا فهو صدقة.

(٢) صحيح البخاري أيضاً أخرج هذا الحديث في كتاب فرض الخمس باب فرض الخمس.

رَدَّ دَعْوَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، مِمَّا اسْتَوْجِبَ غَضَبُهَا عَلَيْهِ وَهَجْرَانِهَا لَهُ حَتَّى مَاتَتْ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَدَفَنَهَا زَوْجُهَا سِرًّا فِي اللَّيْلِ بِوَصِيَّةٍ مِنْهَا دُونَ أَنْ يُؤْذَنَ بِهَا أَبُو بَكْرٍ، كَمَا نَسْتَفِيدُ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ بِأَنْ عَلِيًّا لَمْ يَبَايِعْ أَبَا بَكْرٍ طِيلَةَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَهِيَ حَيَاةُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ بَعْدَ أَبِيهَا، وَأَنَّهُ اضْطَرَّ لِبَيْعَتِهِ اضْطِرَارًا لَمَّا رَأَى وَجْهَ النَّاسِ قَدْ تَنَكَّرَتْ لَهُ فَالْتَمَسَ مُصَالَحَةَ أَبِي بَكْرٍ.

وَالَّذِي غَيَّرَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنَ الْحَقِيقَةِ هُوَ ادَّعَاءُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِأَنْ أَبَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَعْطَاهَا فِدَكَ نَحْلَةٍ فِي حَيَاتِهِ فَلَيْسَ هِيَ مِنَ الْإِرْثِ، وَعَلَى فَرَضِ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُوَرِّثُونَ كَمَا رَوَى أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ (ص) وَكَذَّبَتْهُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ (ع). وَعَارَضَتْ رِوَايَتَهُ بِنُصُوصِ الْقُرْآنِ الَّذِي يَقُولُ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ، فَإِنْ فِدَكَ لَا يَشْمَلُهَا هَذَا الْحَدِيثُ الْمَزْعُومُ لِأَنَّهَا نَحْلَةٌ وَلَيْسَتْ هِيَ مِنَ الْإِرْثِ فِي شَيْءٍ.

وَلِذَلِكَ تَجَدَّ كُلُّ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ بِذِكْرِهِمْ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ادَّعَتْ بِأَنْ فِدَكَ مَلَكَ لَهَا فَكَذَّبَهَا أَبُو بَكْرٍ وَطَلَبَ مِنْهَا شَهَادَةً عَلَى دَعْوَاهَا فَجَاءَتْ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأُمِّ أَيْمَنَ فَلَمْ يَقْبَلْ أَبُو بَكْرٍ شَهَادَتَهُمَا وَاعْتَبَرَهَا غَيْرَ كَافِيَةٍ. وَهَذَا مَا اعْتَرَفَ بِهِ ابْنُ حَجَرٍ فِي الصَّوَاعِقِ الْمَحْرَقَةِ حَيْثُ ذَكَرَ أَنَّ فَاطِمَةَ ادَّعَتْ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحَلَهَا فِدَكَاً وَلَمْ تَأْتِ عَلَيْهَا بِشُهُودٍ إِلَّا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأُمِّ أَيْمَنَ فَلَمْ يَكْمَلْ نَصَابَ الْبَيِّنَةِ^(١).

كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ. فَلَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ادَّعَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ يَنْحَلُّهَا فِدَكَاً، فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: أَنْتِ أَعَزُّ النَّاسِ عَلَيَّ فَقْرًا، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيَّ غِنًى، لَكِنِّي لَا أَعْرِفُ صَحَّةَ قَوْلِكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ أَحْكُمَ لَكَ، قَالَ فَشَهِدْتُ لَهَا أُمِّ أَيْمَنَ وَمَوْلَى لِرَسُولِ اللَّهِ

(١) الصَّوَاعِقُ الْمَحْرَقَةُ لِابْنِ حَجَرٍ الْهَيْثَمِيِّ فِي ص ٢١ فِي الشُّبْهَةِ السَّابِعَةِ.

فطلب منها أبو بكر الشاهد الذي يجوز قبول شهادته في الشرع فلم يكن^(١).
ودعوى فاطمة عليها السلام بأن فداً أنحلها لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن أبا بكر ردّ دعوتها ولم يقبل شهادة علي وأم أيمن معلومة لدى المؤرخين وقد ذكرها كل من ابن تيمية وصاحب السيرة الحلبية وابن القيم الجوزية وغيرهم.

ولكن البخاري ومسلم اختصراها ولم يذكرها إلا طلب الزهراء بخصوص الإرث حتى يؤمما القاريء بأن غضب فاطمة على أبي بكر في غير محلّه، ولم يعمل أبو بكر إلا بما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي ظالمة وهو مظلوم، كل ذلك حفاظاً منهما على كرامة أبي بكر فلا مراعاة للأمانة في النقل ولا لصدق الأحاديث التي كانت تكشف عن عورات الخلفاء وتزيل الأكاذيب والحجب التي نَمَقها الأمويون وأنصار الخلافة الراشدة، ولو كان ذلك على حساب النبي (ص) نفسه أو بضعته الزهراء سلام الله عليها. ومن أجل ذلك حاز البخاري ومسلم على زعامة المحدثين عند أهل السنة والجماعة واعتبروا كتبهما أصحّ الكتب بعد كتاب الله. وهذا تلفيق لا يقوم على دليل علمي وسنبحثه إن شاء الله في باب مستقل حتى نكشف الحقيقة لمن يريد معرفتها.

ومع ذلك فإننا نناقش البخاري ومسلم اللذين أخرجنا في فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام الشيء اليسير ولكن فيه ما يكفي لإدانة أبي بكر الذي عرف الزهراء بقيمتها عند الله ورسوله (ص) أكثر ممّا عرفه البخاري ومسلم ومع ذلك كذبها ولم يقبل شهادتها وشهادة بعلها الذي قال فيه رسول الله: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار»^(٢) ولنكتفٍ بشهادة

(١) تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج ٨ ص ١٢٥ تفسير سورة الحشر.
(٢) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢١ تاريخ ابن عسّكر ج ٣ ص ١١٩ كنز العمال ج ٥ ص ٣٠.

البخاري وشهادة مسلم في ما أقره صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم في فضل بضعته الزهراء.

فاطمة معصومة بنص القرآن.

أخرج مسلم في صحيحه الجزء السابع باب فضائل أهل البيت قالت عائشة: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾ فإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام هي المرأة الوحيدة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها من كل الذنوب والمعاصي في هذه الأمة فما بال أبي بكر يكذبها ويطلب منها الشهود يا ترى؟

فاطمة سيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء السابع في كتاب الاستئذان في باب من ناجى بين يدي الناس ولم يخبر بسر صاحبه فإذا مات أخبر به. ومسلم في كتاب الفضائل عن عائشة أم المؤمنين قالت: إنا كنا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عنده جميعاً لم تغادر منا واحدة فأقبلت فاطمة عليها السلام تمشي لا والله ما تخفى مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها رحب بها قال مرحبا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها فبكت بكاء شديداً فلما رأى حزنها سارها الثانية إذا هي تضحك فقلت لها أنا من بين نسائه: خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسر من بيننا ثم أنت تبكين فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألها عما سارك؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره، فلما توفي قلت لها عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرني قالت: أما الآن فنعم فأخبرتني قالت: أما حين سارني في الأمر الأول فإنه

أخبرني أن جبرئيل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وأنه قد عارضني به العام مرتين ولا أرى الأجل إلا قد اقترب فأتقي الله واصبري فإنني نعم السلف أنا لك قالت فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سرني الثانية قال يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء هذه الأمة.

• فإذا كانت فاطمة الزهراء عليها السلام وهي سيّدة نساء المؤمنين كما ثبت ذلك عن رسول الله، يُكذّبها أبو بكر في ادّعائها فذلك ولا يقبل شهادتها فأي شهادة تُقبل بعدها يا ترى؟؟

فاطمة الزهراء سيّدة نساء أهل الجنة

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الرابع في كتاب بدء الخلق باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة. فإذا كانت فاطمة عليها السلام سيّدة نساء أهل الجنة ومعناه أنها سيّدة نساء العالمين لأن أهل الجنة ليسوا أمة محمد وحدهم كما لا يخفى، فكيف يُكذّبها أبو بكر الصديق؟ ألم يدعوا بأن لقب الصديق أحرز لأنه كان يُصدق كل ما يقوله صاحبه محمد! فلماذا لم يُصدّقه فيما قاله بخصوص بضعته الزهراء؟؟ أم أن الأمر لم يكن يتعلق بفدك وبالصّدقة والنّحلة بقدر ما يتعلق بالخلافة التي هي من حق علي زوج فاطمة، فتكذيب فاطمة وزوجها الذي شهد معها في قضية النّحلة أيسر عليه ليقطع بذلك عليهما الطريق للمطالبة بما وراء ذلك. إنه مكر كبير تكاد تزول منه الجبال.

فاطمة بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

والرسول يغضب لغضبها

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الرابع من كتاب بدء الخلق في باب منقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم. قال: حدثنا

أبو الوليد حدثنا ابن عينة عن عمرو بن دينار عن أبي مليكة عن
المسور بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني.

فاطمة بضعة مني يرييني ما أرابها ويؤذييني ما أذاها.

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يغضب لغضب بضعة
الزهراء ويتأذى بأذاها فمعنى ذلك أنها معصومة عن الخطأ وإلا لما جاز
للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول مثل هذا، لأن الذي يرتكب معصية
يجوز إيذاؤه وإغضابه مهما علت منزلته لأن الشرع الإسلامي لا يراعي قرىباً
ولا بعيداً، شريفاً أو وضعياً غنياً أو فقيراً. وإذا كان الأمر كذلك فما بال أبي
بكر يؤذي الزهراء ولا يبالي بغضبها بل يغضبها حتى تموت وهي واجدة عليه
بل ومهاجرته فلم تكلمه حتى توفيت وهي تدعي عليه في كل صلاة تصلّيها
كما جاء ذلك في تاريخ ابن قتيبة وغيره من المؤرخين؟!

نعم إنها الحقائق المروية، الحقائق المؤلمة التي تهز الأركان وتزعزع
الإيمان لأن الباحث المنصف المتجرد للحق والحقيقة لا مناص له من
الاعتراف بأن أبا بكر ظلم الزهراء واغتصب حقها، وكان بإمكانه وهو خليفة
المسلمين أن يرضيها ويعطيها ما ادّعت لأنها صديقة والله يشهد بصدقها
والنبي يشهد بصدقها، والمسلمون كلهم بما فيهم أبو بكر يشهدون بصدقها،
ولكن السياسة هي التي تقلب كل شيء فيصبح الصادق كاذباً والكاذب
صادقاً.

نعم إنه فصل من فصول المؤامرة التي حيكت لإبعاد أهل البيت عن
المنصب الذي اختاره الله لهم وقد بدأت بإبعاد علي عن الخلافة واغتصاب
نحلة الزهراء وإرثها وتكذيبها وإهانتها حتى لا تبقى هيبتها في قلوب
المسلمين. وانتهت بعد ذلك بقتل علي والحسن والحسين وكل أولادهم
وسُبيت نساؤهم، وقُتل شيعتهم ومحبوهم وأتباعهم ولعلّ المؤامرة متواصلة

ولا زالت حتى اليوم تفعل فعلها وتأتي بشمارها.

نعم أي مسلم حرّ ومنصف سوف يعلم عندما يقرأ كتب التاريخ ويمحص الحق من الباطل بأن أبا بكر هو أول من ظلم أهل البيت، ويكفيه قراءة صحيح البخاري ومسلم فقط لتكشف له الحقيقة إذا كان من الباحثين حقاً.

فها هو البخاري وكذلك مسلم يعترفان عفواً بأن أبا بكر يصدق أي واحد من الصحابة العاديين في ادّعائه، ويكذب فاطمة الزهراء سيّدة نساء أهل الجنة ومن شهد لها الله بإذهاب الرجس والطهارة وكذلك يكذب علياً وأم أيمن! فاقروا الآن ما يقوله البخاري ومسلم.

أخرج البخاري في صحيحه من الجزء الثالث من كتاب الشهادات باب من أمر بإنجاز الوعد.

ومسلم في صحيحه من كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال لا، وكثرة عطائه.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال: لما مات النبي صلى الله عليه وسلم جاء أبا بكر مألّ من قبل العلاء بن الحضرمي فقال أبو بكر: من كان له على النبي صلى الله عليه وسلم دين أو كانت له قبلة عدّة فليأتنا، قال جابر فقلت: وعدني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيني هكذا وهكذا، فبسط يديه ثلاث مرّات قال جابر: فعّد في يديّ خمسمائة ثم خمسمائة ثم خمسمائة.

فهل من سائل لأبي بكر يسأله لماذا صدّق جابر بن عبد الله في ادّعائه بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعده أن يعطيه هكذا وهكذا وهكذا، فيملاً أبو بكر يديه ثلاثة مرّات بما قدره ألف وخمسمائة بدون أن يطلب منه شاهد واحد على ادّعائه؟ وهل كان جابر بن عبد الله أتقى لله وأبرّ من فاطمة سيّدة نساء العالمين؟ والأغرب من كل ذلك هو ردّ شهادة زوجها علي بن أبي

طالب الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً وجعل الصلاة عليه فرضاً على كل المسلمين كما يُصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبه إيمان وبغضه نفاق^(١).

أضف إلى ذلك بأن البخاري نفسه أخرج حادثة أخرى تعطينا صورة حقيقية عن ظلم الزهراء وأهل البيت.

فقد أخرج البخاري في صحيحه في باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته من كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، قال: أن بني صهيب مولى ابن جذعان ادّعوا بيتين وحُجرة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى ذلك صُهيياً، فقال مروان: من يشهد لكما على ذلك قالوا: ابن عُمر! فدعاه فشهد لأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم صُهيياً بيتين وحجرة، ففضى مروان بشهادته لهم^(٢).

* أنظر أيها المسلم إلى هذه التصرفات والأحكام التي تنطبق على البعض دون البعض الآخر، ليس هذا من الظلم والحيث، وإذا كان خليفة المسلمين يحكم لفائدة المدّعين لمجرد شهادة ابن عمر فهل لمسلم أن يتساءل لماذا رُدّت شهادة علي بن أبي طالب وشهادة أم أيمن معه؟ والحال أن الرجل والمرأة أقوى في الشهادة من الرجل وحده، إذا ما أردنا بلوغ النصاب الذي طلبه القرآن. أم أن أبناء صُهيب أصدق في دعواهم من بنت المصطفى عليها السلام؟ وأن عبد الله بن عمر موثق عند الأحكام بينما علي غير موثق عندهم؟! وأما دعوى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، وهو الحديث الذي جاء به أبو بكر، وكذّبه فاطمة الزهراء وعارضته بكتاب الله، وهي الحجة التي لا تُدحض أبداً فقد صحّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٦١ باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلامة بغضهم من علامات النفاق. صحيح الترمذي ج ٥ ص ٣٠٦ سنن النسائي ج ٨ ص ١١٦.

(٢) صحيح البخاري ج ٣ ص ١٤٣.

واله وسلم قوله: «إذا جاءكم حديث عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فاعملوا به وإن خالف كتاب الله فاضربوا به عرض الجدار».

ولا شك أن هذا الحديث تعارضه الآيات العديدة من القرآن الكريم فهل من سائل يسأل أبا بكر ويسأل المسلمين كافة، لماذا تُقبل شهادة أبي بكر وحده في رواية هذا الحديث الذي يُناقض النقل والعقل ويعارض كتاب الله. ولا تقبل شهادة فاطمة وعلي التي توافق النقل والعقل ولا تتعارض مع القرآن.

أضف إلى ذلك بأن أبا بكر مهما علت مرتبته ومهما انتحل له مؤيدوه والمدافعون عنه من فضائل. فإنه لا يبلغ مكانة الزهراء سيدة نساء العالمين ولا مرتبة علي بن أبي طالب الذي فضله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كل الصحابة في المواطن كلها، أذكر منها على سبيل المثال يوم إعطاء الراية عندما أقر له النبي (ص) بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وتناول لها الصحابة كل يرجي أن يعطاها فلم يدفعها إلا إليه^(١). وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي»^(٢).

ومهما شكك المتعصبون والنواصب في صحة هذه الأحاديث، فلن يشكوكوا في أن الصلاة على علي وفاطمة هي جزء من الصلاة على النبي (ص) فلا تقبل صلاة أبي بكر وعمر وعثمان والمبشرين بالجنة وكل الصحابة ومعهم كل المسلمين إذا لم يصلوا فيها على محمد وآل محمد الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم كما جاء ذلك في صحاح أهل السنة

(١) صحيح البخاري ج ٤ ص ٥ وج ٤ ص ٢٠.

(١) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢١ باب فضائل علي بن أبي طالب.

(٢) صحيح الترمذي ج ٥ ص ٢٩٦ وخصائص النسائي.

(٢) مستدرک الحاكم ج ٣ ص ١١٠ والإصابة لابن حجر ج ٢ ص ٥٠٩.

من البخاري ومسلم^(١) وبقية الصّحاح حتّى قال الإمام الشافعي في حقهم «من لم يصل عليكم لا صلاة له».

فإذا كان هؤلاء يجوز عليهم الكذب والادعاء بالباطل فعلى الإسلام السّلام وعلى الدّنيا العفا. أمّا إذا سألت لماذا تقبل شهادة أبي بكر وتردّ شهادة أهل البيت؟ فالجواب: لأنه هو الحاكم وللحاكم أن يحكم بما يشاء والحقّ معه في كل الحالات، فدعوى القويّ كدعوى السّباع من النّاب والظفر برهانها.

وليتبين لك أيها القارئ الكريم صدق القول فتعال معي لتقرأ ما أخرجه البخاري في صحيحه من تناقض بخصوص ورثة النّبي الذي قال حسبما رواه أبو بكر: «نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة» والذي يصدّقه أهل السنّة جميعاً ويستدلّون به على عدم استجابة أبي بكر لطلب فاطمة الزّهراء.

ومما يدلّك على بطلان هذا الحديث وأنه غير معروف، أن فاطمة (ع) طالبت بإرثها وكذلك فعل أزواج النّبي أمّهات المؤمنين فقد بعثن لأبي بكر يُطالبنه بميراثهن^(٢). فهذا ما أخرجه البخاري وما يُستدلّ به على عدم توريث الأنبياء. ولكنّ البخاري ناقض نفسه وأثبت بأن عمر بن الخطاب قسّم ميراث النّبي على زوجاته. فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الوكالة من باب المزارعة بالشّطر ونحوه. عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم غامّل خير بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع، فكان يُعطي أزواجه مائة وسق ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير، فقسّم عمر خير فخير أزواج النّبي صلّى الله عليه وسلّم أن يقطع لهنّ

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٧ باب إن الله وملائكته يصلّون على النّبي من سورة الأحزاب.

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٦ كتاب الصلاة باب الصلاة على النّبي.

(٢) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٤ باب حديث بني النضير من كتاب المغازي.

(٢) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٣٥ باب قول النّبي لا نورث من كتاب الجهاد والسير.

من الماء والأرض، أو يُمضي لهنّ، فمنهنّ من اختار الأرض ومنهنّ من اختار الوسق وكانت عائشة قد اختارت الأرض^(١).

وهذه الرواية تدلّ بوضوح بأنّ خير التي طالبت الزهراء بنصيبها منها كميراث لها من أبيها وردّ أبو بكر دعوتها بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا يورث، وهذه الرواية تدلّ أيضاً بوضوح بأنّ عمر بن الخطاب قسم خير في أيام خلافته على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخيرهن بين امتلاك الأرض أو الوسق وكانت عائشة ممن اختار الأرض - فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يورث، فلماذا ترث عائشة الزوجة. ولا ترث فاطمة البنت؟!.

أفتونا في ذلك يا أولى الأبصار ولكم الأجر والثواب. أضف إلى ذلك أنّ عائشة ابنة أبي بكر استولت على بيت رسول الله (ص) بأكمله ولم تحظ أي زوجة أخرى بما حظيت به عائشة، وهي التي دفنت أباها في ذلك البيت ودفنت عمر إلى جانب أبيها ومنعت الحسين أن يدفن أخاه الحسن بجانب جدّه ممّا حدى بابن عباس أن يقول فيها: تجمّلت تبغلت ولو عشت تفيّلت. لك التسع من الثمن وفي الكلّ تصرفت وعلى كل حال فانا لا أريد الإطالة في هذا الموضوع فإنّه لا بدّ للباحثين من مراجعة التاريخ ولكن لا بأس بذكر مقطع من الخطبة التي ألقتها فاطمة الزهراء عليها السلام بمحضر أبي بكر وجلّ الصحابة ليهلك من هلك منهم عن بيّنة وينجو من نجا منهم عن بيّنة. قالت لهم:

«أعلى عمي تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول ﴿وورث سليمان داود﴾، وقال فيما اقتصر من خبر زكريّا ﴿فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربّ رضياً﴾ وقال: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ وقال: ﴿يوصيكم الله في

أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين» وقال: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيراً، الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين» أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي. أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثان فدونكما مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون.

أبو بكر يقتل المسلمين الذين امتنعوا عن إعطائه الزكاة

أخرج البخاري في صحيحه كتاب استتابة المرتدين باب قتل من أبي قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس. عن أبي هريرة قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر، كيف تُقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله؟ قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها. قال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

وليس هذا بغريب على أبي بكر وعمر اللذين هتدا بحرق بيت الزهراء سيّدة النساء بمن فيه من الصحابة المتخلفين عن البيعة⁽¹⁾ وإذا كان حرق علي وفاطمة والحسن والحسين ونخبة من خيرة الصحابة الذين امتنعوا عن

(1) الإمامة والسياسة لابن قتيبة. العقد الفريد ج 2 حديث السقيفة - والطبري في تاريخه والمسمودي في مروج الذهب - وأبو الفداء والشهرستاني وغيرهم.

البيعة، أمراً هيناً عليهما فليس قتال مانعي الزكاة إلا أمراً ميسوراً، وما قيمة هؤلاء الأعراب الأبعاد مقابل العترة الطاهرة والصحابة الأبرار؟ أضف إلى ذلك أن هؤلاء المتخلفين عن البيعة يرون أن الخلافة هي حق لهم بنص رسول صلى الله عليه وسلم وحتى على فرض عدم وجود النص عليهم فمن حقهم الاعتراض والنقد والإدلاء بأرائهم إن كان هناك شورى كما يزعمون، ومع ذلك فإن تهديدهم بالحرق أمر ثابت بالتواتر ولولا استسلام علي وأمره للصحابة بالخروج للبيعة حفاظاً على حقن دماء المسلمين ووحدة الإسلام لما تأخر القائمون بالأمر، عن إحراقهم.

أما وقد استتب الأمر لهم وقويت شوكتهم ولم يعد هناك معارضة تذكر بعد موت الزهراء ومصالحة علي لهم فكيف يسكتون عن بعض القبائل التي امتنعت عن دفع الزكاة لهم بحجة التريث حتى يتبينوا أمر الخلافة وما وقع فيها بعد نبههم صلى الله عليه وآله وسلم تلك الخلافة التي اعترف عمر نفسه بأنها فلتة^(١).

مركز تحقيق مكتبة نور علوم إسلامي

إذن ليس بالغريب أن يقوم أبو بكر وحكومته بقتل المسلمين الأبرياء وانتهاك حرمانهم وسبي نسائهم وذريتهم وقد ذكر المؤرخون بأن أبا بكر بعث بخالد بن الوليد فأحرق قبيلة بني سليم^(٢) وبعثه إلى اليمامة، وإلى بني تميم وقتلهم غدرًا بعدما كتفهم وضرب أعناقهم صبراً وقتل مالك بن نويرة الصحابي الجليل الذي ولّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صدقات قومه ثقة به، ودخل بزوجه في ليلة قتل زوجها. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وما ذنب مالك وقومه إلا أنهم لما سمعوا بما حدث من أحداث بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما وقع من إبعاد علي وظلم الزهراء.

(١) صحيح البخاري كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب رجم الحبلى من الزنا.

(٢) الرياض النضرة لمحب الدين الطبري ج ١ ص ١٠٠.

حتى ماتت غاضبة عليهم وكذلك مخالفة سيد الانصار سعد بن عباد
وخروجه عن بيعتهم وما تناقله العرب من أخبار تُشكك في صحّة البيعة لأبي
بكر. لكل ذلك تراث مالك وقومه لإعطاء الزكاة، فكان الحكم الصادر من
ال خليفة وأنصاره بقتلهم وسبي نساءهم وذريتهم وانتهاك حرمانهم وإخماد
أنفاسهم حتى لا يتفشى في العرب رأي للمعارضة أو المناقشة في أمر
الخلافة.

والمؤسف حقاً أنك تجد من يدافع عن أبي بكر وحكومته بل ويصحح
أخطائه التي اعترف هو بها^(١) ويقول كقول عمر: والله ما هو إلا أن رأيت أن
قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق.

وهل لنا أن نسأل عمر عن سرّ اقتناعه بقتال المسلمين الذين شهد هو
نفسه بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرّم قتالهم بمجرد قولهم لا
إله إلا الله. وعارض هو نفسه أبا بكر بهذا الحديث فكيف انقلب فجأة
واقنع بقتالهم وعرف أنه الحق بمجرد أن رأى أن قد شرح الله صدر أبي
بكر فكيف تمت عملية شرح الصدر هذه وكيف رآها عمر دون سائر الناس؟
وإن كانت عملية الشرح هذه معنوية وليست حقيقية فكيف يشرح الله صدور
قوم بمخالفتهم لأحكامه التي رسمها على لسان رسوله صلى الله عليه وآله
وسلم، وكيف يقول الله لعباده على لسان نبيّه من قال لا إله إلا الله حرام
عليكم قتله، وحسابه عليّ. ثم يشرح صدر أبي بكر وعمر لقتالهم؟ فهل
نزل وحيّ عليهما بعد محمّد (ص)؟ أم هو الاجتهاد الذي اقتضته المصالح
السياسية والتي ضربت بأحكام الله عرض الجدار؟

أما دعوى المدافعين، بأن هؤلاء ارتدّوا عن الإسلام فوجب قتلهم،
فهذا غير صحيح ومن له أي اطلاع على كتب التاريخ يعلم علم اليقين أن

(١) عندما اعتذر لآخي مالك منهم وأعطاه دية مالك من بيت مال المسلمين وقال إن خالد تأول
فأخطأ.

مانعي الزكاة لم يرتدوا عن الإسلام، كيف وقد صلّوا مع خالد وجماعته عندما حلّوا بفنائهم. ثم إن أبا بكر نفسه أبطل هذه الدعوى الكاذبة بدفعه دية مالك من بيت مال المسلمين واعتذر عن قتله. والمرتد لا يُعتذر عن قتله ولا تُدفع دية من بيت المال. ولم يقل أحد من السلف الصالح أن مانعي الزكاة ارتدوا عن الإسلام إلا في زمن متأخر عندما أصبحت هناك مذاهب وفرق فأهل السنة حاولوا جهدهم وبدون جدوى أن يبرروا أفعال أبي بكر فلم يجدوا بُدّاً من نسبة الارتداد إليهم لأنهم عرفوا أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر. كما جاء في صحاح أهل السنة^(١) وحتى أن البخاري عندما أخرج حديث أبي بكر وقوله: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة جعل له باباً بعنوان: من آبى قبول الفرائض وما نُسبوا إلى الرقة وهو دليل على أن البخاري نفسه لا يعتقد بردتهم (كما لا يخفى).

وحاول البعض الآخر تأويل الحديث كما تأوله أبو بكر بأن الزكاة هي حق المال، وهو تأويل في غير محله. أولاً لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرّم قتل من قال لا إله إلا الله فقط، وفي ذلك أحاديث كثيرة أثبتتها الصحاح سنوافيك بها.

ثانياً: لو كانت الزكاة حق المال فإن الحديث يُبيح في هذه الحالة أن يأخذ الحاكم الشرعي الزكاة بالقوة من مانعها بدون قتله وسفك دمه. ثالثاً: لو كان هذا التأويل صحيحاً لقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثعلبة الذي امتنع عن أداء الزكاة له (القصة معروفة لا داعي لذكرها)^(٢) رابعاً: إليك ما أثبتته الصحاح في حرمة من قال لا إله إلا الله وسأقتصر على البخاري ومسلم وعلى بعض الأحاديث روماً للاختصار.

(١) صحيح البخاري كتاب الإيمان باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر وصحيح مسلم كتاب الإيمان باب قول النبي سباب المسلم فسوق وقتاله كفر.

(٢) راجع كتاب دهم اهتديت، ص ١٨٣ نشر مؤسسة الفجر لندن.

(أ) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله.

والبخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب حدثني خليفة عن المقداد بن الأسود أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أرايت إن لقيت رجلاً من الكفار فاقتلنا، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمتُ الله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتله» فقال: يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعدما قطعها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقتله، فإن قتلته فإنه بمنزلة قبل أن تقتله، وإنك بمنزلة قبل أن يقول كلمته التي قال».

هذا الحديث يفيد بأن الكافر الذي قال لا إله إلا الله ولو بعد اعتدائه على مسلم بقطع يده فإنه يحرم قتله. وليس هناك اعتراف بمحمد رسول الله ولا إقامة الصلاة ولا إيتاء الزكاة ولا صوم رمضان ولا حج البيت، فأي تذهبون وماذا تتأولون؟

(ب) أخرج البخاري في صحيحه من كتاب المغازي باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة وصحيح مسلم في كتاب الإيمان في باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقنا أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله: فكف الأنصاري عنه، وطعنته برمح حتى قتلته، فلما قدمنا، بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله؟» قلت: كان متعوذاً: فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.

وهذا الحديث يفيد قطعاً بأن من قال لا إله إلا الله يحرم قتله ولذلك

تري رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشدد النكير على أسامة حتى يتمنى أسامة أنه لم يكن أسلم قبل ذلك اليوم ليشمله حديث «الإسلام يجب ما قبله» ويطمع في مغفرة الله له ذلك الذنب الكبير.

(ت) أخرج البخاري في صحيحه من كتاب اللباس، باب الثياب البيض. وكذلك مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة.

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه. قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم، ثم أتيتُه وقد استيقظ، فقال: «ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق»، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «وإن زنى وإن سرق» على رغم أنف أبي ذر.

وكان أبو ذر إذا حدث بهذا الحديث قال: وإن رغم أنف أبي ذر. وهذا الحديث هو الآخر يثبت دخول الجنة لمن قال لا إله إلا الله، ومات على ذلك فلا يجوز قتلهم. وذلك رغم أنف أبي بكر وعمر وكل أنصارهم الذين يتأولون الحقائق ويقلبونها حفاظاً على كرامة أسلافهم وكبرائهم الذين غيروا أحكام الله.

وبالتأكيد أن أبا بكر وعمر يعرفان كل هذه الأحكام فهما أقرب منا لمعرفة الصق بصاحب الرسالة من غيرهما ولكنهما ومن أجل الخلافة تأولوا جل أحكام الله ورسوله (ص) على علم وبينة.

ولعل أبا بكر لما عزم على قتال مانعي الزكاة وعارضه عمر بحديث الرسول (ص) الذي يحرم ذلك، أقنع صاحبه بأنه هو الذي حمل الحطب لبحرق بيت فاطمة بنفسه وأن فاطمة أقل ما يقال بحقها أنها كانت تشهد أن لا إله إلا الله، ثم أقنعه بأن فاطمة وعلي لم يعد لهما كبير شأن في عاصمة

الخلافة بينما هؤلاء القبائل الذين منعوا الزكاة لو تركوهم واستشرو أمرهم في داخل البلاد الإسلامية فسيكون لهم تأثير كبير على مركز الخلافة. عند ذلك رأى عمر أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فاعترف بأنه الحق.

أبو بكر يمنع من كتابة السنة النبوية وكذلك يفعل بعده عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان

إن الباحث إذا ما قرأ كتب التاريخ وأحاط ببعض الخلفيات التي توختها حكومة الخلفاء الثلاثة علم علم اليقين بأنهم هم الذين منعوا من كتابة الحديث النبوي الشريف وتدوينه بل منعوا حتى التحدث به ونقله إلى الناس لأنهم بلا شك علموا بأنه لا يخدم مصالحهم أو على الأقل يتعارض ويتناقض مع الكثير من أحكامهم وما تأولوه حسب اجتهاداتهم وما اقتضته مصالحهم. وبقي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي هو المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بل هو المفسر والمبين للمصدر الأول ألا وهو القرآن الكريم. بقي ممنوعاً ومحرمًا على عهدهم. ولذلك اتفقت كلمة المحذنين والمؤرخين على بداية جمع الحديث والتدوين في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أو بعده بقليل. فقد نقل البخاري في صحيحه في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم قال: وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإنني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا يقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون براء.

فهذا أبو بكر يخطب في الناس بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً لهم: «إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله

فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه^(١).

عجيبٌ والله أمر أبي بكرٍ ما هو وبعد أيامٍ قلائلٍ من ذلك اليوم المشؤوم الذي سُمّيَ برزّة يوم الخميس يُوافق ما قاله صاحبه عمر بن الخطاب بالضبط عندما قال إن رسول الله يهجرُ وحسبنا كتاب الله يكفيننا.

وما هو يقول: لا تُحدّثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألکم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه. والحمد لله على اعترافه صراحة بأنهم نبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم وكانت عندهم نسياً منسياً.

والسؤال هنا إلى أهل السنة والجماعة الذين يدافعون عن أبي بكرٍ وعمر ويعتبرانهما أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا كانت صحاحكم كما تعتقدون تروي بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تركت فيكم خليفتين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً كتاب الله وسُنّتي» وعلى فرض أننا سلّمنا بصحة هذا الحديث، فما بال أفضل الخلق عندكم يرفضان السنة ولا يقيمان لها وزناً بل ويمنعان الناس من كتابتها والتحدّث بها؟؟ وهل من سائل يسأل أبا بكرٍ في أي آية وجدّ قتال المسلمين الذين يمنعون الزكاة وسبي نسائهم وذرايرهم؟.

فكتاب الله الذي بيننا وبين أبي بكرٍ يقول: في حقّ مانعي الزكاة: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله، لنصدقنّ ولنكوننّ من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به، وتولّوا وهم معرضون. فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾^(٢). وباتفاق جميع المفسّرين فإن هذه الآيات نزلت بخصوص ثعلبة الذي منع الزكاة على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم - أضف إلى ذلك بأن ثعلبة منع الزكاة وامتنع من أدائها إلى النبي (ص) لأنه أنكرها وقال هي جزية. وقد

(١) تذكرة الحفاظ الجزء الأول والصفحة الثالثة. للذهبي.

(٢) سورة التوبة آية ٧٥ - ٧٧.

شهد الله في هذه الآيات على نفاقه ومع ذلك فالنبي (ص) لم يقاتله ولم يأخذ أمواله بالقوة وكان قادراً على كل ذلك. أما مالك بن نويرة وقومه فلم ينكروا الزكاة كفرض من فروض الدين وإنما أنكروا الخليفة الذي استولى على الخلافة بعد الرسول بالقوة والقهر وانتهاز الفرصة.

ثم أن أمر أبي بكر أغرب وأعجب عندما نبذ كتاب الله وراء ظهره وقد احتجّت به عليه فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، وتلت على مسامعه آيات بيّنات محكمات من كتاب الله الذي يُقرّ وراثته الأنبياء، فلم يقبل بها ونسخها كلّها بحديث جاء به من عنده لحاجة في نفسه، وإذا كان يقول: إنكم تحدّثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشدّ اختلافًا، فلا تحدّثوا عن رسول الله شيئاً. فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلّوا حلاله وحرّموا حرامه فلماذا لم يفعل هو بما يقول عندما اختلف مع بضعة المصطفى الصديقة الطاهرة، في حديث النبي «نحن معشر الأنبياء لا نورث» ولم يحتكم معها إلى كتاب الله فيحلّ حلاله ويحرّم حرامه؟ والجواب معروف، في تلك الحالة سوف تجد كتاب الله ضده، وسوف تنتصر عليه فاطمة في كل ما ادّعته ضده، وإذا ما انتصرت عليه يومها فسوف تحتاجه بنصوص الخلافة على ابن عمّها وأنى له عندئذ دفعها وتكذيبها، والله يقول بهذا الصدد: ﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون، كُبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

نعم لكلّ ذلك ما كان أبو بكر ليرتاح إذا ما بقيت أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلّم متداولة بين الناس يكتبونها ويحفظونها ويتناقلونها من بلد لآخر ومن قرية لأخرى وفيها ما فيها من نصوص صريحة تتعارض والسياسة التي قامت عليها دولته. فلم يكن أمامه حلاً غير طمس الأحاديث وسترها بل ومحوها وحرّقها⁽¹⁾. فما هي عائشة ابنته تشهد عليه. قالت: جمع

(1) كنز العمال الجزء الخامس صفحة 237 وابن كثير في مسند الصديق. والذهبي في تذكرة الحفاظ الجزء الأول الصفحة الخامسة.

أبي الحديث عن رسول الله، فكانت خمسمائة حديث، فبات يتقلب، فقلت يتقلب لشكوى أو لشيء بلغه، فلما أصبح قال: أي بني هلم إلي الأحاديث التي عندك فجئت بها، فأحرقها... الحديث^(١).

عمر بن الخطاب يتشدد أكثر من صاحبه في الحديث عن رسول الله ويمنع الناس من نقله

لقد رأينا سياسة أبي بكر في منع الحديث حتى وصل به الأمر أن أحرق المجموعة التي جمعت على عهده وهي خمسمائة حديث لئلا تنفسي عند الصحابة وغيرهم من المسلمين الذين كانوا يتعطشون لمعرفة سنة نبيهم (ص)، ولما ولي عمر الخلافة بأمر من أبي بكر، كان عليه أن يتوخى نفس السياسة ولكن بأسلوبه المعروف بالشدة والغلظة، فلم يقتصر على حظر ومنع تدوين الحديث ونقله فحسب بل نهّد وتوعد وضرب أيضاً واستعمل فرض الحصار هو الآخر.

روى ابن ماجة في سننه من الجزء الأول باب التوقي في الحديث. قال: عن قرظة بن كعب، بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة وشيعنا فمشى معنا إلى موضع صرار، فقال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قال: قلنا لحق صُحبة رسول الله، ولحق الأنصار، قال: لكني مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به، فأردت أن تحفظوه لِمَشَاي معكم، إنكم تقدمون على قوم للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز الرجل، فإذا رأوكم مدّوا إليكم أعناقهم، وقالوا أصحاب محمد! فأقلّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أنا شريككم.

فلما قدم قرظة بن كعب قالوا: حدّثنا، قال: نهانا عمر^(١). كما روى

(١) كنز العمال الجزء الخامس صفحة 237 وابن كثير في مسند الصديق. والذهبي في تذكرة الحفاظ الجزء الأول الصفحة الخامسة.

(١) الذهبي في تذكرة الحفاظ الجزء الأول الصفحة الثالثة والرابعة.

مسلم في صحيحه في كتاب الآداب، باب الاستئذان بأن عمر هدد أبا موسى الأشعري بالضرب من أجل حديث رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال أبو سعيد الخدري كنا في مجلس عند أبي بن كعب فأتى أبو موسى الأشعري مغضباً حتى وقف فقال: أنشدكم الله هل سمع أحد منكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع قال أبي وما ذاك، قال: استأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات فلم يؤذن لي فرجعت، ثم جئته اليوم فدخلت عليه فأخبرته أنني جئت بالأمس فسلمت ثلاثاً ثم انصرفت، قال: قد سمعناك ونحن حينئذ على شغل فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك، قلت استأذنت كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال فوالله لأوجعن ظهرك وبطنك أو لتأتين بمن يشهد لك على هذا، فقال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك إلا أحدثنا سنّاً قم يا أبا سعيد فقممت حتى أتيت عمر فقلت: قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا.

وروى البخاري هذه الحادثة ولكنه كعادته بشرها وحذف منها تهديد عمر بضرب أبي موسى كعادته حفاظاً على كرامته^(١). مع أن مسلم في صحيحه زاد قول أبي بن كعب لعمر: يا ابن الخطاب فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد روى الذهبي في تذكرة الحفاظ من جزئه الأول الصفحة الرابعة عن أبي سلمة قال: قلت لأبي هريرة: أكنت تحدث في زمان عمر هذا؟ فقال: لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمغفقه. كما أن عمر بعد منع الحديث والتهديد بالضرب أقدم هو الآخر على

(١) صحيح البخاري في كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثاً.

حرق ما دونه الصحابة من الأحاديث. فقد خطب الناس يوماً قائلاً: أيها الناس، إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب فاحبها إلى الله أعدلها وأقومها فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلا أتاني به فأرى فيه رأيي، فظنوا أنه يريد النظر فيها ليقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف، فاتوه بكتبهم فأحرقها بالنار^(١) كما أخرج ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله، أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها ثم كتب إلى الأمصار من كان عنده شيء فليمحاه.

ولما أعينته الحيلة ورغم تهديده ووعيده ومنعه وتحريمه وحرقه كتب الأحاديث بقي بعض من الصحابة يحدثون بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما يلتقون في أسفارهم خارج المدينة بالناس الذين يسألونهم عن أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى عمر أن يحبس هؤلاء النفر في المدينة ويضرب عليهم حصاراً وإقامة جبرية. فقد روى ابن إسحاق عن عبد الرحمن بن عوف: قال: والله ما مات عمر حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق: عبد الله بن حذيفة وأبي الدرداء وأبي ذر الغفاري وعقبة بن عامر، فقال: ما هذه الأحاديث التي قد أفشيتم عن رسول الله في الآفاق، قالوا: تنهاننا؟ قال: لا أقيموا عندي، لا والله لا تفارقوني ما عشت^(٢).

ثم جاء بعده ثالث الخلفاء عثمان الذي اتبع نفس الطريق وسلك ما سطره له أصحابه من قبل. فصعد على المنبر وأعلن صراحة قوله: لا يحل لأحد أن يروي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع به في عهد أبي بكر وعمر^(٣).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ١٨٨ والخطيب البغدادي في تقييد العلم.

(٢) كنز العمال الجزء الخامس صفحة ٢٣٩.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٦٣.

وهكذا دَامَ الحصار طيلة حياة الخلفاء الثلاثة وهي خمسة وعشرون عاماً ويا ليتَه كان حصاراً في تلك المدة فحسب ولكنه تواصل بعد ذلك وعندما جاء معاوية للحكم صعد المنبر هو الآخر وقال: إياكم وأحاديث إلا حديثاً كان في عهد عمر فإنَّ عمر كان يخيفُ النَّاسَ في الله عز وجل. الحديث أخرجه مسلم في صحيحه. في كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة من جزئه الثالث.

ونهج الخلفاء الأمويون على هذا المنوال فمنعوا أحاديث الرسول الصحيحة وتفننوا في وضع الأحاديث المزورة والمكذوبة على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم حتَّى ابتلي المسلمون في كل العصور بالمتناقضات وبالأساطير والمخاريق التي لا تمت للإسلام بشيء، وإليك ما نقله المدائني في كتابه «الأحاديث» قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته (يقصد علي بن أبي طالب) فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته.

ثم كتب معاوية إلى عماله في جميع الأفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، ثم كتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه، وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فادنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا إليَّ بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعلوا ذلك حتَّى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحجاء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فلا يأتي أحد مردود من الناس عاملاً من عمال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً. ثم كتب

معاوية إلى عمّاله: أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إليّ وأقرّ لعيني وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته وأشدّ عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرأت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقي إلى معلّمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، وحتى علموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب إلى عمّاله نسخة واحدة إلى جميع البلدان:

«أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوا اسمه من الديوان واسقطوا عطائه ورزقه، ثم شفّع ذلك بنسخة أخرى:

«من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به، واهدموا داره، فلم يكن البلاء أشدّ ولا أكثر منه بالعراق ولا سيّما بالكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سرّه ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة، ليكتمنّ عليه. فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس بليّة القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم، ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين، الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما روهها ولا تدينوا بها»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١١ ص ٤٦.

وأقول بأن المسؤولية في كل ذلك يتحملها أبو بكر وعمر وعثمان الذين منعوا من كتابة الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدعوى خوفهم بأن لا تختلط السنة بالقرآن هذا ما يقوله أنصارهم والمدافعون عنهم وهذه الدّعوى تُضحك المجانين وهل القرآن والسنة سُكر وملح إذا ما اختلطا فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر وحتى السكر والملح لا يختلطان لأن كل واحد محفوظ في علبته الخاصة به فهل غاب عن الخلفاء أن يكتبوا القرآن في مصحف خاص به والسنة النبوية في كتاب خاص بها كما هو الحال عندنا اليوم ومنذ دَوْنَتِ الأحاديث في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه. فلماذا لم تختلط السنة بالقرآن رغم أن كتب الحديث تُعدُّ بالمشات فصحيح البخاري لا يختلط بصحيح مسلم وهذا لا يختلط بمسند أحمد ولا بموطأ الإمام مالك فضلاً عن أن يختلط بالقرآن الكريم.

فهذه حجةٌ واهيةٌ كسبت المنكيات لا تقوم على دليل بل الدليل على عكسها أوضح فقد روى الزهري عن عروة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً، ثم أصبح يوماً فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن، وإني ذكرتُ قوماً قبلكم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً^(١).

أنظر أيها القارئ إلى هذه الرواية كيف أشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عمر بأن يكتب السنن، وخالفهم جميعاً واستبدَّ برأيه. بدعوى أن قوماً قبلهم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها وتركوا كتاب الله، فأين هي دعوى الشورى التي يتشذق بها أهل السنة والجماعة، ثم أين هؤلاء القوم الذين أكتبوا على كتبهم وتركوا كتاب الله. لم نسمع بهم إلا في

(١) ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله، كنز العمال ج 5 ص 239، وابن سعد من طريق الزهري.

خيال عمر بن الخطاب وعلى فرض وجود هؤلاء القوم فلا وجه للمقارنة إذ أنهم كتبوا كتباً من عند أنفسهم لتحريف كتاب الله فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ [البقرة: 79]. أما كتابة السنن فليست كذلك لأنها صادرة عن نبي معصوم لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهي مبيّنة ومفسرة لكتاب الله. قال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ [النحل: 44]. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أوتيت القرآن ومثله معه» وهذا أمرٌ بديهي لكل من عرف القرآن فليس هناك الصلوات الخمس ولا الزكاة بمقاديرها ولا أحكام الصوم ولا أحكام الحج إلى كثير من الأحكام التي بينها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكل ذلك قال الله تعالى: ﴿ما أناكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾.

وقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكُم الله﴾.

وليت عُمر عرف كتاب الله وأكب عليه ليتعلّم منه الامتثال إلى أوامر الرسول ولا يُناقشها ولا يطعن فيها⁽¹⁾.

وليت عرف كتاب الله وأكب عليه ليتعلّم منه حكم الكلاله⁽²⁾ التي ما عرفها حتى مات وحكم فيها أيام خلافته بأحكام متعدّدة ومتناقضة وليته عرف كتاب الله وأكب عليه ليتعلّم منه حكم التيمّم الذي ما عرفه حتى أيام خلافته وكان يفتي بترك الصلاة لمن لم يجد الماء⁽³⁾ وليته عرف كتاب الله وأكب عليه ليتعلّم منه حكم الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان

(1) صحيح البخاري ج 1 ص 37 باب كتابة العلم. وج 5 ص 138.

(2) سنن البيهقي وكنز العمال ج 6 ص 15 صحيح مسلم كتاب الفرائض باب ميراث الكلاله.

(3) صحيح البخاري ج 1 ص 90 ومسلم ج 1 ص 193 باب التيمّم.

والذي جعله هو طلقاً واحدة^(١) وعارض برأيه واجتهاده أحكام الله وضرب بها عرض الحائط.

والحقيقة التي لا مجال لدفعها هي أن الخلفاء منعوا من انتشار الأحاديث وهذدوا من يتحدث بها وضربوا عليها الحصار لأنها تفضح مخططاتهم وتكشف مؤامراتهم ولا يجدون مجالاً لتأويلها كما يتأولون القرآن، لأن كتاب الله صامت وحمال أوجه، أما السنن النبوية فهي أقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يمكن لأحد من الناس دفعها. ولذلك قال أمير المؤمنين علي لابن عباس عندما بعثه للاحتجاج على الخوارج: «لا تُخاصمهم بالقرآن، فإن القرآن حمال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً»^(٢).

ابو بكر يسلم الخلافة لصاحبه عمر ويخالف بذلك النصوص الصريحة

يقول الإمام علي عليه السلام في هذا الموضوع بالذات «أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرمح، ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطففت أرتني بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا أرى تراثي نهباً حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده (شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر).

فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدة ما

(١) صحيح مسلم في كتاب الطلاق باب طلاق الثلاث من جزئه الأول.

(٢) كتاب علي بن أبي طالب لابن عباس نهج البلاغة ج ١ ص ٧٧.

تشطراً ضرعياً فصيرها في حوزة خشناء يغلف كلاً منها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها... الخطبة^(١).

يعرف كل محقق وباحث بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصر بالخلافة وعين علي بن أبي طالب قبل وفاته كما يعرف ذلك أغلب الصحابة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر^(٢) ولهذا كان الإمام علي يقول: وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي - ولعل ذلك ما دعا أبو بكر وعمر أن يمنعا رواية الحديث عن النبي (ص) كما قدمنا في الفصل السابق وتمسكا بالقرآن لأن القرآن وإن كان فيه آية الولاية غير أن اسم علي لم يذكر صراحة كما هو الحال في الأحاديث النبوية كقوله صلى الله عليه وآله وسلم «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» و«علي مني بمنزلة هارون من موسى» و«علي أخي ووصي وخليفة من بعدي» و«علي مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي»^(٣).

وبذلك نفهم مدى نجاح المخطط الذي رسمه أبو بكر وعمر في منع وحرق الأحاديث النبوية وجعل كمات على الأفواه حتى لا يتحدث الصحابة بها كما قدمنا في رواية قرظة بن كعب، واستمر ذلك الحصار ربع قرن وهي مدة الخلفاء الثلاثة حتى إذا جاء علي للخلافة نرى أنه استشهد الصحابة يوم الرحبة على حديث الغدير فشهد له ثلاثون صحابياً منهم سبعة عشر بدرياً^(٤).

وهذا يدل دلالة واضحة بأن هؤلاء الصحابة وعددهم ثلاثون ما كانوا ليتكلموا لولا أن طلب منهم أمير المؤمنين ذلك فلو لم يكن علي خليفة

(١) نهج البلاغة شرح محمد عبده ج ١ ص ٨٤ - ٨٧.

(٢) الإمام الغزالي في كتابه سر العالمين.

(٣) كل هذه الأحاديث أخرجه الطبري في الرياض النضرة والنسائي في الخصائص، وأحمد بن حنبل.

(٤) أحمد بن حنبل ج ١ ص ١١٩ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ٢ ص ٧.

وبيده القوة لأقعدهم الخوف عن أداء الشهادة كما وقع ذلك فعلاً من بعض الصحابة الذين أقعدهم الخوف أو الحسد عن الشهادة أمثال أنس بن مالك والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وجريير بن عبد الله البجلي^(٢) فأصابتهم دعوة علي بن أبي طالب^(٢) ولم ينعم أبو تراب عليه السلام بالخلافة فكانت أيامه كلها محن وفتن ومؤامرات وحروب شنت عليه من كل حذب وصوب، وبرزت تلك الأحقاد والضغائن البدرية والحنينية والخيرية حتى سقط شهيداً ولم تجد تلك السنن النبوية أذاناً صاغية لدى الناكثين والقاسطين والمارقين والانتهازيين الذين ألفوا الفساد والرشوة وحب الدنيا أيام عثمان فلم يكن ابن أبي طالب ليصلح فساد وانحراف ربع قرن في ثلاث أو أربع سنوات إلا بفساد نفسه وهيهات منه ذلك وهو القائل: «والله إني لأعرف ماذا يصلحكم، ولكن لا أصلحكم بفساد نفسي».

ولم تطل المدة حتى إعتلى سنة الخلافة معاوية بن أبي سفيان فواصل المخطط كما قدّمنا في منع الأحاديث إلا ما كان في زمن عمر. وذهب شوطاً أبعد من ذلك فالتدب من الصحابة والتابعين زمرة لوضع الأحاديث فضاعت سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في خضم تلك الأكاذيب والأساطير والفضائل المختلفة.

واستمر المسلمون على ذلك قرناً كاملاً وأصبحت سنة معاوية هي المتبعة لدى عامة المسلمين وإذا قلنا سنة معاوية فمعناه السنة التي ارتضاها معاوية من أفعال الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وما أضافه هو وأتباعه من وضع وتزوير ولعن وسب لعلي وأهل بيته وشيعته من الصحابة المخلصين.

ولذلك أعود وأكرر بأن أبا بكر وعمر نجحا في هذا المخطط لطمس السنن النبوية بدعوى الرجوع إلى القرآن فإنك ترى اليوم وبعد مرور أربعة

(١) أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٥٦ السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣٧، المعارف لابن قتيبة ص ١٩٤.

عشر قرناً إذا ما حاججت بالنصوص النبوية المتواترة التي تُثبت بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عيّن علياً خليفةً له، فسيقال لك دعنا من السنة النبوية التي اختلف فيها وحسبنا كتاب الله، وكتاب الله لم يذكر بأن علياً هو خليفة النبي، بل قال وأمرهم شورى.

وهذه هي حجّتهم فما كلمت أحداً من علماء أهل السنة إلا وكانت الشورى هي شعارهم وديدنهم.

وبقطع النظر على أنّ خلافة أبي بكر كانت فلتةً وفي الله المسلمين شرّها^(١) فلم تكن عن مشورة كما يدّعي البعض بل كانت بالغفلة وبالقوة والقهر والتهديد والضرب^(٢) وتخلّف عنها وعارضها الكثير من خيرة الصحابة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب وسعد بن عباد وعمار وسلمان والمقداد والزبير والعبّاس وغير هؤلاء كثيرون كما يعترف بذلك جلّ المؤرّخين لهذا الحدث، ولنغضّ الطرف عنها ونأتي إلى استخلاف أبي بكر لعمر بعده ونسأل أهل السنة الذين يتشدقون بمبدأ الشورى، لماذا عيّن أبو بكر خليفة وفرضه على المسلمين بدون أن يترك الأمر شورى بينهم كما تدّعون؟

ولمزيد من التوضيح وكالعادة لا نستدل إلا بكتب أهل السنة أقدم إلى القارئ كيفية استخلاف أبي بكر لصاحبه.

ينقل ابن قتيبة في كتابه تاريخ الخلفاء. في باب مرض أبي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما. قال:

... ثم دعا عثمان بن عفّان فقال: أكتب عهدي، فكتب عثمان وأملى عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها، وأول عهده بالآخرة داخلها، إني

(١) البخاري ج ٨ ص ٢٦ كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب رجم الجبلى من الزنا.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة استخلاف أبي بكر.

استخلفتُ عليكم عمر بن الخطاب، فإن تروه عدلاً فيكم، فذلك ظني به ورجائي فيه، وإن بدل وغير فالخير أردت، ولا أعلم الغيب - وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ثم ختم الكتاب ودفعه، فدخل عليه المهاجرون والأنصار حين بلغهم أنه استخلف عمر، فقالوا: نراك استخلفت علينا عمر، وقد عرفته، وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا، فكيف إذا وليت عنا، وأنت لاق الله عز وجل فسائلك، فما أنت قائل؟ فقال أبو بكر: لئن سألتني الله لأقولن: استخلفت عليهم خيرهم في نفسي^(١).

ويذكر بعض المؤرخين كالطبري وابن الأثير أن أبا بكر لما استدعى عثمان ليكتب عهده أغيب عليه أثناء الإملاء فكتب عثمان اسم عمر بن الخطاب - فلما أفاق قال: اقرأ ما كتبت فقرأ وذكر اسم عمر، فقال: أتى لك هذا؟ قال: ما كنت لتعدوه، فقال أصبت.

فلما فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصحابة منهم طلحة، فقال له: ما أنت قائل لربك غداً وقد وليت علينا فظاً غليظاً، تفرق منه النفوس وتنفض عنه القلوب؟

فقال أبو بكر: أسندوني وكان مستلقياً. فأسندوه فقال لطلحة: أبا الله تخوفني إذا قال لي ذلك غداً قلت له: وليت عليهم خير أهلك^(٢).

وإذا كان المؤرخون يتفقون على استخلاف أبي بكر لعمر بدون استشارة الصحابة فلنا أن نقول بأنه استخلفه رغم أنف الصحابة وهم له كارهون. وسواء أقال ابن قتيبة، دخل عليه المهاجرون والأنصار فقالوا: قد علمت بوائقه فينا، أو كما قال الطبري دخل عليه قوم من الصحابة منهم

(١) تاريخ الخلفاء لابن قتيبة المعروف بالإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الخطبة الشفقية.

طلحة فقال له: ما أنت قائل لرَبِّك وقد وليت علينا فظاً غليظاً تفرق منه النفوس وتنفض عنه القلوب، فالنتيجة واحدة وهي أن الصحابة لم يكن أمرهم شورى ولم يكونوا راضين عن استخلاف عمر وقد فرضه عليهم أبو بكر فرضاً بدون استشارتهم والنتيجة هي التي تنبأ بها الإمام علي عندما شدد عليه عمر بن الخطاب ليبيع أبا بكر فقال له: أحلب حلباً لك شطره واشدد له اليوم أمره يردده عليك غداً.

وهذا بالضبط ما قاله أحد الصحابة لعمر بن الخطاب عندما خرج بالكتاب الذي فيه عهد الخلافة: فقال له ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال: لا أدري، ولكني أول من سمع وأطاع. فقال الرجل: لكني والله أدري ما فيه، أمرته عام أول، وأمرك العام^(١).

وبهذا يتبين لنا بوضوح لا شك فيه بأن مبدأ الشورى الذي يطبل له أهل السنة لا أساس له عند أبي بكر وعمر أو بتعبير آخر أن أبا بكر هو أول من هدم هذا المبدأ وألغاه وفتح الباب أمام الحكام من بني أمية أن يعيدوها ملكية قيسرية بتوارثها الأبناء عن الآباء، وكذلك فعل بنو العباس من بعدهم وبقيت نظرية الشورى حُلماً يراود أهل السنة والجماعة لم ولن يتحقق.

وهذا يذكرني بمحاورة دارت بيني وبين عالم من علماء الوهابية السعوديين في مسجد نيروبي بكينيا، على مشكلة الخلافة وكنت من أنصار النص على الخليفة وأن الأمر كله لله يجعله حيث يشاء ولا دخل لاختيار الناس في ذلك.

وكان هو من أنصار الشورى ويدافع عنها دفاعاً مستميتاً وكان حوله مجموعة من الطلبة الذين يأخذون العلم عنه وهم يؤيدونه في كل ما يقول بدعوى أن حجته من القرآن الكريم إذ يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ ويقول: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج ١ باب استخلاف أبي بكر لعمر.

ولما عرفت أنني مفهور مع هؤلاء لأنهم تعلموا من أستاذهم كل الأفكار الوهابية، كما عرفت أنهم غير قابلين للاستماع إلى الأحاديث الصحيحة وهم يتشبثون ببعض الأحاديث التي يحفظونها وأغلبها من الموضوعات، عند ذلك استسلمت لمبدأ الشورى وقلت لهم ولأستاذهم.

هل لكم أن تُقنعوا حكومة جلالة الملك عندكم بمبدأ الشورى حتى يتنازل عن عرشه ويقتدي بسلفكم الصالح ويترك للمسلمين في الجزيرة العربية حرية اختيار رئيساً لهم وما أظنه يفعل ذلك فأبأوه وأجداده لم يملكوا الخلافة فحسب بل والجزيرة العربية أيضاً أصبحت من ممتلكاتهم حتى أطلقوا على أرض الحجاز كلها اسم المملكة السعودية.

وعندئذ تكلم سيدهم العالم ليقول: نحن لا شغل لنا في السياسة، ونحن في بيت الله الذي أمر أن يذكر فيه اسمه وأن تقام فيه الصلوات. قلت: وكذلك لطلب العلم، قال: نعم وهو كذلك نحن نعلم الشباب هنا - قلت: كنا في بحث علمي! قال: لقد أفسدته بالسياسة.

خرجت مع مرافقي وأنا أتحسر على شباب المسلمين الذين استولت لوهابية على أفكارهم بكل الطرق فأصبحوا حرباً على آبائهم، وكلهم من معتنقي المذهب الشافعي وهو أقرب المذاهب إلى أهل البيت على ما أعتقد. وكان للشيخ احترام ووقار لدى المثقفين وغير المثقفين باعتبار أن أغلبهم من السادة المنحدرين من السلالة الطاهرة، فجاء الوهابيون للشباب واستغلوا فقرهم فأغروهم بالأموال والإمكانات المادية، وقلبوا نظرهم بأن ما يفعلونه من احترام للسادة هو شرك بالله لأنه تقديس للبشر، فأصبح الأبناء نقمة على الآباء. وهذا ما يحدث في كثير من البلدان الإسلامية في إفريقيا. للأسف.

ونعود لوفاة أبي بكر لنجد أنه وقبل موته ندم على ما اقترفت يده، فقد نقل ابن قتيبة في تاريخ الخلفاء قوله: أجل والله ما آسى إلا على ثلاث

فعلتهن ليتني كنت تركتهن - فليتني تركت بيت علي وفي رواية لم أكشف بيت فاطمة عن شيء وإن كانوا قد أعلنوا علي الحرب، وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد الرجلين أبي عبيدة أو عمر فكان هو الأمير وكنت أنا الوزير، وليتني حين أتيت ذي الفجاءة السلمي أسيراً أني قتله ذبيحاً أو أطلقته نجيحاً ولم أكن أحرقه بالنار^(١).

ونحن نضيف، ليتك يا أبا بكر لم تظلم الزهراء ولم تؤذيها ولم تغضبها وليتك ندمت قبل موتها وأرضيتها، هذا بخصوص بيت علي الذي كشفت وأبحث حرقه.

أما بخصوص الخلافة فليتك تركت صاحبك وعضدك أبا عبيدة وعمر وضربت على يد صاحبها الشرعي الذي استخلفه صاحب الرسالة فكان هو الأمير. إذاً لكان العالم اليوم غير ما نشاهده ولكن دين الله هو الذي يسود الكرة الأرضية، كما وعد الله ووعدته حق.

وأما بخصوص الفجاءة السلمي الذي أحرقه بالنار، فيا ليتك لم تحرق السنن النبوية التي جمعتها ولكنك تعلمت منها الأحكام التشريعية الصحيحة وما التجأت إلى الاجتهاد بالرأي.

وأخيراً وأنت على فراش الموت ليتك إذا فكرت في الاستخلاف أرجعت الحق إلى نصابه إلى من كان محله منها محل القطب من الرحي فانت أعلم الناس بفضله وفضائله وزهده وعلمه وتقواه وأنه كان كنفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وخصوصاً أنه سلم لك الأمر ولم يناجزك حفاظاً على الإسلام، فكان حرياً بك أن تنصح لامة محمد (ص) وتختار لها من يصلح شأنها ويلم شعنها ويوصلها إلى ذروة المجد.

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٥٢ ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٤ المسعودي مروج الذهب ج ١ ص ٤١٤.

وندعو الله سبحانه وتعالى أن يغفر لك ذنوبك ويرضى عنك فاطمة وأباها وزوجها وبنيتها فقد أغضبت بضعة المصطفى والله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها. كما وأن من آذى فاطمة فقد آذى أباها بنص حديثه (ص) والله تعالى يقول ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾.

ونعوذ بالله من غضب الله ونسأله أن يرضى عنا وعن جميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.

عمر بن الخطاب يعارض كتاب الله باجتهاده

إن للخليفة الثاني عمر تاريخاً حافلاً من اجتهاده مقابل النصوص الصريحة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وأهل السنة يجعلون ذلك من مفاخره ومناقبه التي يمدحونه لأجلها والمنصفون منهم يلتمسون لذلك أعذاراً وتأويلات باردة لا يقبلها عقل ولا منطق. ولا كيف يكون من يعارض كتاب الله وسنة نبيه من المجتهدين، والله يقول: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ [الأحزاب: 36].

وقال عز من قائل: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون...﴾ [المائدة: 44 - 45 - 47].

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة في باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ولا تقف ولا تقل ما ليس لك به علم. قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً ولكن ينزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يستفتون

فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ^(١).

كما أخرج البخاري في صحيحه من نفس الكتاب في الباب الذي يليه «ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُسْتَلَمُ مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فيقول: لا أدري، أو لم يُجِبْ حَتَّى يَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ولم يقل برأي. ولا قياس لقوله تعالى: ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾»^(٢).

وقد قال العلماء قديماً وحديثاً قولاً واحداً: أنه من قال في كتاب الله برأيه فقد كفر - وهذا بديهي من خلال الآيات المحكمات ومن خلال أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فكيف تُنْسَى هذه القاعدة إذا ما تعلق الأمر بعمر بن الخطاب أو بأحد الصحابة أو أحد أئمة المذاهب الأربعة، فيصبح القول بالرأي في معارضة أحكام الله اجتهاداً يُوجَرُ عليه صاحبه أجراً واحداً إن أخطأ وأجران إن أصاب.

ولفائل أن يقول: إن هذا ما اتفقت عليه الأمة الإسلامية قاطبة سنة وشيعة للحديث النبوي الشريف الوارد عندهم.

أقول: هذا صحيح ولكن اختلفوا في موضوع الاجتهاد، فالشيعة يوجبون الاجتهاد في ما لم يرد بشأنه حكم من الله أو من رسوله (ص). أما أهل السنة فلا يتقيدون بهذا، واقتداء بالخلفاء والسلف الصالح عندهم لا يرون بأساً في الاجتهاد مقابل النصوص، وقد أورد العلامة السيد شرف الدين الموسوي في كتابه «النص والاجتهاد» أكثر من مائة مورد خالف فيه الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الثلاثة، النصوص الصريحة من القرآن والسنة، فعلى الباحثين مطالعة ذلك الكتاب.

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ١٤٨.

(٢) المصدر السابق.

وما دنا في هذا الموضوع بالذات فلا بد لنا من إيراد بعض النصوص التي خالف فيها عمر صريح النص، وذلك إما جهلاً منه بالنصوص، وهذا أمر عجيب لأن الجاهل ليس له أن يحكم فيحلل ويحرم من عند نفسه، قال تعالى: ﴿ولا تقولوا لما نصف ألسنكم الكذب، هذا حلال وهذا حرام، لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ [النحل: 116].

وليس للجاهل أن يتقلد منصب الخلافة لقيادة أمة بأكملها قال تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى ما لكم كيف تحكمون﴾ [يونس: 35].

وأما أنه لا يجهل النصوص ويعرفها ولكنه يعتمد الاجتهاد لمصلحة اقتضاها الحال حسب رأيه الشخصي لا بعد أهل السنة هذا كفراً ومروقاً، كما لا بد أن يكون جاهلاً بوجود من يعرف الأحكام الصحيحة من معاصريه. وهذا باطل لمعرفته بالامام علي (ع) بالكتاب والسنة إماماً تاماً وإلا لما استفتاه في كثير من المقضلات حتى قال فيه: «لولا علي لهلك عمر»، فلماذا يا ترى لم يستفته في المسائل التي اجتهد فيها برأيه الذي يعرف قصوره؟

وأعتقد بأن المسلمين الأحرار يوافقون على هذا لأن هذا النوع من الاجتهاد هو الذي أفسد العقيدة وأفسد الأحكام وعطلها وتسبب في اختلاف علماء الأمة وتفريقها إلى الفرق والمذاهب المتعددة ومن ثم النزاع والخصام، فالفشل وذهاب الربيع والتخلف المادي والروحي.

ولنا أن نتصور حتى بوجود أبي بكر وعمر على منصة الخلافة وإزاحة صاحبها الشرعي، نتصور لو أن أبا بكر وعمر جمعاً السنن النبوية وحفظاها في كتاب خاص بها لوفرا على أنفسهما وعلى الأمة الخير العميم ولما دخلت في السنة النبوية ما ليس منها ولكان الإسلام بكتابه وسنته واحداً،

ملة واحدة وأمة واحدة وعقيدة واحدة ولكان لنا اليوم كلام غير هذا.

أما وأن السنن قد جُمعت وأُحرقت ومُنعت من التدوين ومن النقل حتى شفويًا فهذه هي الطامة الكبرى وهذه هي البائقة العظمى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإليك بعض النصوص الصريحة التي اجتهد فيها عمر بن الخطاب في مقابل القرآن.

(أ) يقول القرآن: ﴿وإن كنتم جنبا فاطهروا، وإن كنتم مرضى أو على سفر، أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا...﴾ [المائدة: 6].

والمعروف في السنة النبوية بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم الصحابة كيفية التيمم وبحضور عمر نفسه.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التيمم في باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه عن الماء. قال: عن عمران قال: كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقفنا وقعة ولا وقعة أخلى عند المسافر منها. فما أيقظنا إلا حر الشمس، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان يُسميهم أبو رجاء فنسي عوف ثم عمر بن الخطاب الرابع وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نام لم يُوقظ حتى يكون هو يستيقظ لأننا لا ندري ما يحدث له في نومه، فلما استيقظ عُمرُ ورأى ما أصاب الناس وكان رجلاً جليداً فكبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يُكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي صلى الله عليه وسلم، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم، قال: لا خير ولا يُضير ارتحلوا، فارتحل فصار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلّى بالناس فلما انقفل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم. قال: ما منعك يا فلان

أَنْ تُصَلِّيَ مَعَ الْقَوْمِ؟ قَالَ: أَصَابَتْنِي جَنَابَةٌ وَلَا مَاءَ! قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ... (١)

ولكنَّ عمر يقول معارضة لكتاب الله وسنة رسوله من لم يجد الماء لا يُصَلِّ. وهذا مذهبه سجَّله عليه أغلب المحدثين. فقد أخرج مسلم في صحيحه ج ١ من كتاب الطهارة باب التيمم أنَّ رجلاً أتى عمرَ فقال إني أجنبتُ فلم أجِدْ ماءً فقال: لَا تُصَلِّ فقال عمار: أما تذكرُ يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فاجنبنا فلم نجد ماءً فأما أنت فلم تُصَلِّ وأما أنا فتممكتُ في التراب وصليتُ فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان يكفيك أن تضربَ بيدك الأرضَ ثم تنفخَ ثم تمسحَ بهما وجهك وكفيك، فقال عمر: اتقِ الله يا عمار! قال: إِنْ شِئْتُ لَمْ أَخْذُ بِهِ (٢).

سبحان الله! لم يكتفِ عمرُ بمعارضته للنصوص الصريحة من الكتاب والسنة حتى يحاول منع الصحابة من معارضته في رأيه. ويضطرَّ عمار بن ياسر أن يعتذر للخليفة بقوله: إِنْ شِئْتُ لَمْ أَخْذُ بِهِ وكيف لا أعجب ولا تعجبون من هذا الاجتهاد وهذه المعارضة وهذا الإصرار على الرأي رغم شهادة الصحابة بالنصوص فإن عمر لم يقتنع إلى أن مات وهو مصرٌّ على هذا الاعتقاد وقد أثر مذهبه هذا في كثير من الصحابة الذين كانوا يرون رأيه - بل ربما كانوا يقدمونه على رأي رسول الله فقد أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الطهارة باب التيمم من جزئه الأول صفحة 192 قال: عن شقيق: كنتُ جالساً مع عبد الله وأبي موسى فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن أرايتَ لو أنَّ رجلاً أجنبَ فلم يجد الماءَ شهراً كيف يصنعُ بالصلاة؟ فقال عبد الله: لَا يَتِيَّمُ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ الْمَاءَ شَهْرًا!

فقال أبو موسى: فكيف بهذه الآية في سورة المائدة ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً

(١) صحيح البخاري ج ١ ص 88.

(٢) صحيح البخاري ج ١ ص 87.

فَتَيْمُّوا صَعِيداً طَيِّباً» فقال عبد الله: لو رُخِّصَ لهم في هذه الآية لأوشك إذا بَرَدَ عليهم الماءُ أَنْ يَتَيْمُّوا بالصَّعِيدِ.

فقال أبو موسى لعبد الله: ألم تسمع قول عَمَّارٍ: بعثني رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في حاجة فأجَنَّبْتُ فلم أجد الماءَ فتمرَّغْتُ في الصَّعِيدِ كما تمرَّغُ الدَّابَّةُ، ثم أتيتُ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم فذكرتُ ذلك له فقال: إنما كان يكفيك أن تقولَ بيدك هكذا ثم ضَرَبَ يديه الأرضَ ضربةً واحدةً ثم مَسَحَ الشمالَ على اليمينَ وظاهرَ كفيه ووجهه.

فقال عبد الله: أولم ترَّ عُمَرَ لم يقنع بقول عَمَّارٍ^(١). ونحن إذا تأملنا في هذه الرواية التي أثبتها البخاري ومسلم وغيرهم من الصَّحاح نفهم من خلالها مدى تأثير مذهب عمر بن الخطاب على الكثير من كبار الصَّحابة ومن هذا نفهم أيضاً مدى تناقض الأحكام، ونهايت الروايات وتضاربها، ولعلَّ ذلك هو الذي يُفسَّرُ استخفاف الحُكَّام الأمويين والعبَّاسيين بالأحكام الإسلامية ولا يُقيمون لها وزناً، ويسمحون بتعدد المذاهب المتعارضة في الحكم الواحد ولسان حالهم يقول لأبي حنيفة ومالك وأحمد والشافعي: قولوا ما شئتم بأرائكم فإذا كان سيِّدكم وإمامكم عمر يقول برأيه ما شاء^(٢) مقابل القرآن والسنة فلا لوم عليكم فما أنتم إلَّا تابعون وأتباع التابعين ولستم مبتدعين.

والأعجب من كل ذلك قول عبد الله بن مسعود لأبي موسى: لا يَتَيْمَّم وإن لم يجد الماء شهراً. وعبد الله بن مسعود من أكابر الصَّحابة يرى أن المجنب إذا لم يجد الماء يترك الصَّلَاة شهراً كاملاً ولا يَتَيْمَّم ويبدو أن أبا موسى حاول إقناعه بالآية الكريمة النازلة بخصوص هذا الموضوع في سورة

(١) كما أخرجه البخاري في صحيحه ج ١ ص ٩١ كتاب التَّيْمُّ باب التَّيْمُّ ضربةً.
(٢) كما جاء ذلك في صحيح البخاري ج ٥ ص ١٥٨ من كتاب تفسير القرآن باب قوله وأنفقوا في سبيل الله.

المائدة، فأجابه بأنه: لو رُخص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا بالصَّعيد.

ومن هذا نفهم أيضاً كيف يجتهدون في النصوص القرآنية على حسب ما يرونه، وما يرونه مع الأسف هو الشدة والتعسير على الأمة في حين يقول الله: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة: 185].

يقول هذا المسكين: لو رُخص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد الماء أن يتيمموا. فهل وضع نفسه مُبلغاً عن الله ورسوله؟ وهل هو أحرص وأراف على العباد من خالقهم ومربيهم؟

وبعد ذلك يحاول أبو موسى أن يقنعه بالسنة النبوية التي رواها عمار وكيف علمه رسول الله التيمم. فيردُّ عبد الله هذه السنة النبوية المشهورة بأن عمر بن الخطاب لم يقنع بقول عمار!

ومن هنا نفهم أن قول عمر بن الخطاب هو الحجة المقنعة لدى بعض الصحابة وأن قناعة عمر بالحديث أو الآية هي المقياس الوحيد لصحة الحديث أو لمفهوم الآية وإن تعارض مع أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ولذلك نجد أن كثيراً من أفعال الناس اليوم تتناقض مع القرآن والسنة سواء في الحلية والحرمة، لأن اجتهاد عمر في مقابل النصوص أصبح مذهباً مُتبِعاً ولمَّا رأى بعض المتزلفين ومن لهم دراية بأن الأحاديث التي مُنعت في عهد الخلفاء، قد دُوِّنت فيما بعد وسجلها الرواة والحفاظ وهي تتعارض مع مذهب عمر بن الخطاب، اختلفوا روايات أخرى من عندهم ونسبوها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليؤيدوا بها مذهب أبي حفص كمسألة زواج المتعة وصلاة التراويح وغيرها فجاءت الروايات متناقضة وبقيت حتى اليوم محل خلاف بين المسلمين وستبقى مادام هناك من يدافع عن عمر لأنه عمر - ولا يريد البحث من أجل الحق وأن يقول لعمر أخطأت يا عمر فإن الصلاة لا تسقط بفقدان الماء. وأن

هناك آية التيمم المذكورة في كتاب الله وهناك حديث التيمم المذكور في كل كتب السنة فجهلك بهما لا يسمح لك باعتلاء منصة الخلافة ولا قيادة أمة - وعلمك بهما يكفرك إذا عارضت أحكامهما فما كان لك إن كنت مؤمناً، إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لك الخيرة. فتحكم بما تشاء وترد ما تشاء وأنت أعلم مني بأن من يعصي الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً.

(ب) قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ، فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 60].

وكان من السنة النبوية المعروفة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخصّ المؤلفة قلوبهم بسهمهم الذي فرضه الله لهم كما أمره الله تعالى ولكن عمر بن الخطاب أبطل هذا العطاء المفروض في خلافته واجتهد مقابل النص وقال لهم: لا حاجة لنا بكم فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم. بل لقد عطل هذا الحكم في خلافة أبي بكر إذ جاءه المؤلفة قلوبهم جرياً على عادتهم مع رسول الله فكتب لهم أبو بكر بذلك فذهبوا إلى عمر ليأخذوا نصيبهم - فمزق عمر الكتاب وقال لهم: لا حاجة لنا بكم فقد أعزّ الله الإسلام وأغنى عنكم فإن أسلمتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم، فرجعوا إلى بكر فقالوا: أنت الخليفة أم هو؟ فقال: بل هو إن شاء الله. وتراجع أبو بكر فيما كتب موافقاً لرأي صاحبه عمر^(١).

والعجيب أيضاً أنك تجد حتى اليوم من يدافع عن عمر في هذه القضية ويعتبرها من مناقبه وعبقرياته ومن هؤلاء الشيخ محمد المعروف بالدواليبي إذ يقول في كتابه أصول الفقه في ص 239: «ولعلّ اجتهاد عمر رضي الله عنه في قطع العطاء الذي جعله القرآن الكريم للمؤلفة قلوبهم كان في مقدمة الأحكام التي قال بها عمر تبعاً لتغير المصلحة بتغير الأزمان

(١) الجوهرة النيرة في الفقه الحنفي ج 1 ص 164.

رغم أن النص القرآني في ذلك لا يزال ثابتاً غير منسوخ. ثم أخذ بعد ذلك يعتذر لعمر بأنه نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره.. إلى آخر كلامه الذي لا تفهمه العقول السليمة، ونحن نقبل شهادته بأن عمر غير الأحكام القرآنية تبعاً لرأيه بأن المصلحة تتغير بحسب الأزمان. ونرفض تأويله بأن عمر نظر إلى علة النص ولم ينظر إلى ظاهره ونقول له ولغيره بأن النصوص القرآنية والنصوص النبوية لا تتغير بتغير الأزمان، فالقرآن صريح بأن رسول الله (ص) نفسه ليس من حقه أن يبذل قال تعالى:

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: 15].
والسنة النبوية الطاهرة تقول: حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

ولكن على زعم الدواليبي ومن يرى رأيه من أنصار الاجتهاد فإن الأحكام تتغير بتغير الزمان ولا لوم إذن على بعض الحكماء الذين غيروا أحكام الله بأحكام الشعب وبأحكام وضعية اقتضتها مصالحهم وهي مخالفة لأحكام الله فمنهم من قال: أفطروا لتقووا على عدوكم ولا حاجة بالصوم في الوقت الحاضر الذي نجاهد فيه التخلف والفقر والجهل. والصوم يُقعدنا عن الإنتاج ومنع تعدد الزوجات لأنه يرى في ذلك ظلماً وتعدياً على حقوق المرأة وقال: بأن في زمن محمد كانت المرأة تعتبر «شفقة بول» أما الآن فقد حررناها وأعطيناها حقوقها كاملة.

ونظر هذا الرئيس إلى النص من حيث العلة ولم ينظر إلى ظاهره كما نظر عمر فقال: إن الميراث يجب أن يقسم الآن للذكر والأنثى على حد سواء، لأن الله أعطى للرجل سهمين باعتبار أنه هو الذي يعمل الأسرة في حين كانت المرأة معطلة، أما اليوم وبفضل جهود فخامته أصبحت المرأة تشتغل وتعمل أسرته وضرب للشعب مثلاً بزوجه التي أنفقت على أخيها

وأصبح وزيراً بفضلها وعنايتها.

كما وأنه أباح الزنا واعتبره حقاً شخصياً لمن بلغ سنّ الرشد ما لم يكن غصباً أو حرفة للعيش، وفتح دوراً لحضانة الأطفال الذين يولدون من الزنا معللاً ذلك بأنه رحيمٌ بأولاد الزنا الذين كانوا يدفنون أحياء خوف العار والفضيحة، إلى غير ذلك من اجتهاداته المعروفة والغريب أن هذا الرئيس كان لحدٍ ما معجباً بشخصية عمر فقد ذكره مرةً بإعجاب وذكره مرةً بأنه لم يتحمل المسؤولية حياً وميتاً بينما هو «الرئيس» سيتحملها حياً وميتاً، ومرةً أخرى وكأنه بلغه بأن المسلمين انتقدوا اجتهاداته فقال: إن عمر بن الخطاب كان من أول وأكبر المجتهدين في عصره فلماذا لا أجتهد أنا في عصري الجديد فقد كان عمر رئيس دولة وأنا أيضاً رئيس دولة.

والأغرب أن هذا الرئيس كان عندما يذكر محمد رسول الله (ص) ترى في كلامه سخريّة واستهزاء فقد قال في خطابه بأنّ محمداً كان لا يعرف حتى الجغرافيا فقد قال: «أطلبوا العلم ولو كان في الصين» ظناً منه بأنّ الصين هي آخر الدنيا، فما كان محمد يتصور بأنّ العلم سيصل إلى هذه الدرجة وأنّ أطناناً من الحديد ستطير في الهواء فما بالك لو قيل له أو حدثوه عن الأورانيوم - والبوتاسيوم والعلوم الذرية والأسلحة النووية.

هذا ولا ألوم شخصياً هذا المسكين الذي ما فهم من كتاب الله وسنة رسوله شيئاً ووجد نفسه يوماً يحكم دولة باسم الإسلام وهو يسخر من الإسلام ويجري وراء الحضارة الغربية ويريد أن يصنع من بلاده دولة أوروبية متطورة بالمفهوم الذي يراه هو. وقد حذا حذوه كثير من الرؤساء والملوك لما حصل عليه من تأييد الدول الغربية واللائكية ومدحهم وإطرائهم له، حتى لقبوه بالمجاهد الأكبر ثم لا ألومه فالشيء من مآثاه لا يُستغرب وكل إناء بالذي فيه ينضج وإذا كنت مُنصفاً فسألقي باللوم على أبي بكر وعمر وعثمان الذين فتحوا هذا الباب من يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسببوا في كل الاجتهادات التي دأب عليها الحكام الأمويون والعباسيون وما

أكثرهم، سبع قرون خلت وكلها طمس لحقائق الإسلام بنصوصه وأحكامه واستفحل الأمر في القرون التي أعقبتها، حتى وصل الأمر بأن يخطب الرئيس أمام شعبه المسلم مستهزئاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينكر عليه أحد لا في الداخل ولا في الخارج.

وهذا ما قلته وما أقوله لبعض الإخوة من الحركة الإسلامية: إن كنتم تنكرون اليوم على الرئيس عدم اتباع النصوص القرآنية والسنة النبوية فواجب عليكم أن تنكروا على من سن هذه البدعة في الاجتهاد مقابل النصوص، إن كنتم منصفين وتريدون فعلاً اتباع الحق. فلا يقبلون مني هذا الكلام ويعيبون عليّ كيف أقارن الرؤساء اليوم بالخلفاء الراشدين، وأجيئهم بأن الرؤساء اليوم وملوك اليوم هم النتيجة الحتمية لما وقع في التاريخ، ومنى كان المسلمون يوماً أحراراً منذ وفاة الرسول وحتى اليوم؟ فيقولون أنتم الشيعة تفترون وتشتمون الصحابة، ولو وصلنا يوماً إلى الحكم فسنحرقكم بالنار، فأقول: لا أراكم الله ذلك اليوم.

(ت) قال الله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ، فِإِنَّ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 230].

والسنة النبوية الشريفة فسرت بغير لبس بأن المرأة لا تحرم على زوجها إلا بعد ثلاث تطليقات ولا يحق لزوجها أن يراجعها إلا بعد أن تنكح زوجاً آخر فإذا طلقها هذا الأخير عند ذلك يمكن لزوجها أن يتقدم لخطبتها

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٨٤ والبيهقي ج ٧ ص ٣٣٦ وأبو داود في كتاب الطلاق.

من جديد كبقية الرجال وعليها أن تقبل أو ترفض فالخيرة لها.

ولكنَّ عمر بن الخطاب وكعادته تخطى حدود الله التي بينها لقوم يعلمون فأبدل هذا الحكم بحكمه الذي يقول طلاقاً واحدة فعلية بلفظ الثلاثة تحرّم على الزوج زوجه. وخالف بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية.

فقد جاء في صحيح مسلم في كتاب الطلاق باب طلاق الثلاث عن ابن عباس قال: كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وستين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمرٍ قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضيته عليهم فأمضاه عليهم.

عجباً والله كيف يجرؤ الخليفة على تغيير أحكام الله بمحضر من الصحابة فيوافقون على كل ما يقول وما يفعل ولا من منكر ولا من معارض، ويموّهون علينا نحن المساكين بأن أحد الصحابة قال لعمر: «والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناك بعد السيف، فهذا زور من القول وبهتان ليتشدقوا بأن الخلفاء كانوا المثل الأعلى في الحرية والديمقراطية والتاريخ يكذبهم بواقعه العملي ولا عبرة بالأقوال إذا كانت الأعمال على نقيضها.

أو لعلهم كانوا يرون الاعوجاج في الكتاب والسنة وأن عمر بن الخطاب هو الذي قوّمها وأصلحها. نعوذ بالله من الهذيان. وكنت في مدينة قفصة كثيراً ما أفتي للرجال الذين حرّموا نساءهم بكلمة: «أنت حرام بالثلاث»، ويفرحون عندما أعرفهم بأحكام الله الصحيحة التي لم يتصرف فيها الخلفاء باجتهاداتهم. ولكن من يدعون العلم يخوفونهم بأن الشيعة عندهم كل شيء حلال وأتذكر بأن أحدهم جادلني مرة بالحسن وسألني: إذا كان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذل حكم الله في هذه القضية وفي غيرها ووافق الصحابة على ذلك فلماذا لم يعارض سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه ولم ينكر على سيدنا عمر؟ وأجبتُ بجواب الإمام علي

عليه السلام عندما قالت قريش بأنه رجلٌ شجاعٌ ولكن لا علم له بالحرب - فقال:

لله أبوهم! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لها مراساً، وأقدمُ فيها مقاماً مني! لقد نهضتُ فيها وما بلغتُ العشرين، وهأنذا قد ذرقتُ على السنين، ولكن لا رأيي لمن لا يُطاع. (الخطبة 27 من نهج البلاغة). نعم وهل استمع المسلمون لرأي علي، غير شيعته الذين آمنوا بإمامته فقد عارض تحريم المتعة وعارض بدعة التراويح وعارض كل الأحكام التي غيرها أبو بكر وعمر وعثمان ولكن بقيت آراؤه محصورة في أتباعه وشيعته، أما غيرهم من المسلمين فقد حاربوه ولعنوه وحاولوا جهدهم القضاء عليه ومحو ذكره، ولا أدلُّ على معارضته من موقفه العظيم البطولي عندما دعاه عبد الرحمن بن عوف الذي رشّحوه لاختيار الخليفة بعد موت عمر فاشتراط عليه - بعد أن اختاره ليكون هو الخليفة - أن يحكم فيهم بسنة الخليفين أبو بكر وعمر، فرفض علي عليه السلام هذا الشرط وقال: أحكم بكتاب الله وسنة رسوله. وعلى هذا تركوه واختاروا عثمان بن عفان الذي قبل شرط الحكم بسنة الخليفين فإذا كان علي عليه السلام لا يقدر على معارضة أبي بكر وعمر وهما ميّتان فكيف يعارضهما وهما على قيد الحياة؟؟

ولذلك ترى اليوم بأن باب مدينة العلم الذي كان أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقضاهم وأحفظهم لكتاب الله وسنة رسوله، متروكاً عند أهل السنة والجماعة، فيقتدون بمالك وأبي حنيفة والشافعي وابن حنبل ويقلّدونهم في كلّ أمور الدّين من العبادات والمعاملات ولا يرجعون في شيء للإمام علي وكذلك فعل أئمتهم في الحديث كالبخاري ومسلم فتزاهم يروون عن أبي هريرة وعن ابن عمر وعن الأقرع والأعرج وعن كل قريب وبعيد مئات الأحاديث ولا يروون عن علي إلا بضعة أحاديث مكذوبة عليه وفيها مسٌ بكرامة أهل البيت. ثم هم لا يكتفون بذلك فيستنكرونها ويكفرون من قلّده، واقتدى به من شيعته المخلصين وينبذونهم بالروافض

وبكل ما يُشِين، والحقيقة أن هؤلاء ليس لهم ذنبٌ إلا أنهم اقتلوا بعلي الذي كان منبوذاً ومُبعداً في عهد الخلفاء الثلاثة، ثم هو ملعون ومحارب في عهد الأمويين والعباسيين، وكل من له إمام ومعرفة بالتاريخ سيُدرِك هذه الحقيقة واضحة جلية، وسيُفهمُ الخلفيات والمؤامرات التي حيكتُ ضده وضد أهل بيته وشيعته.

عثمان بن عفان يتبع سنة صاحبيه في مخالفة النصوص

لعلَّ عثمان بن عفان عندما عاهد عبد الرحمن بن عوف غداة بيعته بالخلافة أن يحكم فيهم بسنة الخليفين أبي بكر وعمر، كان يرمي بأنه سيجتهدُ كما اجتهدا ويغير النصوص القرآنية والنصوص النبوية كما كانا يفعلان ومن تتبع سيرته أيام خلافته يجدُ قد ذهب أشواطاً بعيدة في الاجتهاد حتى أنسى الناس اجتهادات صاحبيه أبي بكر وعمر، وأنا لا أريد الإطالة في هذا الموضوع الذي ملأ كتب التاريخ قديماً وحديثاً وما أحدثه عثمان من أمور غريبة سببت الثورة عليه وأودت بحياته ولكني سأقتصر على بعض الأمثلة الوجيزة كالعادة ليتبين للقارئ ولكل باحث ما أحدث أنصار الاجتهاد في دين محمد (ص).

(أ) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين عن عائشة قالت: فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر، فأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى.

كما أخرج مسلم في صحيحه في نفس الكتاب المذكور أعلاه، عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب، ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتُم أن يفتنكم الذين كفروا، فقد أمن الناس! فقال: عجبت مما عجبت منه فسألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته».

كما أخرج مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها عن ابن عباس، قال: فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة.

كما أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين.

وعنه أيضاً قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة فصلّى ركعتين ركعتين حتى رجع، قلت: كم أقام بمكة؟ قال: عشراً.

ومن خلال هذه الأحاديث التي أخرجها مسلم في صحيحه يتبين لنا بأن الآية الكريمة التي نزلت بخصوص تقصير الصلاة في السفر فهم منها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفسرها قولاً وعملاً بأنها رخصة تصدق الله بها على المسلمين ويجب قبولها. وبهذا تبطل دعوى الدواليبي ومن كان على شاكلته في التماس العذر لعمر وتصحيح أخطائه بأنه نظر إلى علّة الحكم ولم ينظر إلى ظاهره، لأنّ رسولا الله صلى الله عليه وآله وسلم علّمه بمناسبة نزول آية قصر الصلاة عندما تعجّب عمر، بأنّ النصوص الثابتة لا تتوقّف على علّتها وبذلك تقصر الصلاة في السفر ولو أمر الناس ولم يخافوا أن يفتنهم الذين كفروا. ولكن عمر له رأي آخر غير الذي يرتثيه الدواليبي وعلماء أهل السنة بحسن ظنهم.

ولننظر إلى عثمان بن عفان فلا بد له هو الآخر أن يجتهد في النصوص القرآنية والنبوية حتى يلحق بركب الخلفاء الراشدين، فما أن استتب له الأمر حتى أتم الصلاة في السفر وأبدلها بأربع ركعات عوض ركعتين.

وكم بقيت أساءل عن السبب في تغيير هذه الفريضة والزيادة فيها وما

هي الدوافع لذلك ولم أر إلا أنه أراد أن يوهم الناس وبالخصوص بني أمية بأنه أبر وأتقى لله من محمد وأبي بكر وعمر.

فقد أخرج مسلم في صحيحه في باب صلاة المسافرين وقصر الصلاة بمضى قال: عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى صلاة المسافر بمضى وغيره ركعتين، وأبو بكر وعمر وعثمان ركعتين صديقاً من خلافته ثم أتمها أربعاً.

كما جاء في صحيح مسلم أيضاً أن الزهري قال قلت لعروة: ما بال عائشة تُم في السفر؟ قال: إنها تأولت كما تأول عثمان.

* وهكذا يصح دين الله بأحكامه ونصوصه خاضعاً لتأول المتأولين وتفسير المفسرين.

(ب) كما أن عثمان اجتهد برأيه لتأييد ما ذهب إليه عمر من تحريم متعة الحج أيضاً كما حرم متعة النساء. فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الحج في باب التمتع والإقراء، عن مروان بن الحكم قال: شهدت عثمان وعلياً رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما فلما رأى عليّ أهل بهما ليك بعمره وحجة وقال: ما كنت لأدع سنة النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد.

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب جواز التمتع عن سعيد بن المسيب قال: اجتمع عليّ وعثمان رضي الله عنهما بعُسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة فقال عليّ: ما تريد إلى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا منك، فقال: إني لا أستطيع أن أدعك فلما رأى عليّ ذلك أهل بهما جميعاً.

نعم هذا هو عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه، فما كان ليدع سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقول أحد من الناس والرواية الثانية تفيدنا بأن شجاراً دار بين علي وعثمان وقول عثمان لعلي دعنا منك، فيه ما فيه من

مخالفته في كل شيء وعدم اتباعه فيما يرويه عن ابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم. كما أن الرواية مبتورة إذ تقول: فقال علي إني لا أستطيع أن أدعك فلما رأى علي ذلك ما هو الذي رآه علي؟

لا شك أن الخليفة ورغم تذكير علي له بالسنة النبوية أصر على رأيه في مخالفتها ومنع الناس من التمتع عند ذلك خالفه علي وأهل بهما جميعاً يعني الحج والعمرة.

(ت) كما أن عثمان بن عفان اجتهد أيضاً في أجزاء الصلاة فكان لا يكبر في السجود ولا في الرفع منه.

فقد روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده الجزء الرابع الصفحة 440. عن عمران بن حصين قال:

صليت خلف علي صلاة ذكرني بصلاة صليتها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفين، قال: فانطلقت فصليت معه فإذا هو يكبر كلما سجد ورفع رأسه من الركوع فقلت: يا أبا نجيذ من أول من تركه؟ قال: عثمان رضي الله عنه حين كبر وضعف صوته تركه.

نعم هكذا تضيع السنن النبوية وتبدل بسنن خلفائيه وسنن ملوكية وسنن صحابية وسنن أموية وسنن عباسية وكلها بدع مبتدعة في الإسلام، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار كما قال صاحب الرسالة عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ولذلك فانت ترى اليوم أشكالا والواناً في صلاة المسلمين وتحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى لأنهم يصطفون للصلاة صفاً واحداً فتري هذا سادلاً يديه وذاك قابض وآخر له شكلاً خاصاً في القبض فهو يضع يديه فوق السرة وذاك يضعها قرب قلبه... واحد جامع بين قدميه وآخر مفرق بينهما - وكل واحد يعتقد بأنه هو الحق، وإذا ما تكلمت في ذلك فسيقال لك: يا أخي إنها شكليات فلا تهتم بها وصل كما تريد فالمهم هو أن تصلي.

نعم هذا صحيح إلى حد ما فالمهم هي الصلاة ولكن يجب أن تكون صلاة مطابقة لصلاة رسول الله (ص) فقد قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، فعلينا أن نجتهد في البحث عن صلاته (ص) لأن الصلاة عمود الدين.

(ث) عثمان الذي استحث منه ملائكة الرحمن

قال البلاذري في أنساب الأشراف ج 5 ص 54.

لما بلغ عثمان موت أبي ذر بالربذة قال: رحمه الله. فقال عمار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كل أنفسنا، فقال عثمان لعمار: يا عاصُ أير أبيه أتراني ندمت على تسييره، وأمر فدفع في قفاه وقال: إحق بمكانه.

فلما تهيأ للخروج جاءت بنو مخزوم إلى عليّ فسألوه أن يكلم عثمان فيه، فقال له علي: يا عثمان إتق الله فإنك سيرت رجلاً صالحاً من المسلمين فهلك في تسييرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره؟

وجرى بينهما كلام حتى قال عثمان لعلي: أنت أحق بالنفي منه فقال علي: رُم ذلك إن شئت.

واجتمع المهاجرون إلى عثمان فقالوا: إن كنت كلما كلمك رجل سيرته ونفيته فإن هذا شيء لا يسوغ. فكف عن عمار.

وفي رواية البيهقي من تاريخه ج 2 ص 147 أن عمار بن ياسر صلى على المقداد ودفنه ولم يؤذن بذلك عثمان بوصية من المقداد، فاشتد غضب عثمان على عمار وقال: ويلي علي ابن السوداء أما لقد كنت به عليماً.

أفيمكن للحبي الذي تستحي منه الملائكة أن يتفحش في الأقوال، ولخيرة المؤمنين؟

ولم يكتف عثمان بشتيم عمار وقوله له فحشاً من القول: كقوله يا

عاضُ أير أبيه: حتَّى أمرَ غلمانَه فمسكوا عماراً ومدوا بيديه ورجليه ثم ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين على مذاكيره فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبيراً فغشي عليه، وهذه قصّة معروفة عند المؤرخين^(١) عندما كتب جمع من الصحابة كتاباً وأمروا عمار أن يوصله له.

وكذلك فعل عثمان مع عبد الله بن مسعود إذا مر به أحد جلاوزته وهو عبد الله بن زمعة فاحتمله ابن زمعة حتَّى جاء به باب المسجد وضرب به الأرض فكسّر ضلعاً من أضلاعه^(٢)، لا لشيء إلا أن عبد الله بن مسعود استنكر على عثمان أن يُعطى بني أمية الفسقة أموال المسلمين بغير حساب.

وقامت الثورة على عثمان وكان ما كان حتَّى ذُبِحَ ومنعوا دفنه ثلاثة أيام وجاء من بني أمية أربعة ليصلّوا عليه فمنعهم بعض الصحابة من الصلوة عليه فقال أحدهم: ادفنوه فقد صلى الله عليه وملائكته، فقالوا لا والله لا يدفن في مقابر المسلمين أبداً. فدفنوه في حش كوكب، كانت اليهود تدفن فيه موتاهم. فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحش في البقيع.

هذه نبذة يسيرة من تاريخ الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وهي وإن كانت يسيرة لأننا رُمنا الاختصار وإعطاء بعض الأمثلة فقط، ولكنها كافية لكشف الستار عن تلكم الفضائل المزعومة والمناقب المخترعة التي لا يعرفها الخلفاء الثلاثة ولا حلموا بها يوماً في حياتهم.

والسؤال الذي يُطرح هو: ما يقول أهل السنة والجماعة في هذه الحقائق؟

والجواب عند أهل الذكر هو: إن كنتم تعرفونها ولا تنكرونها لأن

(١) البلاذري في أنساب الأشراف ج ٥ ص ٤٩ والاستيعاب ج ٢ ص ٤٢٢، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٢٩، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٢٣٩، العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٧٢.

(٢) البلاذري أنساب الأشراف وكذلك الواقدي، تاريخ البغوي ج ٢ ص ١٤٧، وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٧.

صاحكم أثبتتها على حقيقتها رغم التعنيم فقد أسقطتم بذلك أسطورة
الخلافة الراشدة.

وإن كنتم تنكرونها ولا تثقون في صحتها فقد أسقطتم صاحكم
وكتبكم المعبرة التي أخرجتها وبذلك أسقطتم كل معتقداتكم.



مركز تحقيق تراثنا في علوم الإسلام



مرکز تحقیقات کتب ویر علوم اسلامی

الفصل السادس

فيما يتعلق بالخلافة

الخلافة، وما أدراك ما الخلافة! فهي التي جعلها الله فتنه الأمة وهي التي قسمتها وأطمعت فيها الطامعين، وهي التي أهرقت في سبيلها الدماء البريئة وهي التي كفر من أجلها مسلمون فأغرتهم وأبعدتهم عن الصراط المستقيم وأدخلتهم نار الجحيم ولا بُدُّ لنا من دراسة تكون على اختصارها محيطة بالخفايا والملابسات التي كانت الخلافة مسرحاً لها قبيل وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وأول ما يتبادر للأذهان أن الزعامة عند العرب كانت من الأمور الضرورية في كلِّ العصور فتراهم يقدّمون رئيس القبيلة أو زعيم العشيرة على أنفسهم فلا يبرمون أمراً دونه ولا يتخذون قراراً إلاّ بمشورته ولا يسبقونه بالقول.

فزعيم العشيرة هذا عادة ما يكون أكبرهم سنّاً وأعلمهم بالأمور وأشرفهم حسباً ونسباً.

ويبدو أن هذا الرئيس يبرز من خلال الأحداث في عشيرته ومما يظهر عليه من ذكاء وفطنة وشجاعة وعلم بالأمور وسخاء وإكرام الضيف وغير ذلك من الخصال الحميدة، ولكن في أغلب الأحيان هي وراثة وليست اختيار. ونجد بعد ذلك أن القبائل والعشائر رغم استقلاليتها فهي تخضع

لزعامة القبيلة الواحدة التي قد تكون أكثر عدداً ومالاً ولها أبطال يخوضون المعارك ويحمون بقية القبائل تحت رعايتها ومثال ذلك قريش التي كانت تنزع بقية القبائل العربية الخاضعة لها بحكم الزعامة والسيادة التي فرضتها رعايتها لبيت الله الحرام.

ولما جاء الإسلام أقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حد ما هذا الأسلوب في التعامل فكان يولي على القبائل التي وفدت عليه وأقرت بالإسلام سيدهم وشريفهم ليكون والياً عليهم فيصلي بهم ويجمع زكاتهم ويكون همزة الوصل بينهم وبينه.

ثم إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أنشأ بأمر الله سبحانه الدولة الإسلامية التي تخضع في كل أحكامها وقراراتها إلى ما ينزل به الوحي من الله، فكان نظام المجتمع ونظام الفرد من عقود نكاح وطلاق وبيع وشراء وأخذ وعطاء وإرث وزكاة وكل ما يخص الفرد والمجتمع في الحرب والسلم من معاملات وعبادات كلها خاضعة إلى أحكام الله، ومهمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي التنفيذ والنهوض على تطبيق تلك الأحكام.

ومن الطبيعي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يفكر فيمن سيخلفه في هذه المهمة العظيمة ألا وهي قيادة الأمة.

ومن الطبيعي أن يهتم كل رئيس دولة (إن كان يهتم شعبه) بالشخص الذي يختاره ليكون نائبه في كل المهمات التي يكون هو غائب عنها فيكون وزيره الأول والمقرب الذي يحضر إذ يغيبون ومن الطبيعي أيضاً أن يكون نائبه معلوماً لدى كل الوزراء وعند الشعب أيضاً.

فلا يمكن أن يصدق العقل بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أغفل كل ذلك ولم يهتم به ولا شك بأنه كان شغله الشاغل، ولا شك بأن الأحاديث المتعلقة بالموضوع خضعت للحصار الذي ضربه الخلفاء الذين كانوا يتزعمون نظرية الشورى والذين عملوا بكل جهودهم لمعارضة النصوص التي عيّنت وشخصت الخليفة وكان من هذه الجهود أيضاً الطعن

بقداسة الرسول (ص) واتهامه بالهجر، ثم الطعن فيه وفي الأمير الذي ولّاه قيادة الجيش بدعوى أنه لا يصلح للإمارة والقيادة لصغر سنّه، ثم التشكيك في وفاة الرسول (ص) حتى تضطرب الأمور، ولا يسبق الناس عامة لبيعة الخليفة الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل، ومن تلك الجهود، اغتنامهم فرصة اشتغال علي وأنصاره بتجهيز النبي (ص)، وعقد مؤتمر السقيفة الطاريء، واختيار من يرضونه وترتاح نفوسهم إليه وتُعقد آمالهم عليه، ثم حمل الناس عامة على البيعة بالتهديد والتنديد والوعد والوعيد، ثم إقصاء المعارضة كلياً عن الساحة السياسية، ثم الوقوف بحزم وصرامة ضدّ كل من تحدّثه نفسه بشقّ عصا الطاعة أو شكك في شرعية الخلافة الجديدة، ولو كانت فاطمة بنت النبي (ص).

ثم ضرب الحصار والمنع البات على الأحاديث النبوية الشريفة عامة، حتى لا تنفّس النصوص بين الناس وتضطرب الأمور، ولو أدى ذلك للاغتيال الفردي والقتل الجماعي لإخماد المعارضة بدعوى القضاء على الفتنة مرة والردة أخرى.

مركز تحقيق مكتبة نور

كل ذلك عرفناه من خلال ما كتبه المؤرخون، وإن كان بعضهم يحاول تغطية الحقيقة بوضع بعض الروايات المتناقضة أو بعض التأويلات والاعتذارات التي كشفت خفاياها الأيام والأحداث والأبحاث.

وقد يكون بعضهم معذوراً، لأنه أخذ معلوماته من المصادر الأولى التي كتبت تحت التأثير السياسي والاجتماعي الذي خلفته الفتنة الكبرى وما أعقبها من أحداث عندما استولى بنو أمية على الخلافة وأغدقوا الأموال والمناصب على بعض الصحابة والتابعين المأجورين.

فأخذ بعض المؤرخين من هؤلاء لحسن ظنّه بهم، وهو لا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فاختلطت الروايات الصحيحة بالروايات المكذوبة، وأصبح من العسير على الباحث الوصول إلى الحقيقة.

ولتقريب القارئ الباحث من هذه الحقيقة، لا بدّ من إثارة وطرح هذه

الأسئلة، حتى يكتشف من خلالها أو من خلال الإجابة عليها بعض الحقائق أو بعض الإشارات التي توصله إلى الحقيقة.

أسئلة واجوبة لا غنى عنها لكل باحث

وردت عليّ رسائل عديدة من أقطار كثيرة تحمل في طيّها بعض التساؤلات المهمة والتي تنبئ عن حرص القراء الكرام لمزيد البحث والتنقيب عن الحقائق، وقد أجبت على البعض منها وأعرضت عن البعض الآخر غير مستخف بها ولكن لأنّ الجواب عليها موجود في كتابي «ثم اهتديت» و«لاكون مع الصادقين»، وتعميماً للفائدة فأنا أنشرها في هذا الفصل مع الأجوبة ومع الملاحظة بأنّ القارئ سيجدّ بعض الأحاديث والأحداث مكرّرة في الكتاب الواحد أو في الكتب الثلاثة، فقد تعمّدت ذلك اقتداءً بكتاب الله العزيز الذي يكرر الحادثة في عدة سور لترسخ في ذهن المؤمن ولتكون في متناول الجميع.

س 1: إذا كان الرسول يعلم ما سيؤول إليه أمر الأمة من الفزع والاختلاف بسبب الخلافة، فلماذا لم يعين خليفة له؟

* ج: لقد عيّن صلى الله عليه وآله وسلم خليفة له بعد حجة الوداع وهو علي بن أبي طالب وأشهد على ذلك صحابته الذين حجّوا معه، وكان يعلم بأنّ الأمة ستفترق به وتنقلب على أعقابها.

س 2: كيف لم يسأل الرسول أحد من أصحابه عن هذا الأمر وقد كانوا يسألونه عن كل شيء؟

* ج: لقد سأله وأجاب: قال تعالى: ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله﴾ [آل عمران: 154]. وسأله وقال: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [المائدة: 56]. وسأله فقال: ﴿إن هذا أخي ووصي وخليفتي من بعدي﴾⁽¹⁾.

(1) تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير في باب وإنذر عشيرتك الأقربين.

س 3: لماذا عارض بعض الصحابة رسول الله حين أراد أن يكتب لهم كتاباً يعصمهم من الضلالة بعده، وقالوا بأنه يهجر؟

* ج: لقد عارض بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين أراد أن يكتب لهم ما يمنعهم من الضلالة واتهموه بالهجر، لما عرفوا بأنه يريد تعيين علي بن أبي طالب كتابياً، لأنه سبق أن قال لهم في حجة الوداع بأن المتمسك بالكتاب والعتره لن يضل بعده أبداً، ففهموا بأن مضمون الكتاب سيكون بنفس الألفاظ، لأن علياً هو سيد العتره وإنما اتهموه بالهجر ليعدل عن الكتابة نهائياً ولأن النزاع والخلاف قام حول الكتاب قبل كتابته، وإذا كان النبي يهجر (حسب اعتقادهم) فإن كتابه سيكون هدياناً. فالحكمة تقتضي عدم الكتابة.

س 4: لماذا لم يصر على كتابة الكتاب خصوصاً وأنه يعصم الأمة الإسلامية من الضلالة؟

* ج: لم يكن في وسع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يصر على الكتابة، لأن العصمة من الضلالة قد انتفت لموافقة الكثير من الصحابة على أنه يهجر، فأصبح الكتاب هو مصدر ضلالة بدلاً أن يكون عاصماً منها، ولو أصر النبي (ص) على كتابته لقامت بعده دعاوى باطلة قد تشكك حتى في كتاب الله ونصوص القرآن.

س 5: لقد أوصى النبي قبل موته بثلاث وصايا شفووية فلماذا وصلت إلينا وصيتان وضاعت الوصية الثالثة؟

* ج: الأمر واضح في أن الوصية الأولى هي التي ضاعت لأنها تخص استخلاف علي - ولأن الخلافة التي قامت منعت الحديث عنها، وإلا كيف يصدق عاقل أن يوصي النبي فتنسى وصيته كما ذكره البخاري.

س 6: هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم بموعد موته؟

* ج: لا شك بأنه كان يعلم مسبقاً بموعد وفاته في الوقت المعلوم وقد علم بذلك قبل خروجه لحجة الوداع. ومن أجل ذلك سماها حجة

الوداع وبذلك علم أكثر الصحابة دنو أجله.

س 7: لماذا جهّز النبي جيشاً عبّاً فيه وجوه المهاجرين والأنصار من كبار الصحابة وأمرهم بالمسير إلى مؤتة بفلسطين قبل وفاته بيومين؟

ج: عندما علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمؤامرة التي دبرتها قريش وأنهم تعاقدوا على نبذ العهد بعده وإبعاد علي عن الخلافة، عمد إلى تعبئة هؤلاء ليبعدهم عن المدينة وقت وفاته فلا يرجعون إلا وقد استتب الأمر لخليفته، فلا يقدرّون بعدها على تنفيذ مخططهم وليس هناك تفسيراً مقبولاً غير هذا لسرية أسامة، لأنه ليس من الحكمة أن يُخلى النبي (ص) عاصمة الخلافة من الجيش والقوة قبل وفاته بيومين فقط.

س 8: لماذا لم يُعيّن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً في جيش أسامة؟

ج: لأنه لا ينبغي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب إلا ويترك خليفة ليدبر الأمور بعده، وبما أنه لم يُعَيَّن علياً ضمن ذلك الجيش الذي عبّاً فيه وجوه المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، فذلّ هذا التصرف الحكيم بأن علياً هو الخليفة بعد النبي (ص) مباشرة، ولأن الذين لم يُعَيِّنهم رسول الله في الجيش ليس فيهم من يطمع في الخلافة ولا من يبغض علياً ويريد الغدر به.

س 9: لماذا أمر عليهم شاباً صغيراً لا نبات بعارضيه؟

ج: لما كان الحاسدون والغادرون لعلي يتذرّعون بصغر سنّه وأنّ عظماء قريش الذين بلغوا السّتين لا يتقادون لعلي وعمره ثم يُجاوز الثلاثين إلا قليلاً - فأمر عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسامة وعمره سبعة عشر - لا نبات بعارضيه وهو من الموالى ليا لأعناقهم وإرغاماً لأنوفهم، كي يُبين لهم أولاً ولكل المسلمين ثانياً بأن المؤمن الصادق في إيمانه يجب عليه أن يسمع ويُطيع ولو وجد في نفسه حرجاً ممّا قضى الرسول (ص) ويسلم تسليمًا - وأين أسامة بن زيد بن حارثة من علي بن أبي طالب أمير المؤمنين

وسيد الوصيين باب علم النبي (ص) وأسد الله الغالب وهارون محمد (ص) ولذلك تفضلوا إلى تدبيره صلى الله عليه وآله وسلم في تأميره أسامة عليهم فطعنوا في إمارته ورفضوا الخروج معه والتخلف عنه ولا ننسى أن فيهم الذممة الذين قال في حقهم القرآن الكريم: ﴿وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال﴾ [إبراهيم: 46].

س 10: لماذا اشتد غضب النبي (ص) على المتخلفين منهم حتى لعنهم؟

* ج: لقد اشتد غضبه صلى الله عليه وآله وسلم عليهم لما علم أنهم طعنوا في تأميره، فالتعن موجه إليه لا إلى أسامة وتحقق بذلك عنده عدم إيمانهم وإخلاصهم لله ولرسوله (ص) وأنهم عازمون على تنفيذ مخططاتهم كلفهم ذلك ما كلفهم عند ذلك أطلق لعنته الأخيرة على المتخلفين ليفهمهم وأتباعهم والمسلمين كافة بأن الأمر قد بلغ منتهاه ليهلك من هلك عن بينة.

س 11: هل يجوز لعن المسلم خصوصاً من النبي (ص)؟

* ج: إذا كان الإسلام هو التلفظ بالشهادتين بأن يقول الإنسان أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم لا يمثل إلى أوامرهما ولا يسمع ولا يطيع لله وللرسول (ص) فيجوز لعنه، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة نذكر منها قوله تعالى: ﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ [البقرة: 159].

وإذا كان الله يلعن من كتم الحق فما بالك بمن عاند الحق وعمل على إبطاله.

س 12: هل عين الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر ليصلي بالناس؟

* ج: من خلال الروايات المتناقضة نفهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يعين أبا بكر ليصلي بالناس، اللهم إلا إذا اعتقدنا ما قاله

عمر بن الخطاب في هجرانه، ومن اعتقد بذلك فقد كفر، وإلا كيف يصدق عاقل بأنه أمره ليصلي بالناس في حين أنه عبأه في جيش أسامة وجعل هذا الأخير أميراً عليه وإماماً له، وكيف يُعينه لإمامة الصلاة في المدينة وهي خالية منه، والتاريخ يشهد بأنه لم يكن حاضراً في المدينة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. والثابت كما ذكر بعض المؤرخين الذين روى عنهم ابن أبي الحديد، بأن علياً عليه السلام اتهم عائشة بأنها هي التي أرسلت إلى أبيها ليصلي بالناس ولما علم النبي (ص) بذلك غضب وقال لها: «إنكن صواحب يوسف» وخرج إلى المسجد فأزاح أبا بكر وصلى بهم صلاة المضطرين لثلاث يترك لهم حجة بعد ذلك.

س 13: لماذا أقسم عمر بن الخطاب بأن رسول الله لم يمت، وتهدد كل من يقول بموته بالقتل، ولم يهدأ إلا بوصول أبي بكر؟

ج: لقد هدّد عمر بالقتل كل من حاول أن يقول بموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليشتكهم ويتركهم في حيص بيص حتى لا تتم بيعة علي، وحتى يصل إلى المدينة أبطال المعارضة الذين تعاقبوا على الأخذ بزمام الأمور والذين لم يصلوا بعد فوجد نفسه قد سبقهم فلعب دور المصاب بالذهول وسل سيفه فخوف الناس، ولا شك بأنه منع الناس الدخول إلى الحجرة النبوية ائتمتوا الأمر، وإلا لماذا لم يجرؤ أحد على الدخول إلا أبو بكر عندما وصل دخل وكشف عن وجهه وخرج ليقول لهم «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت».

ولا بد لنا هنا من تعلية صغيرة على هذا القول. فهل كان أبو بكر يعتقد بأن في المسلمين من يعبد محمداً؟ كلاً وإنما هو تعبير مجازي على شتم وانتقاص بني هاشم عامة وعلي بن أبي طالب خاصة الذين كانوا يفخرون على سائر العرب بأن محمداً رسول الله منهم وهم أهله وعشيرته وأحق الناس به.

وهو أيضاً تعبير عما أفصح به عمر بن الخطاب يوم رزية الخميس

عندما قال: «حسبنا كتاب الله يكفيننا» ولسان حاله يقول: لا حاجة لنا بمحمد فقد انتهى أمره وولّى عهده، وهذا بالضبط ما أكّده أبو بكر بقوله: من كان يعبدُ محمداً فإنه قد مات، ويعني بذلك: يا من تفتخروا علينا بمحمد تأخروا اليوم فإنه انتهى أمره وحسبنا كتاب الله فإنه حي لا يموت. ومن الملاحظ أن علياً وبني هاشم كانوا يعرفون أكثر من غيرهم حقيقة النبي (ص) وكانوا يُبالغون في احترامه وتقديسه وتنفيذ أوامره، وأتبعهم على ذلك الموالى من الصحابة والذين كانوا غرباء عن قريش وكانوا إذا بَصُق رسول الله بصفة تسارعوا إليها ليمسحوا بها وجوههم ويتخاصمون على فضل وضوئه أو على شعره، وكل هؤلاء المساكين والمستضعفين كانوا شيعة لعلي من زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم وهو الذي سمّاهم بهذا الاسم^(١).

أما عمر بن الخطاب وبعض الصحابة من سراة قريش فكانوا كثيراً ما يُعارضوا أحكام النبي (ص) ويُناقشونه ويعصونه، بل ويُنزّهون أنفسهم عن أفعاله^(٢). وقد قطع عمر بن الخطاب شجرة بيعة الرضوان لأن بعض الصحابة كانوا يتبركون بها - كما فعل الوهابيون في هذا القرن فإنهم محوا آثار النبي صلى الله عليه وآله وسلّم من الوجود، وحتى البيت الذي وُلد فيه لم يتركوه، وهم يحاولون الآن بكل جهودهم وأموالهم أن يمنعوا المسلمين من الاحتفال بذكرى مولده الشريف. ومن التبرّك به وبالصلاة عليه حتى أفسوا لدى المغفلين بأن الصلاة الكاملة هي شرك.

س 14: لماذا اجتمع الانصار في سقيفة بني ساعدة سراً؟

• ج: لما علّم الانصار بالمؤامرة التي دبرتها قريش لإبعاد علي عن الخلافة، اجتمعوا عند وفاة الرسول (ص) وأرادوا إبرام الأمر فيما بينهم على أن يكون الخليفة منهم، فإذا كان زعماء قريش وهم المهاجرون من قرابة

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي في سورة البيّنة.

(٢) صحيح البخاري ج 3 ص 114 كتاب المظالم باب الاشتراك في الهدى.

الرَّسُولَ وَعَشِيرَتَهُ يَرِيدُونَ نَقْضَ الْبَيْعَةِ لِعَلِيٍّ، فَالْأَنْصَارُ أُولَى بِالْخِلَافَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ قَامَ بِحَدِّ سَيُوفِهِمْ وَأَنَّ الْمُهَاجِرِينَ عِيَالٌ عَلَيْهِمْ وَلَوْلَا أَنَّهُمْ فَتَحُوا بِلَادَهُمْ وَمَنَازِلَهُمْ وَكُلَّ مَا يَمْلِكُونَ لَمَا كَانَ لِلْمُهَاجِرِينَ ذِكْرٌ وَلَا فَضْلٌ، وَلَوْلَا وَجُودُ الْخِلَافِ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخِزْرَجِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَنَافَسُونَ عَلَى الزَّعَامَةِ وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَرِيدُهَا لِقَبِيلَتِهِ، لَمَا وَجَدَ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ فُرْصَةً لِأَخْذِ الْخِلَافَةِ مِنْهُمْ وَلِإِضْطِرَّاءٍ لِمَتَابَعَتِهِمْ.

س 15: لماذا أسرع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة إلى السقيفة وفاجؤوا الأنصار؟

* ج: لَمَّا كَانَ لِلْمُهَاجِرِينَ - أَعْنِي زَعَمَاءَ قُرَيْشٍ - أَعْيُنٌ تَرَأَوْنَ تَحَرُّكَاتِ الْأَنْصَارِ وَمَا يَدُورُ مِنْ تَدْبِيرِهِمْ، فَقَدْ أَسْرَعَ أَحَدُهُمْ وَهُوَ سَالِمُ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ وَأَعْلَمَ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ بِالِاجْتِمَاعِ السَّرِيِّ فَاسْرَعُوا إِلَى السَّقِيفَةِ لِيَفْسِدُوا عَلَى الْأَنْصَارِ تَخْطِيطَهُمْ وَمَا أُرْمَوْهُ وَلِيَفَاجِئُوهُمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ بِكُلِّ مَا يَحْدُثُ فِي غِيَابِهِمْ.

س 16: لماذا كان عمر بن الخطاب طوال الطريق يُهَيِّئُ مَقَالَةً لِإِقْنَاعِ الْأَنْصَارِ؟

* ج: لَا شَكَّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَخْشَى رَدَّ فِعْلِ الْأَنْصَارِ، كَمَا يَخْشَى أَنْ لَا يُوَافِقَ الْأَنْصَارُ عَلَى إِبْعَادِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَيُسَبِّبَ ذَلِكَ هَدْمَ كُلِّ مَا خَطَّطُوهُ وَدَبَّرُوهُ وَتَذَهَبَ جُهُودُهُمْ أَدْرَاجَ الرِّيحِ بَعْدَمَا تَجَرَّؤُوا عَلَى النَّبِيِّ نَفْسَهُ وَأَفْسَدُوا كُلَّ تَدْبِيرِهِ مِنْ أَجْلِ الْخِلَافَةِ وَلِذَلِكَ كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي طَرِيقِهِ لِلْسَّقِيفَةِ يَزُورُ مَاذَا سَيَقُولُهُ لَهُمْ حَتَّى يَكْسِبَ تَأْيِيدَهُمْ وَمُوَافَقَتَهُمْ عَلَى الْمَخْطُوطِ.

س 17: لماذا انتصر المهاجرون على الأنصار وسلّموا الأمر لابي بكر؟

* ج: هُنَاكَ عِدَّةُ عَوَامِلَ لَعَبَتْ دَوْرَهَا فِي هَزِيمَةِ الْأَنْصَارِ وَفُوزِ الْمُهَاجِرِينَ فَقَدْ كَانَ الْأَنْصَارُ قَبِيلَتَيْنِ مُتَنَافِسَتَيْنِ عَلَى الزَّعَامَةِ مِنْذُ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ وَسَكَنْتَ فُورَتُهُمْ بِوُجُودِ الرَّسُولِ (ص) بَيْنَهُمْ، أَمَّا وَالرَّسُولُ (ص) قَدْ

مات وقومُه يريدون اغتصاب الخلافة من صاحبها الشرعي، فثار الأوس يُرشحون لها زعيمهم سعد بن عبادَة، ولكن بشير بن سعد وهو زعيم الخزرج حسد ابن عمه وأيقن أنه لا يصلُ إلى الخلافة وسعد بن عبادَة موجود، فنفض أمر الأنصار وانضمَّ إلى صفِّ المهاجرين ومثل دور النَّاصح الأمين.

كما أن أبا بكر أثار فيهم النُّعرة الجاهلية وضرب على الوتر الحساس بقوله: لو سلَّمنا هذا الأمر للأوس فلن ترض الخزرج، وإذا سلَّمناه للخزرج فلن ترض الأوس - ثم إنه أطعمهم بأن يقاسمهم الحكومة بقوله: نحن الأمراء وأنتم الوزراء ولا نستبد عليكم بالرأي أبداً.

ثم أنه بذكاء لعب دور النَّاصح الأمين للأمة إذ أخرج نفسه وأظهر زهده في الخلافة وأنه لا يرغبُ فيها بقوله: اختاروا من شئتم من هذين الرجلين يعني عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة عامر بن الجراح.

وكانت الخطة محكمة والمسرحية ناجحة، فقال عمر وأبو عبيدة: لا ينبغي لنا أن نتقدَّم عليك وأنت أولنا إسلاماً وأنت صاحب في الغار فابسط يدك نبائعك، فبسط أبو بكر يده لهذه الكلمات، فسبق إلى بيعته بشير بن سعد سيد الخزرج وتتابع الباقيون إلا سعد بن عبادَة.

س 18: لماذا امتنع سعد بن عبادَة عن البيعة وهذَّده عمر بالقتل؟

* ج: عندما بايع الأنصار وتسبقوا إلى أبي بكر لينالوا بذلك الجاه والقُربى من الخليفة، امتنع سعد بن عبادَة عن البيعة وحاول جهده منع قومه عنها ولكنه عجز عن ذلك لشدة مرضه إذ كان طريح الفراش ولا يُسمع صوته، عند ذلك قال عمر: اقتلوه إنه صاحب فتنة ليقلع بذلك دابر الخلاف ولئلا يتخلف عن البيعة أحد، لأنه سيشق عصا المسلمين ويتسبب في انقسام الأمة وخلق الفتنة.

س 19: لماذا هذَّدوا بيت فاطمة الزهراء بالحرق؟

* ج: لقد تخلف عدد كبير من الصحابة الذين لم يبايعوا أبا بكر في

بيت علي بن أبي طالب، ولو لم يُسارع عمر بن الخطاب وطوق الدار بالحطب وهذّدهم بالحرق، لاستفحل الأمر وانشقت الأمة إلى حزبين علوي وبكري، ولكنّ عمر ومن أجل فرض الأمر الواقع ذهب شوطاً بعيداً عندما قال: لتخرجنّ للبيعة أو لأحرّقنّ الدار بمن فيها، ويقصد علياً وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبهذا القول لا يبقى في الناس أحد تسوّل له نفسه شقّ عصا الطاعة وعدم الدخول في البيعة، فأَي حُرمة له أكبر من حرمة سيدة نساء العالمين وزوجها سيّد الوصيّين؟

س 20: لماذا سكّت أبو سفيان بعدما هذّدهم وتوعّدهم؟

* ج: لما رجع أبو سفيان للمدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان أرسله لجمع الصدقات، فوجيء بخلافة أبي بكر وأسرع إلى دار علي بن أبي طالب وحرضه على الثورة وعلى حرب الجماعة واعداء إياه بالمال والرجال، ولكنّ علياً طرده لعلّهم بنواياه ولما علم أبو بكر وعمر بذلك ذهبوا إليه واستمالاه ووعدها بإعطائه كل ما جمعه من الصدقات وبإشراكه في الأمر بتعيين ابنه والياً على الشام - فرضي أبو سفيان بذلك وسكّت عنهم. فعتنوا يزيد بن أبي سفيان والياً على الشام ولما مات عتّنوا أخاه معاوية بن أبي سفيان مكانه ومكّنوه من الوصول إلى الخلافة.

س 21: هل رضي الإمام علي بالأمر الواقع وببايع الجماعة؟

* ج: لا أبداً لم يرض الإمام علي بالأمر الواقع ولم يسكّ، بل احتجّ عليهم بكل شيء ولم يقبل أن يبائعهم رغم التهديد والوعيد، وذكر ابن قتيبة في تاريخه بأنّ علياً قال لهم: والله لا أبائعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، وحمل زوجته فاطمة الزهراء يطوف بها على مجالس الأنصار فكانوا يعتذرون بأنّ أبا بكر سبق إليهم - وقد ذكر البخاري بأنّه لم يبائع مدة حياة فاطمة، فلما توفيت واستنكر وجوه الناس اضطّر لمصالحة أبي بكر، وقد

عاشت فاطمة ستة أشهر بعد أبيها، فهل ماتت فاطمة وليس في عنقها بيعة وأبوها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: من مات وليست في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. وهل كان علي يعلم بأنه سيعيش إلى ما بعد أبي بكر فيتأخر عن بيعته تلك الشهور الستة؟ فعلي لم يسكت وبقي طيلة حياته كلما وجد فرصة إلا وأثار مظلمته واغتصاب حقه ويكفي دليلاً على ذلك ما قاله في خطبته المعروفة بالشفقة.

س 22: لماذا اثاروا فاطمة واغضبوها بينما هم في حاجة إلى المصالحة؟

* ج: لقد تعمّدوا إثارة فاطمة بانتزاع أرضها وممتلكاتها ومنعها ميراث أبيها وتكذيبها في كل دعواها حتى يسقطوا بذلك هيبتها وعظمتها من نفوس الناس وحتى لا يصدقوها. إذا ما أثارت نصوص الخلافة، ولذلك اعتذر الانصار إليها بأن بيعتهم سبقت لأبي بكر ولو سبق إليهم زوجها لما تخلّفوا عنه.

ولذلك اشتد غضبها على أبي بكر وعمر حتى صارت تدعو عليهما في كل صلاة تصلّيها، وأوصت زوجها بأن لا يحضر جنازتها أحد منهما وأن يجنبها تلك الوجوه التي تكرهها.

وقد تعمّدوا إيذاءها ليشعروا علياً بأنه أهون عليهم من ابنة النبي التي هي سيدة نساء العالمين والتي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، فما عليه إلا السكوت والرضا.

س 23: لماذا تخلّف عن سرية أسامة عظماء القوم؟

* ج: لما استتب الأمر لأبي بكر وأصبح خليفة المسلمين بجهود عمر رغم أنوف المعارضين، طلب من أسامة أن يترك له عمر بن الخطاب ليستعين به على أمر الخلافة، لأنه لا يقدر على إتمام المخطط بمفرده ولا بدّ له من العناصر الفعالة الذين لهم من القوة والجسارة ما عارضوا بها رسول

الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ولم يبالوا بغضب الله ولا بلعن النبي (ص) لمن تخلف عن بعث أسامة ممن عبأهم بنفسه، ولا شك بأن المخططين لهذا الأمر تخلفوا عن السرية ليبرموا أمرهم ويتعاونوا على تركيز قوايدهم.

س 24: لماذا أبعد الإمام علي عن كل مسؤولية ولم يشركوه في شيء؟

ج: بالرغم من أنهم قربوا عدداً كبيراً من الطلقاء وأعطوهم المناصب في حكومتهم وأشركوهم في أمرهم، وعينوا منهم أمراء وولاة في كل الجزيرة العربية وفي كل الأقطار الإسلامية ومن هؤلاء الوليد بن عتبة ومروان بن الحكم ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأبو هريرة وكثيرون من الذين كانوا يجرعون رسول الله (ص) الغصص إلا أنهم أبعدوا علي بن أبي طالب فنبذوه وتركوه حبيس داره ولم يشركوه في شيء من أمرهم طيلة ربع قرن ليذلّوه ويحقروه ويبعدوا الناس عنه لأن الناس عبيد الدنيا يميلون مع صاحب السلطة والجاه والمال وما دام علي لا يجد قوت يومه إلا بكسب يمينه وعرق جبينه فسيترك الناس عنه ولا يميلون إليه.

وفعلوا فقد بقي علي سلام الله عليه على تلك الحالة مدة خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان رهين البيت يعمل الجميع على تحقيره وإطفاء نوره وإخفاء فضائله ومناقبه، وليس له من حطام الدنيا ما يرغب الناس فيه.

س 25: لماذا حاربوا مانعي الزكاة رغم تحريم النبي (ص) لذلك؟

ج: لأن بعض الصحابة الذين حضروا بيعة الإمام علي في غدير خم وهم راجعون من حجة الوداع بصحبة النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم امتنعوا عن أداء الزكاة لأبي بكر، لأنهم لم يحضروا وفاة النبي (ص) ولا الأحداث التي أعقبتها في شأن تبديل الخلافة من علي لأبي بكر، لأنهم لا يسكنون المدينة، ولا شك بأن بعض الأخبار وصلت إليهم بأن فاطمة

تخاصمت معهم وغضبت عليهم وبأن علياً امتنع عن بيعتهم - لكل ذلك رفضوا إعطاء الزكاة لأبي بكر حتى يتبينوا الأمر.

ومن هنا قرّر أبو بكر وعمر وجهاز الحكم أن يبعثوا إليهم جيشاً بقيادة خالد بن الوليد الذي كان سيفهم المسلول، فأحمد ثورتهم وأسكت حسهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم وذرايرهم، ليكونوا عبرة لمن تحدّثه نفسه بعدم الطاعة أو بمسّ هيبة الدولة.

س 26: لماذا منعوا تدوين ونقل الأحاديث النبوية؟

* ج: عملوا من الأيام الأولى على منع الأحاديث النبوية جملة وتفصيلاً، ليس فقط لأنها تتضمن نصوص الخلافة وفضائل الإمام علي بل لأن الكثير منها يتعارض مع أقوالهم وأفعالهم التي يدبرون بها شؤون الحياة ويركزون على أسسها معالم الدولة الجديدة التي ابتدعوها وفق اجتهاداتهم.

س 27: هل كان أبو بكر قادراً على تحمل أعباء الخلافة؟

* ج: لم يكن أبو بكر قادراً على تحمل أعباء الخلافة لولا عمر بن الخطاب وبعض الدّعاة من رؤوس بني أمية - ولقد سجّل التاريخ بأن أبا بكر كان دائماً يخضع إلى أحكام وآراء عمر بن الخطاب الحاكم الفعلي ودليل ذلك قصة المؤلّفة قلوبهم الذين جاؤوا لأبي بكر في بداية خلافته وكتب لهم كتاباً وبعثهم إلى عمر الذي كان بيده أمر بيت المال فمزق عمر الكتاب وطردهم، فرجعوا إلى أبي بكر يسألونه: أأنت الخليفة أم هو؟ فأجابهم: هو إن شاء الله!

وكذلك عندما أقطع أبو بكر قطعة أرض إلى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس، فرفض عمر عندما قرأ كتاب أبي بكر وتفل فيه ومحا، فرجعا إلى أبي بكر يتذمّران ممّا فعله عمر وقالوا لأبي بكر: والله ما ندري أأنت الخليفة أم عمر؟ فقال: بل عمر هو الخليفة، ولما أقبل عمر مغضباً وناقش أبا بكر على إعطائه الأرض بكلام غليظ، قال له أبو بكر: ألم أقل لك إنك أقوى

منّي على هذا الأمر لكنك غلبتني^(١).

وقد أخرج البخاري في صحيحه بأن عمر كان يحث الناس على بيعة أبي بكر فيقول لهم: إن أبا بكر صاحب رسول الله ثاني اثنين وإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه قال أنس بن مالك: سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: أصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه الناس عامة.

س 28: لماذا عقد أبو بكر الخلافة وعهد بها إلى عمر قبل وفاته؟

ج: بما أن عمر بن الخطاب هو الذي لعب الدور البطولي في إقصاء علي عن الخلافة بمعارضته العنيفة للنبي (ص) أولاً وبحمل الأنصار على بيعة أبي بكر وفرضها على الناس بكل حزم وشدة حتى وصل به الأمر إلى تهديد بيت فاطمة بالحرق.

وبما أنه كان هو الخليفة الفعلي كما قدّمنا فكانت له الكلمة الأولى والأخيرة ولا شك بأنه كان من دُعاة العرب فعلم بأن المسلمين وخصوصاً الأنصار لا يُوافقون على بيعته لطبعه الغليظ وسرعة غضبه، فعمل على تقديم أبي بكر لهم لأن في طبعه ليناً ورقة وهو أسبقهم للإسلام وابنته عائشة هي المرأة الجريئة القادرة على ركوب الصعاب وتغيير الأمور، وهو يعلم علم اليقين بأن أبا بكر طوع يديه ورهن إشارته في كل ما يصبو إليه.

ولم يكن عهد أبي بكر بالخلافة لعمر يخفى على كثير من الصحابة من قبل كتابته، فقد قال له الإمام علي منذ اليوم الأول: أحلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم ليرده عليك غداً، كما قال آخر لعمر عندما خرج بالكتاب الذي عهد فيه أبو بكر قال له: أنا أعرف ما فيه إنك أقرته عام أول وأمرك هذا العام.

(١) العسقلاني في كتابه الإصابة في معرفة الصحابة «ترجمة عيينة» وابن أبي الحديد في شرح النهج ج 12 ص 108.

فعهد أبي بكر لعمر بالخلافة أمرٌ معلوم لدى عامة الناس، وإذا كان في حياته يعترف له أمام الجميع بأنه أقوى منه على هذا الأمر فلا غرابة أن يسلم له مقاليد الخلافة عند الموت.

وبهذا يتبين لنا مرة أخرى بأن ما يقوله أهل السنة بأن الخلافة لا تكون إلا بالشورى أمرٌ ليس له وجود، وليس له في خيال أبي بكر وعمر أي اعتبار، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توفي وترك الأمر شورى بين الناس كما يزعمون، فإن أبا بكر هو أول من هدم هذا المبدأ، وخالف سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعهد له عمر بن الخطاب من بعده.

وأهل السنة دائماً تراهم يتبحّجون بكل فخر واعتزاز على أنهم يؤمنون بالشورى ولا تصلح الخلافة إلا بها، ويسخرون من قول الشيعة الذين يعتقدون بأنها لا تكون إلا بالنص من الله ورسوله (ص)، وتسمع أغلبهم ينتقد هذا الاعتقاد على أنه دخيل على الإسلام من قبل الفرس الذين يقولون بوراثنة السلطة الإلهية.

وكثيراً ما يستدل أهل السنة بآية «وأمرهم شورى بينهم» على أنها نازلة بخصوص الخلافة - وعلى هذا فيحق لنا بأن نقول: إن أبا بكر وعمر خالفا الكتاب والسنة معاً ولم يُقيما لهما وزناً في شأن الخلافة.

س 29: لماذا اشترط عبد الرحمن بن عوف على علي بن أبي طالب أن يحكم بسنة الخلفيتين؟

* ج: من هوان الدنيا على الله أن يصبح عبد الرحمن بن عوف هو الذي يتحكم بمصير الأمة بعد عمر فيختار لهم من يشاء ويُقصي من يشاء كل ذلك من تدبير عمر الذي رجح كفته على بقية الصحابة، وعبد الرحمن بن عوف هو الآخر من دهاة العرب، ولا شك بأنه من أعضاء الحزب المخطط للخلافة وصرفها عن صاحبها الشرعي وإذا كان البخاري

يعترف بأن عبد الرحمن بن عوف كان يخشى من عليّ شيئاً^(١)، فمن الطبيعي أن يعمل هو الآخر على إبعاده عنها ما استطاع لذلك سبيلاً. وعبد الرحمن بن عوف يعرف كغيره من الصحابة بأنّ عليّاً لم يكن يوافق على اجتهادات أبي بكر وعمر وما غيراه من أحكام الكتاب والسنة، وكان يحاول جهده معارضتهما والإنكار عليهما.

لذلك اشترط عبد الرحمن على علي أن يحكم بسنة أبي بكر وعمر وهو يعلم مسبقاً أكثر من غيره بأنّ عليّاً لا يداهن ولا يكذب ولا يقبل بذلك الشرط أبداً. كما كان يعلم بأنّ صهره عثمان هو الذي تراتح إليه قريش وكل أعضاء المخطط.

س 30: حديث الأئمة الاثني عشر، هل له وجود عند اهل السنة؟

* ج: أخرج البخاري ومسلم وكل المحدثين من أهل السنة حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(٢) وبقي هذا الحديث من الألغاز العويصة التي لا جواب لها عند أهل السنة والجماعة ولم يجرؤ أحد من علمائهم أن يعدّ بعد الخلفاء الراشدين الأربعة سوى عمر بن عبد العزيز وهؤلاء خمسة ويبقى من العدد سبعة لا وجود لهم.

فإما أن يقولوا بإمامة علي وبنيه الذين تقول بهم الإمامية ويصبحوا شيعة لأهل البيت النبوي - وإما أن يكذبوا الحديث وتصبح صحاحهم مجردة من الحق وليس فيها إلا الأكاذيب.

أضف إلى ذلك بأنّ هذا الحديث الذي يخصّص الخلافة في قريش وحدها يتنافى مع مبدأ الشورى الذي يقولون به، لأن الاختيار والديمقراطية تشمل كل أفراد الأمة ولا تختص بقبيلة معينة دون سائر القبائل الأخرى. بل

(١) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٢٣ باب كيف يبائع الناس الإمام من كتاب الأحكام.

(٢) صحيح البخاري ج ٨ ص ١٢٧ صحيح مسلم ج ٦ ص ٣.

يتعدى القبائل العربية إلى غيرها من القبائل الإسلامية الغير عربية .

هذه أجوبة سريعة ومختصرة لتوضّح للقارئ بعض المسائل التي قد تُخامر ذهنه، على أنه قد يجد إجابة مفصلة في كتب التاريخ وكذلك في كتابي «ثم اهتديت» و«لاكون مع الصادقين» .

فعلى الباحث أن يرجع إلى المصادر الموثوقة، وأن يتجرّد للحقيقة فيُمحصّ الروايات والأحداث التاريخية ليكتشف من خلالها الحقائق المكسوة بشباب الباطل فيجرّدها وينظر إليها في ثوبها الأصلي .



مركز تحقيقات علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتاب ویر علوم اسلامی

الفصل السابع

فيما يتعلق بالحديث الشريف

سأبين للقارئ بأن مشكلة الأحاديث هي من أكبر المشاكل التي يعيشها المسلمون اليوم وبالخصوص في الزمن الحاضر إذ تخرج من جامعات الوهابية دكاترة متخصصون في فنون الأحاديث فتراهم يحفظون من الأحاديث ما يتماشى مع مذهبهم وعقيدتهم وأغلب هذه الأحاديث هي من وضع الأمويين أسلافهم الذين كان همهم أيضاً إطفاء نور الرسالة وتصوير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك المخرف المهرج الذي لا يدري ما يقول ولا يتنبه إلى أحاديثه وأفعاله المتناقضة التي تضحك المجانين.

ورغم ما قام به المحققون والعلماء من أهل السنة لتتقية الأحاديث وغربلتها فما زال هناك للأسف الشديد داخل الكتب الصحيحة والمعتبرة الشيء الكثير، وكذلك لم تسلم كتب الشيعة من هذا الدس والوضع، ولكن هؤلاء يعترفون بأن ليس عندهم كتاباً صحيحاً إلا كتاب الله وما سواه فيه الغث والسمين أما أهل السنة فإنهم متفقون بأن الصحيحين البخاري ومسلم أصح الكتب بعد كتاب الله بل يقولون بأن كل ما جاء فيهما هو صحيح ومن أجل ذلك فسأحاول أن أضع بين يدي القارئ بعض النماذج من الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم والتي فيها ما فيها من الخط من قداسة الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم أو من أهل بيته عليهم السلام.

وسأحاول هنا طرح بعض الأحاديث التي وُضعت لتبرير أعمال الحكام الأمويين والعباسيين، وهم في الحقيقة يريدون النيل من خلالها بعصمة النبي (ص) لتبرير جرائمهم وقتلهم الأبرياء إليك ما يلي:

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يَخْتَلُ

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الاستئذان وفي كتاب الديات باب من أطلع في بيت قوم ففقؤوا عينه فلا دية له.

وكذلك مسلم في صحيحه في كتاب الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره. عن أنس بن مالك، أن رجلاً أطلع من بعض حُجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقام إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بمشقص، فكأنني أنظر إليه يَخْتَلُ الرجل ليطعنه.

إن الخلق العظيم يأبى هذا التصرف من نبي الرحمة الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، والمفروض أن يقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذا الرجل الذي أطلع على حجرة النبي ويعلمه الآداب الإسلامية ويفهمه بأن ما فعله حرام، لا أن يأخذ مشقصاً ويختله ليطعنه ويفقأ عينه، على أن الرجل قد يكون على حسن نية لأن الحجرة لم تكن حجرة أزواجه والدليل أن أنس بن مالك كان موجوداً فيها. فأي تهمة هذه توجه إلى رسول الله وتصوره بالفظ الغليظ الذي يَخْتَلُ أي يستغلل الرجل ليفقأ عينه.

وناهيك أن شارح البخاري استفظعها وقال ما نصه: «يَخْتَلُهُ أي يستغلله ويأتيه من حيث لا يراه، كذا قُروه - والاستغفال مستبعد منه صلى الله عليه وسلم».

النبي يعاقب عقاباً شنيعاً ويمثل بالمسلمين

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الطب من جزئه السابع ص 13 في باب الدواء بألبان الإبل وفي باب الدواء بأبوال الإبل. قال: حدثنا ثابت

عن أنس أن ناساً كان بهم سقم قالوا: يا رسول الله آوينا وأطعمنا فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يلحقوا براعيه يعني الإبل فيشربوا من ألبانها وأبوالها فلحقوا براعيه فشربوا من ألبانها وأبوالها حتى صلحت أبدانهم فقتلوا الراعي وساقوا الإبل فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبعث في طلبهم فجاء بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت.

هل يصدق مسلم أن رسول الله (ص) الذي ينهى عن المثلة يقوم هو بنفسه فيمثل بهؤلاء القوم فيقطع أيديهم وأرجلهم ويسمر أعينهم لأنهم قتلوا راعيه ولو قال الراوي بأن هؤلاء القوم مثلوا بالراعي لكان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عذر في المعاقبة بالمثل ولكن ذلك غير وارد وكيف يقتلهم رسول الله (ص) ويمثل بهم هذه المثلة بدون بحث وتحري منهم حتى يتبين من القاتل منهم فيقتله به. ولعل البعض يقول بأنهم شاركوا جميعاً في قتله، أفلم يكن في وسع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يعفو ويصفح عنهم لأنهم مسلمون بدليل قولهم: يا رسول الله، ألم يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قول الله تعالى له: ﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خيراً للصَّابرين﴾ [النحل: 126].

وإذا كانت هذه الآية نازلة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما احترق قلبه على عمه سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب الذي بقروا بطنه وأكلوا كبده وقطعوا مذاكيره اغتاز رسول الله عندما رأى عمه على تلك الحال وقال لئن مكنتي الله منهم لأمثلن بسبعين فنزلت عليه الآية فقال: «صبرت يا رب» وعفى عن وحشي قاتل عمه وهند التي مثلت بجسده الطاهر وأكلت كبده. وهذا هو خلق النبي (ص).

ومما يدل ذلك على فظاعة الرواية وأن الراوي نفسه استفظعها فأردف يقول: قال قتادة فحدثني محمد بن سيرين أن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود ليبرر فعل النبي (ص) بذلك فحاشى رسول الله أن يحكم من عند نفسه قبل

أن يبين له ربه وإذا كان في المسائل الصغيرة لا يحكم حتى ينزل عليه
الوحي فما بالك في الدماء والحدود؟

وأنه لمن اليسر جداً على من يتأمل في ذلك ليعرف إنها
روايات موضوعة من جهة الأمويين وأتباعهم ليرضوا بها الأحكام الذين لا
يتورعون عن قتل الأبرياء على الظن والتهمة ويمثلون بهم أشنع التمثيل
والدليل على ذلك ما جاء في ذيل الرواية نفسها التي أخرجها البخاري
يقول: قال سلام فبلغني أن الحجاج قال لانس حدثني بأشد عقوبة عاقبها
النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بهذا. فبلغ الحسن فقال وددت أنه لم
يحدثه بهذا^(١).

ويُشَمُّ من الرواية رائحة الوضع لإرضاء الحجاج الثقفي الذي عاث
في الأرض فساداً وقتل من شيعة أهل البيت آلاف الأبرياء ومثل بهم فكان
يقطع الأيدي والأرجل ويسمل الأعين ويخرج الألسن من القفا ويصلب
الأحياء حتى يحترقوا بالشمس. ومثل هذه الرواية تبرر أعماله فهو إنما
يقتدي برسول الله ولكم في رسول الله أسوة حسنة - فلا حول ولا قوة إلا بالله

ولذلك تفنن معاوية في التكيل والتُمثيل بالمسلمين الذين كانوا شيعة
لعلي فكم أحرق بالنار وكم دفن أحياء وكم صلب على جذوع النخل ومن
الفنون التي ابتكرها وزيره عمرو بن العاص أنه مثل بمحمد بن أبي بكر
وإبسه جلد حمار وقذف به في النار.

ولتبرير مجونهم وكثرة شغفهم بالجواري والنساء إليك ما يلي :

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب الجماع

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الغسل باب إذا جامع ثم عاد
ومن دار على نسائه في غسل واحد.

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ١٣.

قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار ومن إحدى عشرة. قال قلت لأنس: أو كان يطبقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين...

إنها رواية موضوعة للنيل من عظمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى يبرروا بلاط الرشيد وأفعال معاوية ويزيد الماجن! ومن أين لأنس بن مالك أن يعرف بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة فهل أعلمه الرسول بذلك أم أنه كان حاضراً؟ أعوذ بالله من قول الزور، ومن أين له أنه أعطي قوة ثلاثين؟

إنها جنابات بحق رسول الله (ص) الذي قضى حياته جهاداً وعبادة وتديساً وتعليماً لأُمَّته.

وماذا يعتقد هؤلاء الجهلة عندما يروون مثل هذه الخزايات وكأنهم وحسب عقلياتهم المتنجسة بالشهوات البهيمية أنهم كانوا يفتخرون على أترابهم بكثرة الجماع وقوة النكاح وفي الحقيقة فهي روايات وضعت للنيل من قدسية النبي (ص)، وثانياً لتبرير مجون الحكام والخلفاء الذين امتلأت قصورهم بالجواري والنساء بلا حدود لأنها ملك يمين وماذا يقول أنس بن مالك راوي هذا الحديث إذا ما عارضته أم المؤمنين عائشة زوج النبي (ص) والتي كانت تقول بأنه صلى الله عليه وآله وسلم كغيره من الرجال في شأن الجماع، فقد أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الطهارة في باب نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين.

عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن أم كلثوم عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجامع أهله ثم يُكْبِلُ هل عليهما الغُسلُ؟ وعائشة جالسة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل.

ثم يضيف شارح الحديث على هامش صحيح مسلم قوله: ثم يكبل معناه في المصباح أكسل المجامع بالالف إذا نزع ولم ينزل ضعفاً كان أو غيره. فأين هذا من أنه أعطي قوة ثلاثين؟

وهذه الرواية هي الأخرى من وضع الرضاعين قاتلهم الله وضاعف لهم العذاب الأليم، وإلا كيف يقبل عاقل مثل هذه الروايات عن صاحب الرسالة الذي ذهب عنه الحياء فيقول للرجال بحضرة زوجته ما يستحي المؤمن العادي أن يقول مثله.

ولتبرير الغناء والرقص الذي اشتهر في عهد الامويين إليك ما يلي

الرسول يتفرج على الرقص ويستمتع للغناء.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب ضرب الدف في النكاح والوليمة قال:

حدثنا بشر بن المفضل حدثنا خالد بن ذكوان قال: قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حين بُني علي فجلس على فراشي كمجلسك مني فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن: وفيما نبي يعلم ما في غد فقال: دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين.

كما روى البخاري في صحيحه من كتاب الجهاد باب الدرق وكذلك مسلم في صحيحه في كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه).

عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بُعث فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا.

وعن عائشة قالت: كان يوم عيد يلعبُ السودان بالذرق والحراب فلما سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم فأقامني وراءه خدي على خدّه ويقول: دُونَكُمْ يا بني أرفدة حتى إذا مَلِلْتُ قال: حَسْبُكَ قلت: نعم. قال: اذهبي.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ريبة.

قالت عائشة: رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظرُ إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكونَ أنا الذي أسأُ فاقدرُوا قدرَ الجارية الحديثة السن الحريصة على اللّه.

كما روى مسلم في صحيحه كتاب صلاة العيدين باب الرخصة في اللعب عن عائشة قالت: جاء حبش يزفون في يوم عيد (أي يرقصون) في المسجد فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم فوضعتُ رأسي على منكبيه فجعلتُ أنظر إلى لعبهم حتى كنتُ أنا التي أنصرف عن النظر إليهم.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح باب ذهاب النساء والصبيان إلى العرس.

عن أنس بن مالك قال: أبصر النبي صلى الله عليه وسلم نساءً وصبياناً مُقبلين من عرسٍ فقام ممتناً فقال: اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ. يقول شارح البخاري ممتناً معناه قامَ مشرعاً مشتداً في ذلك فرحاً بهم.

ولتبرير معاقرة الخمر والمسكرات إليك ما يلي:

النبي يشرب النبيذ

روى البخاري في صحيحه كتاب النكاح في باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس وكذلك في باب النقيع والشراب الذي

لا يسكر في العرس.

عن أبو حازم عن سهل قال: لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فما صنع لهم طعاماً ولا قرّبه إليهم إلا امرأته أم أسيد بَلَّتْ تمراتٍ في تورٍ من حجارة من الليل فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من الطعام أمأته له فسقته إياه تتحفه بذلك.

ومما يدلّك على أنهم يقصدون بهذه الرواية أنّ النبي (ص) شرب النبيذ. لعل المراد هو غير النبيذ المعروف وإنما هي عادة كانت لدى العرب وهي وضع تمرات في الماء لتذهب رائحة الماء، فهو ليس النبيذ الحقيقي، وبعضهم يرى صحة استعمال. فقد أخرج مسلم هذه الرواية في صحيحه من كتاب الأشربة باب إباحة النبيذ الذي لم يشدد ولم يصر مُسكراً. ومن هنا بدأ شرب النبيذ وذهب الحكماء إلى إباحة الخمر بدعوى أنها حلال ما لم تسكر.

ولتبرير الإباحية التي كان عليها الأمويون والعباسيون إليك ما يلي:

النبي والابتدال!

روى البخاري في صحيحه في كتاب الحج باب الزيارة يوم النحر عن عائشة قالت: حججنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأفصنا يوم النحر فحاضت صفيّة فأرّاد النبي صلى الله عليه وسلم منها ما يريد الرجل من أهله فقلت يا رسول الله إنها حائض.

عجباً لهذا النبي الذي يحب مجامعة زوجته على مشهد وعلم من زوجته الأخرى، فتعلمه بأنها حائض بينما لا تعلم المعنية بالأمر من ذلك شيئاً.

النبي لا يستحي!

كما روى مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب فضائل عثمان بن عفان قال:

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان حدّثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراشه لابس برط عائشة فأذن لأبي بكر وهو على تلك الحال فقبض إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان: ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقبض إليه حاجته ثم انصرف قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة أجمعي عليك ثيابك فقبضت إليه حاجتي ثم انصرفت فقالت: عائشة يا رسول الله ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عثمان رجلٌ خيٌّ وإنّي خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحال أن لا يبلغ إليّ في حاجته.

أي نبي هذا الذي يستقبل أصحابه وهو مضطجع في مرط زوجته على فراشه وبجانبه زوجته في لباس مبتذل حتى إذا جاء عثمان جلس وأمر زوجته بأن تجمع عليها ثيابها.



النبي يكشف عورته !

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الصلاة باب كراهية التعري في الصلاة وكذلك أخرج مسلم في كتاب الحيض باب الاعتناء بحفظ العورة.

عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم الحجارة للكعبة، وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة، قال فحلّه فجعله على منكبيه، فسقط مغشياً عليه، فما رأيي بعد ذلك عرياناً صلى الله عليه وسلم.

انظر أيها القارئ إلى الاتهامات المزورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعل الحياء من دعائم الإيمان والذي كان أشد حياء من العذراء في خدرها، ولم يكتفوا برواية الابتذال وكشف فخذه أمام أصحابه حتى اتهموه بكشف عورته بهذه الرواية الموضوعة، فهل كان رسول

الله (ص) عندهم أبلة إلى هذه الدرجة فيسمع إلى كلام عمه ويكشف عن سواته أمام الناس.

أستغفر الله العظيم من أقوال الشياطين الأبالسة الذين يتقولون على الله ورسوله (ص)، هذا الرسول (ص) الذي لم ير أزواجه وأقرب الناس إليه عورته والذي يبيح الشرع له أن يكشف عورته لهن ومع ذلك فإن أم المؤمنين عائشة تقول «ما نظرتُ وما رأيتُ فرج رسول الله (ص) قط»^(١). فإذا كان هذا فعله مع زوجاته اللاتي كنَّ يغتسلن معه في إناء واحد فيستر عورته عنهن وما رأينه عرياناً أبداً فكيف مع أصحابه والناس عامة.

نعم كل ذلك من وضع خنافس الأميين الذين كانوا لا يتورعون عن أي شيء وإذا كان الخليفة منهم وهو أمير المؤمنين بطربُ لقول شاعر من الشعراء الذي ينشده قصيدة في الغزل فيقوم إليه ويكشف عورته ويقبل قضيبه، فلا غرابة بعدها أن يكشفوا عورة النبي وقد نفى عنهم هذا المرض النفسي وأصبح اليوم أمراً عادياً عند بعض المستهترين الذين لا يقيمون وزناً للأخلاق والحياء فأصبح هناك نوادي ومجاميع للعرافة في كل مكان يجمع النساء والرجال تحت شعار (ربنا هأ نحنُ كما خلقتنا).

ولتبرير تلاعبهم بالدين وبالأحكام الشرعية إليك ما يلي:

النبي يسهو في صلاته

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب ما يجوز من ذكر الناس وأخرج مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة في باب السهو في الصلاة والسجود له.

«عن أبي هريرة، قال: صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر ركعتين، ثم سَلَمَ، ثم قامَ إلى خشبة في مقدّم المسجد ووضع يده عليها،

(١) سنن ابن ماجه ج ١ ص 619.

وفي القوم يومئذ أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه، وخرج سرعان الناس، فقالوا: قَصُرَتِ الصَّلَاةُ، وفي القوم رَجُلٌ كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ذا اليدين، فقال: يا نبي الله أنسيْتَ أم قَصُرَتْ؟ فقال: لم أنس ولم تقصر. قالوا: بل نسيت يا رسول الله، قال: صدق ذو اليدين.

فقام فصلَّى ركعتين ثم سلَّم، ثم كَبُرَ فسجدَ مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكَبُرَ، ثم وضع مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكَبُرَ^(١).

* حاش رسول الله أن يسهو في صلاته ولا يدري كم صلى وعندما يقال له بأنه قصر من الصلاة يقول (لم أنس ولم تقصر) إنه الكذب لتبرير خلفاءهم الذين كانوا كثيراً ما يأتون إلى الصلاة وهم سكارى فلا يدرون كم يصلون وقصة أميرهم الذي صلى بهم صلاة الصبح أربع ركعات ثم التفت إليهم وقال أزيدكم أو يكفيكم؟ مشهورة في كتب التاريخ.

كما أخرج البخاري في صحيحه كتاب الأذان في باب إذا قام الرجل عن يسار الإمام.

قال عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نمتُ عند ميمونة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها تلك الليلة فتوضاً ثم قامُ يُصَلِّي فقامتُ عن يساره، فأخذني فجعلني عن يمينه فصلَّى ثلاث عشرة ركعة، ثم نامَ حتى نفخَ وكان إذا نامَ نفخَ ثم أناه المؤذنُ فخرجَ فصلَّى ولم يتوضاً.

قال عمرو فحدثتُ به بكيراً فقال: حدثني كريبٌ بذلك.

وبمثل هذه الروايات المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخفُّ الأمراء والسلاطين من بني أمية وبني العباس وغيرهم بالصلاة وبالوضوء وبكل شيء حتى أصبح المثل شائعاً عندنا «صلاة القياد في الجمعة والأعياد».

(١) صحيح البخاري وصحيح مسلم في كتاب اللؤلؤ والمرجان ج ١ ص ١١٥.

النبي يحلف ويحنث

روى البخاري في صحيحه في كتاب المغازي قصة عمان والبحرين
باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن.

عن أبي قلابة عن زهْدَم قال: لما قدم أبو موسى أكرم هذا الحي من
جَرَم وأنا لجلوس عنده وهو يتغدى دجاجاً وفي القوم رجل جالس فدعاه
إلى الغداء فقال: إني رأيتُ يأكُل شيئاً فقدرتُه، فقال: هَلُم فإني رأيتُ النبي
صلى الله عليه وسلم يأكُلُه، فقال: إني حلفتُ لا أأكُلُه، فقال: هَلُم أُخبرك
عن يمينك، إنا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم نقر من الأشعرين
فاستحملناه فأتى أن يحملنا فاستحملناه فحلف أن لا يحملنا ثم لم يلبث
النبي صلى الله عليه وسلم أن أتى بنهب إبل فامر لنا بخمس ذود فلما
قبضناها قلنا تغفلنا النبي صلى الله عليه وسلم يمينه لا نفلح بعدها أبداً،
فأتيتُه فقلتُ: يا رسول الله إنك حلفت أن لا تحملنا وقد حملتنا، قال: أجل
ولكن لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير
منها.

أنظر إلى هذا النبي الذي بعثه الله سبحانه ليعلّم الناس الحفاظ على
الآيمان ولا ينقضوها إلا بكفارة ولكنه هو يأمر بالشيء ولا يأتيه قال تعالى:
﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الآيمان
فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو
تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم
واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾ [المائدة: 89].

وقال أيضاً: ﴿ولا تنقضوا الآيمان بعد توكيدها﴾ [النحل: 91]. ولكن
هؤلاء لم يتركوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً ولا فضيلة.

اعتقت عائشة أربعين رقبة لتكفر عن يمينها

وأين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من زوجته عائشة التي كفرت عن يمين نقضته بتحرير أربعين رقبة فهل هي أبر وأتقى لله من رسول الله؟ ج 7 ص 90.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأدب باب الهجرة وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث.

• إن عائشة حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة: والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم! قالت: هو الله علي نذر أن لا أكلم ابن الزبير أبداً، فاستشفع ابن الزبير إليها حين طالت الهجرة، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبداً ولا أتحنث إلى نذري، فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وهما من بني زهرة وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي. فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت: نعم ادخلوا كلكم ولا تعلم أن معهما ابن الزبير.

فلما دخلوا، دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وطفق يناشدها ويكي وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته وقبلت منه، ويقولان إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من الهجرة فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، فلما أكثروا على عائشة من التذكرة والتحريج طفقت تذكرهما وتبكي وتقول إني نذرت والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير وأعتقت في نذرهما ذلك أربعين رقبة وكانت تذكر نذرهما بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها.

ورغم أن قسم عائشة لا يجوز لأن النبي صلى الله عليه وسلم حرم أن

يهجر المسلم أخاه أكثر من ثلاثة أيام ولكنها أبت إلا أن تكفر عن يمينها
بتحرير أربعين رقبة، وهذا أيضاً يدلنا دلالة أخرى من أنها كانت دولة
بمفردها، وإلا كيف تملك عائشة أربعين رقبة أو ثمنها فليس ذلك بالشئ
اليسير، ولم يسجل التاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعتق
هذا العدد الهائل طيلة حياته.

إنهم لم يتركوا سيئة أو نقبضة إلا وألصقوها به كل ذلك ليبرروا أفعال
أمرائهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ولتبرير استهتارهم بالأحكام الشرعية إليك ما يلي:

النبي يتنازل في أحكام الله حسبما يريد

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الصوم باب اغتسال الصائم
وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب الصيام باب تغليظ تحريم الجماع في
نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة الكبرى فيه. وأنها تجب على
الموسر والمعسر.

عن أبي هريرة قال: بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه
وسلم إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت! قال: مآلك؟ قال: وقعت
على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تجد رقبة
تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا.
فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا. قال فمكث عند النبي صلى
الله عليه وسلم فبينما نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق
فيه تمر، والعرق المكثل قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: خذه فتصدق
به، فقال الرجل: أغلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لأبتيها يريد
الحرثين أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي صلى الله عليه وسلم
حتى بدت أنيابه ثم قال أطعمه أهلك.

أنظر كيف تصبح أحكام الله وحدود الله التي رسمها لعباده من تحرير رقبة على الموسرين والذين لا يقدرّون على تحرير رقبة فما عليهم إلا إطعام ستين مسكيناً وإذا تعذّر وكان فقيراً فما عليه إلا بالصوم وهو كفارة الفقراء الذين لا يجدون أموالاً كافية للتحرير أو لإطعام المساكين ولكن هذه الرواية تتعدّى حدود الله التي رسمها لعباده ويكفي أن يقول هذا الجاني كلمة يضحك لها الرسول حتى تبدو أنيابه فيتساهل في حكم الله ويبيع له أن يأخذ الصدقة لأهل بيته.

وهل هناك أكبر من هذه الفرية على الله ورسوله (ص) فيصبح الجاني مُجازاً على ذنبه الذي تعمّده بدلاً من العقوبة وهل هناك تشجيعاً أكبر من هذا لأهل المعاصي والفسقة الذين سيتشبهون بمثل هذه الروايات المكذوبة ويرقصون لها.

وبمثل هذه الروايات أصبح دين الله وأحكامه لعباً وهزواً وأصبح الزاني يفتخر بارتكابه الفاحشة ويتغنّى باسم الزاني في الأعراس والمحافل كما أصبح المفطر في شهر الصيام يتحدّى الصائمين.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان والنذور باب إذا حنث ناسياً.

عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم زرت قبل أن أرمي (أي طُفْتُ بالبيت طواف الزيارة) قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا حرج قال آخر: خلّقت قبل أن أذبح قال: لا حرج، قال آخر ذبحت قبل أن أرمي قال: لا حرج.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم النحر إذ قام إليه رجل فقال: كنت أحسب يا رسول الله كذا وكذا قبل كذا وكذا، ثم قام آخر فقال: يا رسول الله كنت أحسب كذا وكذا لهؤلاء الثلاث (الحلق والنحر والرمي) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: افعل

ولا حرج لهنَّ كُلُّهُنَّ يَوْمَئِذٍ، فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا قَالَ أَفْعَلْ أَفْعَلْ وَلَا حرج.

والغريب أنك عندما تقرأ هذه الروايات مستنكراً لها يجابهك بعض المعاندين بأن دين الله يسر وليس عسراً. وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: يَسْرُوا وَلَا تَعْسَرُوا.

وإنها كلمة حق يراد بها باطلاً، لأنه ليس هناك شكاً في أن الله يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر وما جعل علينا في الدين من حرج - ولكن فيما سطره ورسمه لنا من أحكام وحدود عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأعطانا الرخص اللازمة عند اقتضاء الحال كالتيتم عند فقدان الماء أو الخوف من الماء البارد، وكالصلاة جالساً عند الاقتضاء وكالإفطار وتقصير الصلاة في السفر، كل هذا صحيح ولكن أن نخالف أوامره سبحانه بأن نجعل مثلاً ترتيب الوضوء أو التيمم كما نريد فنغسل اليدين قبل الوجه مثلاً أو نمسح الرجلين قبل الرأس فهذا لا يجوز.

ولكن الوضاعين أرادوا أن يتنازل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كل شيء ليجدوا منفذاً وكما يقول كثير من الناس اليوم (عندما تجادلهم في الأمور الفقهية) لا عليك يا أخي، المهم صل فقط، صل كما يحلو لك!.

والغريب أن البخاري نفسه يخرج في نفس الصفحة التي بها قول الرسول (افعل افعل ولا حرج) واقعةً يظهر فيها النبي متشدداً إلى أبعد الحدود. قال عن أبي هريرة أن رجلاً دخل المسجد يصلي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد فجاء فسلم عليه فقال له: إرجع فصل فإنك لم تصل فرجع فصلى ثم سلم فقال وعليك، ارجع فصل فإنك لم تصل، وكرر الرجل الصلاة ثلاث مرات وفي كل مرة يقول له الرسول ارجع فصل فإنك لم تصل، فقال الرجل للرسول علمني يا رسول الله فعلمه

الاطمئنان في الركوع والاطمئنان في السجود قال ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تستوي وتطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم افعل ذلك في صلاتك كلها.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل فاقروا ما تيسر من القرآن.

عن عمر بن الخطاب يقول سمعتُ هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعتُ لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدتُ أساوره في الصلاة فتصبرتُ حتى سلم فليّته برذائه فقلتُ من أفراك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال: أقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلتُ: كذبتُ أقرانيها على غير ما قرأتُ.

فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلتُ إني سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان على حروفٍ لم تُقرئها، فقال أرسله إقرأ يا هشام فقرأ القراءة التي سمعتهُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلتُ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إقرأ يا عمرُ فقرأتُ التي أقراني فقال: كذلك أنزلتُ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ فاقروا ما تيسر منه.

فهل يبق بعد هذه الرواية شكٌ في أن الوضاعين تطاولوا على قداسة الرسول (ص) حتى من خلال القرآن الكريم وأنه علم الصحابة بقراءات مختلفة ويقول لكل منهم كذلك أنزل ولو لم تكن القراءة فيها اختلاف كبير ما كان عمر يكاد يقطع على هشام الصلاة ويتهدده. وهذا يذكرني بعلماء أهل السنة الذين يتشبهون بقراءة معينة فلا يجيزون لأحد أن يقرأ على غير ما يعرفون، وكنتُ يوماً أقرأ ﴿اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ فانتهرني

أحدُهم بشدة وصرخ قائلاً: لا تكسر القرآن إن كنت تجهل القراءة.

قلت: كيف كسرت القرآن؟

قال: اذكروا نعمتي، وليس نعمتي.

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الاستقراض وأداء الدين في باب الخصومات من جزئه الثالث صفحة 88.

عن عبد الملك بن ميسرة أخبرني قال سمعتُ النزال، سمعتُ عبد الله يقول سمعتُ رجلاً قرأ آية سمعتُ من النبي صلى الله عليه وسلم خلافاً، فأخذتُ بيده فأنيتُ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: كلاكما محسن.

قال شعبة أظنه قال: لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا. سبحان الله وبحمده، كيف يُقرُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اختلافهم بقوله كلاكما محسن؟ ولا يرجع بهم إلى قراءة موحدة تقطع دابر الاختلاف.

ثم بعد ذلك يقول لهم: لا تختلفوا فتهلكوا، أليس هذا هو التناقض؟ يا عباد الله افتونا يرحمكم الله. وهل اختلفوا إلا بإقراره هو ومباركته وتشجيعه. كلا وحاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا التناقض والاختلاف الذي تنفر منه العقول.

- أفلا يتدبرون القرآن الذي يقول:

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ [النساء: 82].

وهل وقع اختلاف أكبر وأخطر على الأمة الإسلامية من القراءات المتعددة التي غيّرت معاني القرآن إلى تفاسير وآراء مختلفة فأصبحت آية الوضوء الواضحة مختلفاً فيها.

النبي بتصرف كالصبيان! ويعاقب من لا يستحق العقوبة!

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

ومسلم في صحيحه في كتاب السلام باب كراهة التداوي باللدود. وعن عائشة قالت لددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه، فجعل يشير إلينا أن لا تلدونى. فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق، قال: ألم أنهكم أن تلدونى؟ قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم يشهدكم.

عجيب أمر هذا النبي المفترى عليه، الذي جعل المفترون كالصبي الذي يفرغوه الدواء المر الذي لا يقبله، فيشير إليهم أن لا يلدوه، ولكنهم يغصبونه على ذلك رغم أنفه.

ولما يفى يقول لهم: ألم أنهكم أن تلدونى؟ فيعتذرون له بأنهم ظنوا بأن النهي هو كراهية المريض للدواء، فيحكم عليهم جميعاً بأن يلدوا وهو ينظر ليشفي غليله منهم ولا يستثني منهم إلا عمه العباس لأنه لم يكن حاضراً عملية اللدود.

ولم تكمل السيدة عائشة نهاية القصة وهل نفذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حكمه فيهم أم لا، وعلى طريق من وكيف تمت عملية اللدود بين النساء والرجال الحاضرين.

النبي يسقط بعض آيات من القرآن!

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن وكذلك في باب من لا يرى بأساً أن يقول سورة كذا وكذا. وأخرج

(١) يقول ابن منظور في لسان العرب عن هذه العملية: اللد: هو أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه ويوجر في الشق الآخر الدواء في الصدف بين اللسان والشفة.

مسلم في صحيحه من كتاب صلاة المسافرين وقصرها في باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيتُ آية كذا.

حدثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في سورة الليل، فقال: يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي آيَةَ كَذَا وَكَذَا كُنْتُ أَنْسِيْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا.

كما أخرج البخاري رواية أخرى عن علي بن مُسَهَّر عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع النبي صلى الله عليه وسلم قارئاً يقرأ في الليل في المسجد فقال: يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةَ أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا.

ها هو النبي الذي أرسله الله سبحانه بالقرآن وهو معجزته الخالدة والذي كان يحفظه من يوم نزوله عليه جملة قبل نزوله أنجماً وقد قال له تعالى: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، وقال أيضاً: ﴿وَإِنَّ تَنْزِيلَ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّ لَفِي زَكْرٍ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: 196].

ولكن الكذابين والدجالين والوضاعين يابون إلا أن يلبصقوا به كل الأباطيل وكل السفاسف والمخاريق التي لا يقبلها عقل ولا ذوق سليم ومن حق المسلمين الباحثين أن يتزهدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أمثال هذه الروايات المزيفة التي ملأت كتب الأحاديث وخصوصاً منها المعدودة من الصحاح. فنحن لم نخرج إلا من كتاب البخاري ومسلم اللذين هما عند أهل السنة أصح الكتب بعد كتاب الله وإذا كان هذا شأن الصحاح بخصوص الطعن بقداسة الرسول (ص) وعصمته فلا تسأل عن باقي الكتب الأخرى. كل ذلك من وضع أعداء الله وأعداء رسوله (ص) الذين تزلفوا إلى حكام بني أمية في عهد معاوية وما بعده حتى ملأوا المطامير بالأحاديث المكذوبة والتي يريدون من خلالها الطعن على صاحب الرسالة (ص) لأنهم

لم يؤمنوا بكل ما جاء به من عند الله، هذا من جهة ومن جهة أخرى ليبرروا أفعال أسيادهم البشعة والشنيعة التي سجلها تاريخ المسلمين، وقد كشفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بداية البعثة وحذر منهم وطردهم من المدينة ولعنهم فقد أخرج الطبري في تاريخه: قال رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا سفيان مقبلاً على حمار ومعاوية يقود به، ويزيد ابنه يسوق به فقال: لعن الله القائد والراكب والسائق^(١). وأخرج الإمام أحمد في مسنده من طريق ابن عباس قال كنا في سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنظروا من هما، فقالوا: معاوية وعمرو بن العاص فرفع رسول الله يديه فقال: اللهم اركسهما ركساً ودعهما إلى النار دعاً^(٢) وعن أبي ذر الغفاري قال لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقد مررت به: اللهم ألعه ولا تشبعه إلا بالتراب^(٣). وقد قال الإمام علي عليه السلام في كتاب بعث به لأهل العراق:

والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالتهم التي هم فيها، والهدى الذي نحن عليه لعلى ثقة وبيّنة ويقين وبصيرة، وإني إلى لقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر، ولكن أسفاً يعتريني وحزناً يخامرني أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجأرها فيتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً، والصالحين حرباً والقاسطين حزباً^(٤).

وبما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد لعنهم كما مرّ عليك ولم يجدوا لتلك الأحاديث دسّاً لأنّ جلّ الصحابة كانوا يعرفونها فوضعوا في مقابلها أحاديث أخرى تقلب الحق باطلاً وتجعل من رسول الله صلى الله

(١) تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٧.

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٤٢١ والطبراني في الكبير.

(٣) مسند أحمد ج ٤ ص ٤٢١ لسان العرب ج ٧ ص ٤٠٤.

(٤) الإمامة والسليمة لابن قتيبة ج ١ ص ١٣٧.

عليه وآله وسلم شخصاً عادياً تعتريه الحمية الجاهلية ويأخذه الغضب إلى أبعد الحدود فيسب ويلعن من لا يستحق ذلك، ودفاعاً على أسيادهم الملاعين فقد وضعوا هذا الحديث.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من آذيتُه فاجعله له زكاة ورحمة.

وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة والآداب باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجرأ ورحمة عن عائشة قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان فكلماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه فلعنهما وسبهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان. قال: وما ذاك قالت قلت: لعنتهما وسبتهما قال: أو ما علمت ما شارطت عليه ربّي، قلت: اللهم إنما أنا بشر فأبي المسلمين لعنته أو سبته فاجعله له زكاة وأجرأ.

وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اللهم إني أتخذُ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنما أنا بشر فأبي المؤمنين آذيتُه شتمته، لعنته، جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة.

وبمثل هذه الأحاديث الموضوعة يصبح النبي يغضب لغير الله ويسب ويشتم بل ويلعن ويجلد من لا يستحق ذلك أي نبي هذا الذي يعتريه الشيطان فيخرج عن دائرة المعقول وهل يسمع أي رجل دين عادي أن يفعل ذلك؟ أم هل لا يستقبح منه ذلك؟ وبمثل هذه الأحاديث يصبح حكام بني أمية الذين لعنهم رسول الله (ص) ودعا عليهم وجلد البعض منهم لارتكابهم الفاحشة وافتضحوا أمام الناس عامة، يصبحون مظلومين بل يصبحون موكبين ومرحومين ومقربين إلى الله.

وهذه الأحاديث الموضوعة تكشف عن نفسها بنفسها وتفضح

الوضّاعين فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبّاباً ولا لعاناً ولا فاحشاً ولا متفحشاً حاشاه.. حاشاه. كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً أليماً.

وتكفينا رواية واحدة أخرجها البخاري ومسلم عن عائشة نفسها لدحض هذه المزاعم الكاذبة.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأدب باب لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً.

عن عائشة قالت: أن يهوداً أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: السّام عليكم، فقالت عائشة فقلت: عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإيّاك والعنف والفحش: قلت: أولم تسمع ما قالوا؟ قال: أولم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في.

كما أخرج مسلم في صحيحه كتاب البر والصلّة والأدب بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يكون المسلم لعاناً. ونهاهم حتى عن لعن الحيوان والدواب، وقيل له يا رسول الله ادع على المشركين فقال: إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة.

وهذا هو الذي يتماشى مع الخلق العظيم والقلب الرحيم الذي اختص به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يكن يلعن ويسب ويجلد من لا يستحق إنما إذا غضب فإنه يغضب لله وإذا لعن فإنه يلعن من يستحق اللعن وإذا جلد فإنما يجلد لإقامة حدود الله لا أن يجلد الأبرياء الذين لم تقم عليهم البينة أو الشهود أو الاعتراف.

ولكن هؤلاء غاضهم وأحرق قلوبهم أن تتفشى الروايات التي فيها لعن معاوية وبني أمية فاختلفوا هذه الروايات للتمويه على الناس وليرفعوا مكانة معاوية الوضيعة ولذلك تجد مسلم في صحيحه بعد إخراج هذه الروايات

التي تجعل من لعن الرسول لمعاوية زكاة ورحمة وقربة من الله. يخرج حديث عن ابن عباس قال: كنت ألب مع الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف باب قال فجاء فحطاني حطأة وقال اذهب وادع لي معاوية قال: فجئت فقلت هو يأكل قال ثم قال لي: اذهب فادع لي معاوية قال فجئت فقلت هو يأكل فقال: لا أشبع الله بطنه^(١).

ونجد في كتب التاريخ بأن الإمام النسائي بعدما كتب كتاب الخصائص التي اختص بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، دخل الشام فاعترضه أهل الشام وقالوا له لماذا لم تذكر فضائل معاوية فقال لهم: لا أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنه. فضربوه على مذاكيره حتى استشهد. والمؤرخون يذكرون بأن دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفذت فكان معاوية يأكل ويأكل حتى يتعب من الأكل ولا يشبع.

وفي الحقيقة لم أكن أعرف هذه الروايات التي تجعل اللعنة رحمة وقربة من الله، إلى أن عرفتني عليها أحد المشايخ في تونس وهو موصوف بالعلم والمعرفة وكنا في مجمع نتجاذب أطراف الحديث حتى جاء ذكر معاوية بن أبي سفيان وكان الشيخ يتحدث عنه بكل إعجاب ويقول هو داهية ومشهور بالذكاء وحسن التدبير، وأخذ يتكلم عنه وعن سياسته وانتصاره على سيدنا علي كرم الله وجهه في الحرب وصبرت عليه بمضض ولكنه ذهب شوطاً بعيداً في إطراء معاوية والثناء عليه حتى عيل صبري وقلت له: بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يحبّه وقد دعا عليه ولعنه، فاستغرب الحاضرون ومنهم من غضب من قلبي، ولكن الشيخ بكل هدوء رد عليّ بصدقني، مما زاد دهشة الحاضرين وقالوا له: نحن لم نفهم شيئاً! من ناحية، أنت تمدحه وتترضى عنه ومن ناحية أخرى توافق على أن النبي لعنه؟ فكيف يصح هذا؟ وتساءلت أنا معهم كيف يصح ذلك. وأجابنا الشيخ

بجواب بدا غريباً وصعب القبول قال: إِنَّ الذي يلعنه رسول الله أو يسبه فهي له زكاة ورحمة وقربة عند الله سبحانه. وتَسْأَلُ الجميع في دهشة. وكيف ذلك؟ قال: لأن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال: أنا بشر كسائر البشر وقد سألتُ الله أَنْ يجعل دعائي ولعنتي رحمة وزكاة. ثم أضاف قائلاً: وحتى الذي يقتله رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فهو من دنياه إلى الجنة مباشرة. واختليتُ بالشيخ فيما بعد وسألتُه عن مصدر الحديث الذي ذكره فأحالني على صحيح البخاري وصحيح مسلم، وأطلعت على تلك الأحاديث ولم تزدني إلا يقيناً بالمؤامرة التي دبرها الأمويون لتغطية الحقائق ولستر فضائحهم من جهة ولضرب عصمة الرسول (ص) من جهة أخرى.

ووجدتُ بعدها روايات كثيرة ترمي إلى نفس الهدف، وحتى يطمئن المتآمرون فقد اختلقوا أكثر من ذلك على لسان رب العالمين فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله.

مركز تحقيقات علوم إسلامي

عن أبي هريرة أَنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال: قال رجلٌ لم يعمل خيراً قط، فإذا مات فحرقوه واذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذاباً لا يُعذبه أحدٌ من العالمين، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت؟ قال: من خشيتك وأنت أعلم! فغفر له.

وعنه أيضاً في نفس الصفحة: قال أبو هريرة سمعتُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قال: إِنَّ عبداً أصاب ذنباً وربّما قال أذنب ذنباً فقال ربّ أذنبت ذنباً وربّما قال أصبت فاعفُ.

فقال ربّه: أعلم عبدي أَنَّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به غفرتُ لعبدي، ثم مكّت ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال: ربّ أذنبتُ أو أصبتُ آخر فاعفُ، فقال: أعلم عبدي أَنَّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به

غفرتُ لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً ورّبما قال أصاب ذنباً فقال: ربّ أصبتُ أو قال أذنبتُ آخر فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أنّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به، غفرتُ لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء.

أي ربّ هذا يا عباد الله؟ ورغم أنّ العبد علم من الوهلة الأولى بأنّ له ربّاً يغفر الذنب، غير أن ربّه بقي جاهلاً بهذه الحقيقة وفي كل مرة يتساءلُ أعلم عبدي بأنّ له ربّاً يغفر الذنب؟؟

أي ربّ هذا الذي من كثرة الذنوب المتكررة وكثرة المغفرة المتكررة فقد كلّ وملّ وقال لعبده: اعمل ما شئت «ورّيحني الله يخليك».

«كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلاّ كذباً فلعلّك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً».

نعم لقد زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال لعثمان: «اعمل ما شئت فلن يضرّك ما فعلت بعد اليوم». وذلك عندما جهّز عثمان جيش العسرة حسبما يقولون: إنها صدّوك الغفران التي يقبضها رهبان الكنيسة مقابل دخول الجنة.

فليس من الغريب إذاً أن يفعل عثمان تلك الأعمال الشنيعة التي سبّبت الثورة عليه وقتله ودفنه في غير مقابر المسلمين بغير تغسيل ولا تكفين. تلك أمانهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

النبي يتناقض في حديثه

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الفتن باب إذا التقى المسلمان بسيفهما - من جزئه الثامن صفحة 92.

عن عبد الله بن عبد الوهاب حدّثنا حمّاد عن رجلٍ لم يُسمِّه عن الحسن قال: خرجتُ بسلاحي ليالي الفتنة فاستقبلني أبو بكره فقال: أين

تريد؟ قلت أريدُ نُصرةَ ابنِ عمِّ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم! فقال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إذا تواجَدَ المسلمَانِ بسيفهما فكلَاهُما من أهل النار، قيل فهذا القاتلُ فما بالُ المقتولِ قال إنه أرادَ قتلَ صاحبه - قال حماد بن زيد فذكرتُ هذا الحديثَ لأَيُّوبَ ويونس بن عبيد وأنا أريدُ أن يحدثاني به، فقالا إنما روى هذا الحديثَ الحسنُ عن الأحنف بن قيس عن أبي بكرة.

كما أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الفتن وأشراف الساعة باب إذا تواجَدَ المسلمانِ بسيفهما.

حديث أبي بكرة عن الأحنف بن قيس، قال: ذهبتُ لأنصرَ هذا الرجلَ، فلقيني أبو بكرة، فقال: أين تريدُ، قلتُ: أنصرُ هذا الرجلَ قال: ارجع فإنِّي سمعتُ رسولَ الله يقول: «إذا التقى المسلمانِ بسيفهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار» فقلتُ يا رسولَ الله! هذا القاتلُ، فما بالُ المقتولِ؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه» (1).

ومن خلال هذه الأحاديث الموضوعية يفهم القارئ بوضوح الأسباب التي دعت لوضعه، ويتجلى أبو بكرة بعداوته إلى ابنِ عمِّ المصطفى وكيف عمل على خذلان أمير المؤمنين ولم يكتف بذلك حتى أخذ يثبُط عزائم الصحابة الذين أرادوا نصرته الحقَّ ضدَّ الباطل فيخلق لهم مثل هذا الحديث الذي لا تقبله العقول ولا يقره القرآن الكريم ولا الصحيح من السنة النبوية. فقول الله سبحانه وتعالى: «فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله» [الحجرات: ٥]. أمرٌ صريح في قتال البغاة والظالمين ولذلك تلاحظ أن شارح البخاري نفسه كتب على هامش الحديث هذه العبارة (أنظر هل في هذا الحديث حجة على مقاتلة البغاة مع قول الله تعالى فقاتلوا التي تبغي) وإذا تعارض الحديث مع كتاب الله فهو مكذوب وليضرب به عرض الجدار. أما

(1) أخرج هذا الحديث أيضاً البخاري في كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية.

السنة النبوية الصحيحة فقله صلى الله عليه وسلم في علي «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث داره، فمولاة علي هي مولاة لرسول الله (ص) ونصرة أمير المؤمنين واجبة على كل مسلم وخذلانه هو خذلان للحق ونصرة للباطل.

ثم لو تأملت في حديث البخاري لوجدت هناك في سلسلة الرواة واحداً مجهولاً لم يذكروا اسمه إذ يقول: حدثنا حماد عن رجل لم يُسمَّ، وهذه تدل دلالة جلية بأن هذا المجهول هو من المنافقين الذين يبغضوا علياً ويحاولون جهدهم طمس فضائله أو بالأحرى القضاء عليه وعلى ذكره ما استطاعوا لذلك سبيلاً. وقد قال سعد بن أبي وقاص الذي امتنع هو الآخر عن نصرة الحق «اتوني بسيف يقول هذا علي حق وهذا علي باطل لأقاتل به» وبمثل هذا التمويه يلبس الحق بالباطل وتضيع السبل الواضحة لتحل محلها الظلمات.

على أننا نجد في كتب السنة المعتمدة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر الكثير من أصحابه بالجنة وخصوصاً العشرة الذين اشتهروا بين المسلمين بأنهم المبشرين بالجنة.

فقد أخرج أحمد والترمذي وأبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة^(١).

وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: ابشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة وقوله اشتاقت الجنة إلى أربع علي وعمار، وسلمان

(١) مسند أحمد ج ١ ص ١٩٣، صحيح الترمذي ج ١٣ ص ١٨٣، سنن أبو داود ج ٢ ص ٢٦٤.

والمقداد وقد روى مسلم في صحيحه أن عبد الله بن سلام بشره رسول الله بالجنة وصح عنه قوله: الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة، وكذلك صح عنه أن جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة في الجنة. وأن فاطمة الزهراء سيدة النساء في الجنة وأن أمها خديجة بشرها جبرئيل بيت من قصب في الجنة وصح عنه قوله: صهيب سابق الروم إلى الجنة، وبلال سابق الحبشة إلى الجنة وسلمان سابق الفرس إلى الجنة.

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تختص أحاديث البشارة بالجنة إلا على هؤلاء العشرة فلا تجد مجمع ولا مجلس إذا ما تحدثوا عن الجنة إلا وجاءوا بذكر العشرة المبشرين بالجنة.

ونحن لا نحسدكم على ذلك ولا نضيق رحمة الله الواسعة التي وسعت كل شيء ولكن نقول فقط بأن هذه الأحاديث تتناقض وتتعارض مع حديث إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار. لأننا لو صدقنا به لتبخر حديث البشارة بالجنة إذ أن معظم هؤلاء تحاربوا وتقاتلوا وقتل بعضهم بعضاً، فطلحة والزبير قُتِلَا في حرب الجمل التي قادتها أم المؤمنين عائشة ضد الإمام علي بن أبي طالب وسُلت سيوفهم بل وتسبوا في قتل الآلاف من المسلمين.

كما أن عمار بن ياسر قُتل في حرب صفين التي أشعل نارها معاوية بن أبي سفيان وكان عمار متواجداً بسيفه مع علي بن أبي طالب فقتلته الفئة الباغية كما نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما أن سيد الشهداء سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين تواجد بسيفه هو وأهل بيت المصطفى (ص) مقابل جيش يزيد بن معاوية، وقد قتلوه كلهم ولم ينج منهم إلا علي بن الحسين.

فعلى رأي هؤلاء الكذابين فإن كل هؤلاء في النار القاتلين والمقتولين، لأنهم التقوا بسيوفهم.

وواضح أن الحديث لا يمكن أن تصح نسبته إلى من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهو كما قدّمنا يصطدم مع المنطق والعقل، ويناقض كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والسؤال الذي يطرح هنا، كيف يغفل البخاري ومسلم عن مثل هذه الأكاذيب ولا يتنبهون لها؟ أم أن لهما في أمثال هذه الأحاديث مذهب وعقيدة؟

التناقض في الفضائل

ومن الأحاديث المتناقضة التي تجدها في الصحاح هو تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كل الأنبياء والمرسلين، وأحاديث أخرى ترفع من شأن موسى درجة أعلى من درجته، واعتقد بأن اليهود الذين أسلموا في عهد عمر وعثمان أمثال كعب الأحبار وتميم الداري ووهب بن منبه هم الذين وضعوا تلك الأحاديث على لسان بعض الصحابة الذين كانوا معجبين بهم أمثال أبي هريرة وأنس بن مالك وغيرهم. فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

عن أنس بن مالك حكاية طويلة تحكي إسراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم عروجه إلى السماوات السبع ثم إلى سدره المنتهى وقصة فرض الصلوات الخمسين التي فرضت على محمد وأمنه وبفضل موسى رُدَّتْ إلى خمس عملية وما فيها من الكذب الصريح والكفر الشنيع من أن الجبار رب العزة دنا فتدلّى حتى كان من النبي قاب قوسين أو أدنى، وغيرها من التخريف ولكن ما يهّمنا في هذه الرواية هو أن محمداً لما استفتح السماء السابعة وكان فيها موسى وأن الله رفعه فيه السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى: ربُّ لم أظنُّ أن يُرفع عليّ أحدٌ. وأخرج مسلم في صحيحه

في كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخرج البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم قصة أخرى تشبه الأولى وتحكي الإسراء والمعراج ولكن تقول بأن موسى كان في السماء السادسة وإبراهيم في السابعة والذي يهمنها منها هو هذا المقطع.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأتينا على السماء السادسة، قيل من هذا؟ قيل جبرئيل، قيل من معك؟ قال محمد صلى الله عليه وسلم، قيل وقد أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم، قيل مرحباً به ولنعم المجيء جاء. فأتيت على موسى فسلمت عليه، فقال: مرحباً بك من أخٍ ونبيٍّ، فلما جاوزت بكى، فقيل ما أبكاك؟ فقال: يا رب هذا الغلام الذي بعثت بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي.

كما أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يُسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض، عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي، نفسي، نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح، وتمضي الرواية وهي طويلة جداً (ونحن دائماً نريد الاختصار) إلى أن يطوف الناس على نوح ثم على إبراهيم ثم على موسى ثم على عيسى وكلهم يقول نفسي، نفسي نفسي، ويذكر خطيئته أو ذنبه، عدا عيسى

لم يذكر ذنباً ولكنه قال نفسي ا نفسي ا نفسي ا اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني، فأنطلق فأتني تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحهُ على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحُمير، أو كما بين مكة وبُصرى.

وفي هذه الأحاديث يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه سيد الناس يوم القيامة ويقول بأن موسى قال: يا رب ما كنت أظن أن يُرفع عليّ أحد. ويقول بأن موسى بكى وقال: يا رب هذا الغلام الذي بعثت بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي.

ونفهم من خلال هذه الأحاديث بأن كل الأنبياء والمرسلين من آدم حتى عيسى مروراً بنوح وإبراهيم وموسى (عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم) لن يشفعوا عند الله يوم القيامة وخص الله بها محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نؤمن بكل ذلك ونقول بتفضيله صلى الله عليه وآله وسلم على سائر البشر ولكن الإسرائيليين وأعوانهم من بني أمية لم يتحملوا هذا الفضل والتفضيلة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى اختلقوا روايات تقول بتفضيل موسى عليه، وقد مرّ بنا في خلال أبحاث سابقة قول موسى لمحمد ليلة الإسراء والمعراج ولما فرض الله عليه خمسين صلاة: قال له موسى أنا أعلم بالناس منك. وهذا لم يكف فاختلفوا روايات أخرى تقول بتفضيله (أي موسى على محمد) على لسان محمد نفسه فإليك بعض هذه الروايات.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب التوحيد باب في المشيئة

والإرادة وما تشاؤون إلا أن يشاء الله.

عن أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين في قسم يقسم به فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تخبروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صبق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله.

وفي رواية أخرى للبخاري قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد لطم وجهه وقال: يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطم في وجهي، قال: ادعوه فدعوه قال: لما لطمت وجهه؟ قال: يا رسول الله إني مررت باليهود فسمعتهم يقول: والذي اصطفى موسى على البشر فقلت: وعلى محمد وأخذتني غصة فلطمته.

قال: لا تخبروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور.

كما أخرج البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن سورة يوسف عليه الصلاة والسلام باب قوله فلما جاءه الرسول:

عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي ونحن أحق من إبراهيم إذا قال له أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي.

ولم يكفهم كل ذلك حتى جعلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من الشاكين حتى في مصيره عند ربّه فلا الشفاعة ولا المقام المحمود ولا تفضيله على الأنبياء والمرسلين ولا تبشير بالجنة لأصحابه إذا كان هو نفسه لا يعرف مصيره يوم القيامة. إقرأ معي هذه الرواية التي أخرجها البخاري وأعجب أو لا تعجب.

أخرج البخاري في صحيحه باب في الجنائز من كتاب الكسوف من جزئه الثاني الصفحة 71.

عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أمّ العلاء امرأة من الأنصار بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعةً فطار لنا عثمان بن مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعاً الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وما يدريك أن الله أكرمك؟ فقلت: بأبي أنت يا رسول الله فمن يكرمه الله، فقال عليه السلام: أما هو فقد جاءه اليقين والله إنني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي.

قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً.

إن هذا لشيء عجاب والله! فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقسم بالله أنه لا يدري ما يفعل به، فماذا يبقى بعد هذا.

وإذا كان الله سبحانه يقول ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ وإذا كان الله يقول لنبيه: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ [الفتح: 1].

وإذا كان دخول الجنة للمسلمين موقوفاً على اتباعه وإطاعته والتصديق به، فكيف نصدق هذا الحديث الذي لا أقبح منه نعوذ بالله من عقيدة بني أمية الذين ما كانوا يؤمنون يوماً بأن محمداً هو رسول الله حقاً وإنما كانوا

يعتقدون بأنه ملك تغلب على الناس بذكائه ودهائه. وهذا ما صرح به أبو سفيان ومعاوية ويزيد وغيرهم من خلفائهم وحكامهم.

النبي يتناقض مع العلم والطب

إن العلم يثبت بما لا شك فيه أن هناك بعض الأمراض التي تنقل بالعدوى وهذا ما يعرفه أغلب الناس حتى غير المثقفين، أما طلبة العلوم الذين يدرسون علم الطب في الجامعات، فإنهم إذا ما قيل لهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينكر ذلك، فإنهم سيسخرون ويجدون منفذاً للطعن على نبي الإسلام خصوصاً منهم الأساتذة العلمانيين الذين يبحثون عن ثغرات مثل هذه، ومع الأسف الشديد فإن من الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم تؤكد على عدم العدوى، وفيها أيضاً ما يؤكد أن هناك عدوى، ونحن إذ نسجل هنا هذه التناقضات تحت عنوان النبي يتناقض، لا نؤمن بأنه صلى الله عليه وآله وسلم يتناقض مرة واحدة في أقواله أو في أفعاله، ولكن جرياً على العادة ولجلب مهجة القارئ حتى يتنبه إلى الأحاديث التي وُضعت كذباً وبهتاناً على صاحب الرسالة المعصوم، ويعرف قصدنا من تخريج أمثال هذه الأحاديث لتنزيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعطائه مكانته العلمية التي سبقت كل العلوم الحديثة فليس هناك نظرية علمية صحيحة تتعارض مع حديث نبوي صحيح، وإذا ما تعارضت أو تناقضت عرفنا بأن الحديث مكذوب عليه صلى الله عليه وآله وسلم هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الحديث نفسه قد يعارضه حديث آخر يتماشى مع النظرية العلمية فيجب قبول الثاني وطرح الأول كما لا يخفى.

ومثال على ذلك أسوق حديث العدوى لأنه مهم في البحث ويعطينا صورة حقيقية على تناقض الصحابة والرواة والوضاعين لا على تناقض صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم فذلك لا يمكن أبداً. فالبخاري في صحيحه يذكر الحديثين وأنا أقتصر عليه لأنه أصح الكتب عند أهل السنة

لثلا يذهب المتأولون عدّة مذاهب فيقول قائل بأنّه قد ثبت عند البخاري حديثاً وثبت عكسه عند غيره من المحدثين، ويلاحظ القاريء بأنني في هذا الباب اقتصر على البخاري وحده، في تناقض الأحاديث.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الطب في باب لا هامة، عن أبي هريرة: قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا صفّر ولا هامة» فقال أعرابي: يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن أعدى الأول؟

أنظر إلى هذا الأعرابي كيف يهتدي بفطرته إلى طبيعة الأمراض المعدية من خلال البعير الأجرب الذي يجرب كل الإبل إذا خالطها، بينما لا يجد الرسول جواباً على سؤال الأعرابي يقنعه به، فيقول: فمن أعدى الأول؟ ويصبح هو الذي يسأل.

وهذا أيضاً يذكرني بالطبيب الذي سأل الأم التي جاءت بولدها المصاب بالحُصبة: هل عندكم في البيت أو في الجيران من هو مصاب بهذا الداء؟ فقالت الأم: كلاً، فقال الطبيب لعلّه التقطها من المدرسة؟ فأجابت الأم على الفور: كلاً إنه لم يدخل بعد إلى المدرسة فعمره أقل من خمس سنين، فقال: ففي الروضة إذن، قالت: لا إنه لا يذهب للروضة. فقال الطبيب: لعلك ذهبت به إلى زيارة بعض أقاربك أو زاركم بعض الأقارب الذي يحمل الجرثومة، فأجابت بالنفي! وعند ذلك قال لها الطبيب: جاءت إليه الجرثومة في الهواء.

نعم فالهواء يحمل الجراثيم والأمراض المعدية وقد يُصيب قرية كاملة أو مدينة بأكملها ولذلك وُجدَ التلقيح والوقاية لما قد تحمله الرياح من أمراض فتاكة كالوباء والطاعون وغير ذلك، فكيف يخفى كل ذلك على من لا ينطق عن الهوى؟ إنه رسول رب العالمين الذي لا يعزب عن علمه شيء

إنه لا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ولذلك نحن نرفض هذا الحديث ولا نقبله أبداً ونقبل الحديث الثاني الذي أخرجه البخاري نفسه وفي نفس الصفحة ونفس الباب وفي نفس الحديث إذ يقول: وعن أبي سلمة سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ بَعْدُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يوردَنُ مُمرضٌ على مُصَحٍّ، وأنكر أبو هريرة حديثه الأول، قلنا: ألم تحدث أنه لا عدوى، فرطن بالحشية، قال أبو سلمة فما رأيته نسي حديثاً غيره.

مع أن الحديثين المتناقضين (لا عدوى، ولا يوردَنُ مُمرضٌ على مُصَحٍّ) رواهما أيضاً مسلم في صحيحه في كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يوردَنُ ممرض على مصح.

ومن خلال هذه الأحاديث نعلم أن حديث لا يوردَنُ ممرض على مصح هو الحديث الصحيح الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه لا يتناقض مع العلم وأما حديث لا عدوى فهو مكذوب عليه لأنه حديث جاهل بالحقائق الطبيعية ولذلك فهم بعض الصحابة تناقض الحديثين فعارضوا أبا هريرة واستغربوا منه حديثه الأول، ولم يجد أبو هريرة مخرجاً من هذه الورطة فرطن بالحشية. يقول شارح البخاري: تكلم غضباً بما لا يفهم!...

ومما يزيدنا تأكيداً بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أسبق مما أثبتته العلم حديثاً في خصوص الأمراض المعدية أنه كان يحذر المسلمين من الطاعون ومن الجذام ومن الوباء وغير ذلك.

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب حدثنا أبو اليمان وكذلك مسلم في صحيحه كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة وغيرها.

* عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وَالطَّاعُونَ رَجَسَ أَرْسَلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدُمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَاراً مِنْهُ، وَفِي رِوَايَةٍ لَا يَخْرُجُكُمْ إِلَّا فِرَاراً مِنْهُ.

وقد صح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قوله في هذا المعنى: فِرُّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ، وقوله: إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ وقوله: إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي أَنْاءِ أَحَدِكُمْ فَاغْسِلُوهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ كُلِّ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أُمَّتُهُ النِّظَافَةَ وَأَسْبَابَ الصَّحَّةِ وَالْوَقَايَةَ، لَا أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: إِذَا سَقَطَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، وَهَذَا سَبَقَ الْحَدِيثُ عَنْهُ فَلْيَرَأِجِعْ.

على أننا نجد التناقض ظاهراً حتى في ما يختصُّ بالهامة التي كان يتشاءم العرب بها وهي الطائر المعروف من طير الليل وقيل هي البومة وهو تفسير مالك بن أنس - فإذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: لَا هَامَةٌ فَكَيْفَ يَتَنَاقَضُ وَيَتَعَوَّذُ مِنْهَا؟

فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب يزفون النسلان في المشي من جزئه الرابع صفحة 119.

عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُوذُ بِالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَيَقُولُ إِنْ أَبَاكُمَا كَانَ يَعُوذُ بِهَا إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ. أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَةٍ.

نعم أردنا في هذا الفصل أن نذكر بعض الأمثلة من الأحاديث المتناقضة التي تُنسبُ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو منها بريء.

وهناك مئات الأحاديث الأخرى المتناقضة التي أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما وقد ضربنا عليها صفحاً لما عَوَدَنَا الْقَارِئُ دَائِماً بِالِاخْتِصَارِ وَالْإِشَارَةِ، وعلى الباحثين أن يكبوا على دراسة ذلك عسى أن

يُظْهِرُ اللَّهُ بِهِمْ سُنَّةَ رَسُولِهِ (ص) وَيُثَبِّتُهُمُ الْآجَرَ الْعَظِيمَ وَيَكُونُوا سَبَباً فِي تَنْقِيَةِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ وَيُقَدِّمُوا إِلَى الْجِيلِ الْجَدِيدِ أَبْحَاثاً قِيَمَةً تَكُونُ فِي مَسْتَوَى رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: 71].



مركز تحقيقات کتب و تفسیر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کتب و علوم اسلامی

الفصل الثامن

فيما يتعلق بتصحيح البخاري ومسلم

لما لهذين الكتابين من أهمية بالغة لدى أهل السنة والجماعة حتى أصبحتا عند عامة المسلمين المرجعتين الأساسيتين والمصدرين الأولين في كل المباحث الدينية وأصبح من العسير على بعض الباحثين أن يصرحوا بما يجدونه من تهافت وتناقض ومنكرات فيقبلونها على مضض ولا يكشفون بها قومهم خشية منهم أو خشية عليهم. ولما في نفوسهم من احترام وتقديس لهذين الكتابين، والحقيقة أن البخاري ومسلم ما كانا يوماً يحلمان بما سيصل إليه شأنهما عند علماء الناس وعامتهم.

ونحن إذا قدّمنا على نقدهما وتخريج بعض المطاعن عليهما ليس ذلك إلا لتزويه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وعدم الخدش في عصمته. وإذا كان بعض الصحابة لم يسلم من هذا النقد والتجريح للغرض نفسه، فما البخاري ومسلم بأفضل من أولئك المقرّبين لصاحب الرسالة.

وما دُمنّا نهدف إلى تنزيه النبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم ونحاول جهدنا إثبات العصمة له وأنه أعلم وأنقى البشر على الإطلاق ونعتقد أن الله سبحانه وتعالى اصطفاه ليكون رحمة للعالمين وأرسله للناس كافة من الإنس والجن، فلا شك أن الله يطالبنا بتنزيهه وتقديسه وعدم قبول المطاعن فيه، ولذلك نحن وكل المسلمين مطالبون بطرح كل ما يتعارض والخلق

العظيم الذي اختصَّ به، وطرح كل ما يتعارض مع عصمته أو ما يمسُّ شخصه الكريم من قريب أو بعيد، فالصحابة والتابعين والأئمة والمحدثين وكل المسلمين وحتى الناس أجمعين مدينون لفضله ومزيته، فالمتقنون والمعارضون والمنعصبون سوف تثور ثائرتهم كالعادة على كل ما هو جديد عليهم، ولكن رضا الله سبحانه هو الغاية ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم هو الأمل، وهو الذخر والكنز والرصيد يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ولنا مع كل ذلك رضا وتعزية المؤمنين الصادقين الذين عرفوا قدر الله وقدر رسوله (ص) قبل أن يعرفوا قدر الحكام والخلفاء والسلاطين.

أذكر أنني لقيتُ معارضة شديدة حتى اتهمتُ بالكفر والخروج عن الدين عندما انتقدتُ البخاري في تخريجه حديث لطم موسى لملك الموت وفقاً عنه، وقيل لي: من أنت حتى تنتقد البخاري؟ وأثاروا حولي ضجة وضوضاء وكأنني انتقدتُ آية من كتاب الله.

والحال أن الباحث إذا ما تحرر من قيود التقليد الأعمى والتعصب المقيت سوف يجد في البخاري ومسلم أشياء عجيبة وغريبة تعكس بالضبط عقلية العربي البدوي الذي مازال فكره جامداً يؤمن ببعض الخرافات والأساطير، ويميل فكره إلى كل ما هو غريب، وليس هذا بعيب ولا نتهمة بالتخلف الذهني فليس عصره البدائي هو عصر الأقمار الصناعية ولا التلفزيون والهاتف والصاروخ.

وإنما لا نريد أن يلصقَ ذلك بصاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم لأنَّ الفرق كبير والبون شاسع، فهو الذي بعثه الله في الأميين يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وبما أنه خاتم الأنبياء والمرسلين فقد علمه الله علم الأولين والآخرين.

كما نلفتُ القارئ الكريم بأن ليس كل ما في البخاري هو منسوب

إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد يخرج البخاري حديثاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يعقب عليه بآراء بعض الصحابة فيصبح القارىء يعتقد بأن ذلك الرأي أو الحديث هو لرسول الله في حين أنه ليس له.

أضربُ لذلك مثلاً:

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الجِيل باب في النكاح من جزئه الثامن صفحة 62 قال:

* عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تُنكِحُ البكرَ حتى تُسْتَأْذَنَ ولا الثيبُ حتى تُسْتَأْمَرَ. فقيل: يا رسول الله كيف إذنْها؟ قال: إذا سَكَتَتْ، وقالَ بعضُ الناسِ إن لم تُسْتَأْذَنِ البكرُ ولم تُزَوَّجْ فاحتالَ رجلٌ فأقامَ شاهِدَي زورٍ أنه تزَوَّجَها بِرِضاها فأثبتَ القاضِي نِكَاحَها والزَّوجُ يَعْلَمُ أَنَّ الشَّهادَةَ باطِلَةٌ فلا بأسَ أن يَطَّأها وهو تزويجٌ صحيحٌ، فانظر إلى قول البخاري (بعد حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم) وقال بعض الناس! فلماذا يُصبح قول بعض الناس (وهم مجهولون) بأن النكاح بشهادة الزور هو نكاح صحيح، فيتوهم القارىء بأن ذلك هو رأي الرسول، وهو غير صحيح.

مثال آخر - أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب مناقب المهاجرين وفضلهم من جزئه الرابع صفحة 203 عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنّا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدُّلُ بأبي بكرٍ أحداً ثم عُمرَ ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نُفاضل بينهم.

إنه رأي عبد الله بن عمر ولا يلزمُ به إلا نفسه، وإلا كيف يُصبح علي بن أبي طالب وهو أفضل الناس بعد رسول الله، لا فضل له ويعدُّه عبد الله بن عمر من سوقة الناس؟

ولذلك تجد عبد الله بن عمر يمتنع عن بيعة أمير المؤمنين ومولاهم،

فمن لم يكن علي وليه فليس بمؤمن^(١) والذي قال النبي في حقه: علي مع الحق والحق مع علي^(٢)، ويباع عدو الله ورسوله وعدو المؤمنين الحجاج بن يوسف الفاسق الفاجر، ونحن لا نريد العودة إلى مثل هذه المواضع، ولكن نريد فقط أن نظهر للقارئ نفسيات البخاري ومن كان على شاكلته فهو يخرج هذا الحديث في باب مناقب المهاجرين وكأنه يشعر من طرف خفي إلى القراء بأن هذا رأي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بينما هو رأي عبد الله بن عمر الذي ناصب العداة للإمام علي.

وسنبين للقارئ اللبيب موقف البخاري في كل ما يتعلق بعلي بن أبي طالب، وكيف أنه يحاول جهده كتمان فضائله وإظهار المثالب له.

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب حدثنا الحميدي قال: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان حدثنا جامع بن أبي راشد حدثنا أبو يعلى عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت، قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

نعم هذا الحديث وضعه على لسان محمد بن الحنفية وهو ابن الإمام علي بن أبي طالب، وهو كسابقه الذي روي عن لسان ابن عمر، والنتيجة في الأخير هي واحدة ولو خشى ابن الحنفية أن يقول أبوه: عثمان في الثالثة، ولكن رد أبيه «ما أنا إلا رجل من المسلمين» يفيد بأن عثمان أفضل منه لأنه ليس هناك من أهل السنة من يقول بأن عثمان ليس هو إلا رجل من المسلمين بل يقولون كما تقدم بأن أفضل الناس أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي (ص) لا تفاضل بينهم، والناس بعد ذلك سواسية.

(١) الصواعق المحرقة لابن حجر ص 107.

(٢) صحيح الترمذي ج 5 ص 297 مستدرک الحاكم ج 3 ص 124.

ألا تعجبون من هذه الأحاديث التي يخرجها البخاري وكلُّها ترمي إلى هدف واحد وهو تجريد علي بن أبي طالب من كل فضيلة إلا يفهم من ذلك بأن البخاري كان يكتب كل ما يرضي بني أمية وبني العباس وكل الحكام الذين قاموا على أنقاض أهل البيت. إنها حُججٌ دامغة لمن أراد الوقوف على الحقيقة.

البخاري ومسلم يذكران أي شيء لتفضيل أبي بكر وعمر

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب حدثنا أبو اليمان من جزئه الرابع صفحة 149.

وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال: «بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضر بها فقالت: إنا لم نخلق لهذا؛ إنما خلقنا للحرب فقال الناس: سبحان الله! بقرة تتكلم؟ فقال: «فلاني أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثم. «وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة، فطلبه حتى كأنه استنقذها منه، فقال له الذئب: ها إنك استنقذتها مني، فمن لها يوم السبع، يوم لا راعي لها غيري؟» فقال الناس، سبحان الله! ذئب يتكلم؟ قال: «فلاني أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثم.

وهذا الحديث ظاهر التكلف وهو من الأحاديث الموضوعة في فضائل الخليفين، وإلا لماذا يكذب الناس وهم صحابة رسول الله (ص) ما يقوله لهم حتى يقول في المرتين: أو من بهذا أنا وأبو بكر وعمر ثم أنظر كيف يؤكد الراوي على عدم وجود أبي بكر وعمر في المرتين، إنها فضائل مضحكة ولا معنى لها، ولكن القوم كالغرقى يتشبثون بالحشيش،

والوضاعون عندما لم يجدوا مواقف أو أحداث هامة تُذكر لهما، تتخيل أوهامهم مثل هذه الفضائل، فيجيب أغلبها أحلاماً وأواماً وتأولات. لا تقوم على دليل تاريخي أو منطقي أو علمي، كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم باب قول النبي (ص) لو كنت متخذاً خليلاً.

ومسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

* عن عمرو بن العاص، أن النبي صلى الله عليه وسلم، بعثه على جيش ذات السلاسل. فأنبته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من، قال: عمر بن الخطاب فعلاً رجلاً.

وهذه الرواية وضعها الوضاعون لما عرفوا أن التاريخ سجل في سنة ثمان من الهجرة (يعني مئتين قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم) بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث جيشاً فيه أبو بكر وعمر بقيادة عمرو بن العاص إلى غزوة ذات السلاسل، وحتى يقطعوا الطريق على من يريد القول بأن عمرو بن العاص كان مقدماً في المنزلة على أبي بكر وعمر، تراهم اختلفوا هذه الرواية على لسان عمرو نفسه للإشادة بفضل أبي بكر وعمر وأقحموا عائشة حتى يبعدوا الشك من ناحية وحتى تحظى عائشة بأفضلية مطلقة من ناحية أخرى.

ولذلك ترى الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم يقول: «هذا تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم، وفيه دلالة بيّنة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر ثم عمر على جميع الصحابة».

وهذه كأمثالها من الروايات الهزيلة التي لم يتورع الدجالون لوضعها حتى على لسان علي بن أبي طالب نفسه ليقطعوا بذلك على زعمهم حجة

الشيعة الذين يقولون بتفضيل علي بن أبي طالب على سائر الأصحاب من ناحية وليوهموا المسلمين بأن علياً لم يكن يتظلم ولا يتشكى من أبي بكر وعمر من ناحية أخرى، فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النبي (ص) باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص.

ومسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه.

* عن علي، عن ابن عباس قال: وضع عمرُ علي سريره، فتكنفهُ النَّاسُ، يدعون ويصلُّون قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يُرْعِنِي إِلَّا رَجُلٌ أَخَذَ مِنِّي، فإذا علي، فترحم علي عمر وقال: ما خلقت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيُّم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبتُ أنني كنتُ كثيراً ما أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر.

مركز تحقيق مكتبة نور

نعم هذا وضع ظاهر يشم منه رائحة السياسة التي لعبت دورها في إقصاء فاطمة الزهراء وعدم دفنها قرب أبيها رغم أنها أول اللاحقين به. وفات الراوي هنا أن يضيف بعد قوله ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر، وسأدفنُ أنا وأبو بكر وعمر.

ألا يتورع هؤلاء الذين يحتجون بمثل هذه الروايات الموضوعة التي يكذبها التاريخ والواقع. وكتب المسلمين مشحونة بتظلم علي وفاطمة الزهراء مما فعله أبو بكر وعمر طيلة حياتهما.

ثم تمعن في الرواية لترى بأن الراوي يصور علياً وكأنه رجلٌ أجنبي جاء ليتفرج على ميت غريب فوجد الناس يكتظون عليه يدعون ويصلون فأخذ بمنكب ابن عباس وكأنه همس في أذنه تلك الكلمات وانسحب، والمفروض أن يكون علي في مقدمة الناس وهو الذي يصلي بهم. ولا

يفارق عمر حتى يواريه في حفرته.

ولما كان الناس في عهد بني أمية يتسابقون في وضع الحديث بأمر من «أمير المؤمنين» معاوية الذي أراد أن يرفع قدر أبي بكر وعمر مقابل فضائل علي بن أبي طالب، فقد جاءت أحاديث الفضائل هزيلة مُضحكة ومتناقضة في بعض الأحوال حسب هوى الراوي فمنهم التيمي الذي كان لا يقدّم على أبي بكر أحداً ومنهم العدوي الذي لا يقدّم على عمر أحداً، وبنو أمية الذين كانوا معجبين بشخصية ابن الخطاب الجريء على النبي والفظ الغليظ الذي لا يتورّع من شيء ولا يهاب شيء فكانوا كثيراً ما يمدحونه ويضعون الأحاديث التي تفضّله على أبي بكر.

واليك أيها القارئ بعض الأمثلة.

أخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه.

وأخرج البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال.

• عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بينما أنا نائم رأيت الناس يُعرضون عليّ، وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، وعرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين.

وإذا كان تأويل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الرؤيا، هو الدين فمعنى ذلك أن عمر بن الخطاب أفضل من كل الناس لأن الدين بالنسبة إليهم لم يبلغ إلى الثدي وما تجاوز الدين قلوبهم، بينما عمر مليء بالدين من رأسه إلى أخمص قدميه وأكثر من ذلك فهو يجر الدين وراءه جرّاً. كما يجر القميص. فابن أبو بكر الصديق الذي يرجح إيمانه إيمان الأمة بأكملها؟

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب العلم باب فضل العلم.
وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر.

* عن ابن عمر، قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما أنا نائمُ أتيتُ بقدحِ لبنٍ، فشربتُ حتى إنِّي لأرى الريَّ يخرجُ في أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب، قالوا: فما أولتُه يا رسول الله؟ قال: العلم.

أقول فهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ وإذا كان ابن الخطاب قد فاق الأمة بأكملها أو الناس بأجمعهم في الدين بما فيهم أبو بكر، ففي هذه الرواية صراحة بأنه فاقهم أيضاً في العلم فهو أعلم الناس بعد الرسول (ص).

بقيت هناك فضيلة أخرى يتبارى الناس في التحلي بها والانتماء إليها وهي من الصفات الحميدة التي يحبها الله ورسوله (ص) ويحبها جميع الناس ويحاولون الوصول إليها ألا وهي الشجاعة فلا بدّ للرواة أن يضعوا فيها حديثاً لفائدة أبي حفص وقد فعلوا.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب فضائل أصحاب النبي (ص) باب قول النبي (ص) لو كنت متخذاً خليلاً.

وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر.

* عن أبي هريرة: قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: بينما أنا نائم رأيتني على قلب، عليها دَلْوٌ، فنزعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابنُ أبي قحافة فنزع بها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعفٌ، والله يغفرُ له ضعفه، ثم استحالت غرباً فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزعُ نزعَ عمر، حتى ضربَ الناسَ بعطّين.

فإذا كان الدين وهو مركز الإيمان والإسلام والتقوى والتقرب إلى الله

سبحانه قد حازه عمر بن الخطاب حتى جرّه وراءه بينما الناس لم يكن نصيبهم منه إلا ما يبلغ الثدي وبقيت أجسامهم عارية، وإذا كان العلم اختص به عمر بن الخطاب فلم يترك للناس شيئاً من فضل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ أعطاه إليه فشربه كله ولم يفكر حتى في صاحبه أبي بكر الصديق (وهو لا شك العلم الذي خول عمر أن يغير أحكام الله بعد وفاة النبي (ص)، باجتهاده ولا شك أن اجتهاده من فضل ذلك العلم) وإذا كانت القوة والشجاعة قد اختص بها ابن الخطاب أيضاً بعد الضعف الذي بدا على صاحبه أبي بكر وهذا صحيح، ألم يقل له أبو بكر مرة (لقد قلت لك أنك أقوى على هذا الأمر مني ولكنك غلبتني) فيغفر الله لأبي بكر لضعفه ولتقدمه في الخلافة عليه، لأن أنصار عمر من بني عدي وبني أمية ما رأوا رخاءً وانتفاعاً وغنائم وفتوحات مثل ما رأوه في زمانه.

نعم كل هذا فضل عمر بن الخطاب في الحياة الدنيا فلا بد أن يضمنوا له الجنة في الآخرة أيضاً بمرتبة أكبر وأفضل من صاحبه أبي بكر. وقد فعلوا.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة وأخرج مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر.

* عن أبي هريرة: رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ قال: «بينما أنا نائم»، رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مذبراً، فبكى عمر، وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟

أخي القارئ، أظنك فطنت إلى تنسيق هذه الروايات المكذوبة وقد سطرّت على كل منها تحت عبارة واحدة مشتركة في كل الروايات التي

اختصت بفضائل عمر بن الخطاب ألا وهي قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وحاشاه طبعاً) بينما أنا نائم فتجدها دائماً في كل الروايات بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليّ بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن، بينما أنا نائم رأيتني على قليب وبينما أنا نائم رأيتني في الجنة. ولعلّ راو الحديث كان كثير الحلم والأضغاث فكان يتأول ويختلق الروايات على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكم كُذِبَ عليه في حياته وهو موجود بين ظهرانيهم فكيف بعد وفاته وقد انحرفت الأمة وتقاتلوا وأصبحوا مذاهب وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون. ولكن بقي شيء واحد سجّله المؤرخون والصحابّة الذين كانوا من أنصار عمر بن الخطاب نفسه ألا وهو الخلق الذي كان يمتاز به عمر في الغلظة والفظاظة والشدة على الناس وحدة الطبع، ومن كان هذا طبعه عادة لا يحبّه الناس قال تعالى: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: 159]. ولكن المعجبين بعمر يقبّلون الموازين ويجعلون من النقيصة منقبة ومن الرذيلة فضيلة، فقد عمدوا إلى اختلاق رواية في شدة السخافة والبلاهة والمسّ بكرامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يشهد الله سبحانه بأنه ليس فظاً ولا غليظاً وإنما هو لين الطبع - فبما رحمة من الله لنت لهم - وإنك لعلی خلق عظيم - بالمؤمنين رؤوف رحيم - ورحمة للعالمين - فلنستمع إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون فيه.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده وأخرج مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر.

* عن سعد بن أبي وقاص، قال: استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه، ويستكثرنه، عالية أصواتهن؛ فلما استأذن عمر قمن يتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله؟ قال: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن

صوتك ابتدرن الحجاب. قال عمر: فانت يا رسول الله كنت أحتق أن يهين، ثم قال: أي عديّات أنفسهن! أتتهبتي ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلن: نعم! أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك.

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً أنظر إلى فظاعة الرواية وكيف أن النساء يهين عمر ولا يهين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرفعن أصواتهن فوق صوت النبي (ص) ولا يحترمنه فلا يحتجبن بحضرته وبمجرد سماع صوت عمر سكتن وابتدرن الحجاب، عجبنا والله من أمر هؤلاء الحمقى الذين لا يكفيهم كل ذلك حتى ينسبون إليه أنه فظ غليظ بكل صراحة. لأن عمر أفظ وأغلظ من رسول الله (ص) فهي من أفعال التفضيل فإن كانت هذه فضيلة لرسول الله (ص) فعمر أفضل منه. وإن كانت رذيلة فكيف يقبل المسلمون وعلى رأسهم البخاري ومسلم مثل هذه الأحاديث.

ثم لم يكفيهم كل ذلك حتى جعلوا الشيطان يلعب ويمرح بحضرة النبي (ص) ولا يخافه فلا شك أن الشيطان هو الذي استفز النسوة حتى يرفعن أصواتهن ويخلعن حجابهن، ولكن الشيطان هرب وسلك فجاً آخر بمجرد دخول عمر بيت الرسول (ص).

هل رأيت أيها المسلم الغيور ما هي قيمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندهم، وكيف أنهم يقولون من حيث يشعرون أو لا يشعرون بأن عمر أفضل منه. وهو بالضبط ما يقع اليوم عندما يتحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعتدون أخطائه المزعومة ويبررون ذلك بأنه بشر غير معصوم وبأن عمر كثيراً ما كان يصلح أخطائه، وأن القرآن كان ينزل بتأييد عمر في العديد من المرات، ويستدلون بعيسى وتولى وتأبير النخل وبأسرى بدر وغيرها.

ولكنك عندما تقول أمامهم بأن عمر أخطأ في تعطيل سهم المؤلفة قلوبهم. أو في تحريم المتعتين أو في التفضيل في العطاء فإنك ترى أوداجهم تنتفخ وأعينهم تحمر ويتهمونك بالخروج عن الدين ويقال لك من أنت يا هذا حتى تنتقد سيدنا عمر الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل. وما عليك إلا أن تسلم ولا تحاول الكلام معهم ثانية وإلا قد يلحقك منهم الأذى.

البخاري يدلس الحديث حفاظاً على كرامة عمر بن الخطاب

نعم إن الباحث إذا ما تتبع أحاديث البخاري لا يفهم الكثير منها وتبدو كأنها ناقصة أو مقطعة وأنه يخرج نفس الحديث بنفس الأسانيد ولكنه في كل مرة يعطيه ألفاظاً مختلفة في عدة أبواب. كل ذلك لشدة حبه لعمر بن الخطاب. ولعل ذلك هو الذي رغب أهل السنة فيه فقدّموه على سائر الكتب رغم أن مسلماً أضبّط وكتابه مرتب حسب أبواب، إلا أن البخاري عندهم أصح الكتب بعد كتاب الله لأجل هذا ولأجل انتقاصه فضائل علي بن أبي طالب، فالبخاري عمل من جهة على تقطيع الحديث وبتره إذا كان فيه مسّ بشخصية عمر، كما عمل نفس الأسلوب مع الأحاديث التي تذكر فضائل علي. وسنوافيك ببعض الأمثلة على ذلك قريباً إن شاء الله.

بعض الأمثلة على تدليس الحديث التي فيها حقائق تكشف عن عمر بن الخطاب

١- أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الحيض باب التيمم قال: جاء رجل إلى عمر فقال: إني أجنب فلم أجد ماء؟ فقال عمر: لا تصل فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبنا فلم نجد ماء فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك، فقال عمر: إئت الله يا عمار! قال: إن شئت لم

أحدث به. وأخرج هذه الرواية كل من أبي داود في سننه وأحمد بن حنبل في مسنده والنسائي في سننه والبيهقي وابن ماجه أيضاً.

ولكن البخاري خان الأمانة أمانة نقل الحديث كما هو ومن أجل الحفاظ على كرامة عمر دلس الحديث لأنه لم يعجبه أن يعرف الناس جهل الخليفة بأبسط قواعد الفقه الإسلامي وإليك الرواية التي تصرف فيها البخاري.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب التيمم باب التيمم هل ينفخ فيهما.

* قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، فقال: إني أجنب فلم أصب الماء، فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت... الحديث.

وهو كما ترى حذف منه البخاري «فقال عمر: لا تصل» لأنها أربكت ولا شك البخاري فحذفها ونخلص منها لئلا يكشف للناس عن مذهب عمر الذي كان يرثيه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واجتهاده مقابل نصوص القرآن والسنة. وبقائه على مذهبه هذا حتى بعد ما أصبح أميراً للمؤمنين وأخذ ينشر مذهبه في أوساط المسلمين وقد قال ابن حجر: «هذا مذهب مشهور عن عمر» والدليل على أنه كان يشدد على ذلك قول عمار له: إن شئت لم أحدث به. فافقروا واعجب.

2- أخرج الحاكم النيسابوري في المستدرک من جزئه الثاني صفحة 514 وصححه الذهبي في تلخيصه.

* عن أنس بن مالك قال: إن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر قوله: فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلًا وحدائق غلباً وفاكهة وأباً، قال: كل هذا عرفناه فما الأب، ثم قال: هذا لعمر الله هو التكلف فما عليك أن لا تدري ما الأب، اتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به وما لم

تعرفوه فكلوه إلى ربّه.

وهذه الرواية قد نقلها أغلب المفسرين في كتبهم وتفسيرهم لسورة عبس كالسيوطي في الدر المنثور والزمخشري في الكشاف، وابن كثير في تفسيره. والرازي في تفسيره والخازن في تفسيره.

ولكن البخاري وكعادته حذف الحديث وأبتره لئلا يعرف الناس جهل الخليفة بمعنى الأب فروى الحديث كالآتي.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه وقول الله تعالى لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم.

• عن أنس بن مالك قال: كنا عند عمر فقال: نهينا عن التكلف. نعم هكذا يفعل البخاري بكل حديث يشم منه انتقاصاً من عمر فكيف يفهم القارئ من هذا الحديث المبتور حقيقة الأشياء فهو يستر جهل عمر بمعنى الأب ويقول فقط قال: نهينا عن التكلف.

3- أخرج ابن ماجه في سننه ج 2 ص 227 والحاكم في المستدرک ج 2 ص 59 وأبو داود في سننه ج 2 ص 402 والبيهقي في سننه ج 6 ص 264 وابن حجر في فتح الباري وغيرهم.

• عن ابن عباس أنه قال: أتى عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناساً فأمر بها أن تُرجم، فمرّ بها علي بن أبي طالب فقال: ما شأنها؟ قالوا: مجنونة بني فلان زنت، فأمر بها عمر أن تُرجم قال: ارجعوا بها ثم أتاه فقال: ألم تعلم أن القلم رُفِعَ عن المجنون حتى يغفل، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم؟

فخلى عنها عمر وقال: لولا عليّ لهلك عمر (ابن الجوزي في تذكرته ص 75). ولكن البخاري أربكته هذه الرواية فكيف يعرف الناس جهل عمر

بأمور الحدود التي رسمها كتاب الله وبينها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف يتأسف على منصة الخلافة من كانت هذه حاله، ثم كيف يذكر البخاري هذه الرواية وفيها فضيلة لعلي بن أبي طالب الذي كان يسهر على تعليمهم ما يجهلون، واعتراف عمر بقوله أنه لولا علي لهلك عمر. فلننظر للبخاري كيف يحرف الرواية ويدلسها.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب لا يَرَجُمُ المجنون والمجنونة «قال البخاري بدون ذكر أي سند». * وقال عليُّ لعمرَ أما علمتَ أن القَلَمَ رُفِعَ عن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يُدرِكَ وعن النائم حتى يستيقظ.

نعم هذا مثالٌ حيٌّ لتصرف البخاري في الأحاديث فهو يتر الحديث إذا كان فيه فضيحة لعمر.

ويُتر الحديث أيضاً إذا كان فيه فضيلة أو منقبة للإمام علي فلا يطبق تخريجه.

4- أخرج مسلم في صحيحه من كتاب الحدود باب حدّ شارب الخمر.

* عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجلٍ قد شرب الخمر، فجلده بجريدين نحو أربعين، قال: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر، استشار الناس، فقال عبد الرحمن بن عوف: أخفّ الحدود ثمانين، فأمر به عمر.

والبخاري كعادته لا يريد إظهار جهل عمر بالحكم في الحدود وكيف يستشير الناس في حدّ معلوم فعلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم فعله بعده أبو بكر.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الحدود باب ما جاء في ضرب شارب الخمر.

• عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب في الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر أربعين.

5- أخرج المحدثون والمؤرخون الذين أرخوا مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته وكيف طلب منهم أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً وهو ما سُمي برزية يوم الخميس، وكيف أن عمر بن الخطاب عارض وقال بأن رسول الله يهجر - والعياذ بالله - .

وقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الجهاد باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم.

وأخرجه مسلم في صحيحه من كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه.

• عن ابن عباس رضي الله عنه، أنه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحضباء، فقال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس، فقال: «اثنوني بكتاب، أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» وأوصى عند موته بثلاث: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» ونسبت الثالثة.

نعم هذه هي رزية يوم الخميس التي لعب فيها عمر دور البطولة فعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنعه أن يكتب ويترك الكلمة الفاحشة التي تعارض كتاب الله ألا وهي أن النبي يهجر والبخاري ومسلم نقلها هنا بالعبارة الصحيحة التي نطق بها عمر ولم يُبدلها ما دام اسم عمر غير وارد ونسبة هذا القول الشنيع للمجهول لا يضر.

ولكن عندما يأتي اسم عمر في الرواية التي تذكر بأنه هو الذي تلفظ بها يصعب ذلك على البخاري ومسلم أن يتركاها على حالها لأنها تفضح

الخليفة وتظهره على حقيقته العارية وتكشف عن مدى جرأته على مقام الرسول (ص) والذي كان يعارضه طيلة حياته في أغلب القضايا وعرف البخاري ومسلم ومن كان على شاكلتهم بأن هذه الكلمة وحدها كافية لإثارة عواطف كل المسلمين حتى أهل السنة ضدّ الخليفة، فعمدوا إلى التدليس، فهي مهنتهم المعروفة لمثل هذه القضايا وأبدلوا كلمة «يهجر» بكلمة «غلب عليه الوجع» - ليعيدوا بذلك تلك العبارة الفاحشة وإليك ما أخرجه البخاري ومسلم في نفس موضوع الرزية.

* عن ابن عباس، قال: لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي صلى الله عليه وسلم: هلمّ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. فاختلف أهل البيت فاختصموا، منهم من يقول: قاربوا يكتب لكم النبي كتاباً لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم: قوموا - قال عبد الله بن مسعود - فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم^(١).

وبما أن مسلماً أخذها عن أستاذه البخاري فنحن نقول للبخاري مهما هذبت العبارة ومهما حاولت تغطية الحقائق فإن ما أخرجه كافٍ وهو حجة عليك وعلى سيدك عمر. لأن لفظ «يهجر» ومعناه يهذي - أو «قد غلب عليه الوجع» - تؤذي إلى نفس النتيجة لأن المتمعن يجد أن الناس حتى اليوم يقولون «مسكين فلان تغلبت عليه الحمى حتى أصبح يهذي».

وخصوصاً إذا أضفنا إليها كلامه «عندكم القرآن حسبنا كتاب الله»

(١) صحيح البخاري كتاب المرضى باب قول المريض قوموا عني ج ٧ ص ٩، صحيح مسلم في كتاب الوصية باب ترد الوصية ج ٥ ص ٧٦.

ومعنى ذلك أن النبي (ص) انتهى أمره وأصبح وجوده كالعدم.

وأنا أتحدّى كل عالم له ضمير أن يتمعن فقط في هذه الواقعة بدون رواسب وبدون خلفيات فسوف تثور ثائرتة على الخليفة الذي حرم الأمة من الهداية وكان سبباً مباشراً في ضلالتها.

ولماذا نخشى من قول الحق مادام فيه دفاع عن رسول الله (ص) وبالتالي عن القرآن وعن المفاهيم الإسلامية بأكملها، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي، وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44]. فلماذا يحاول بعض العلماء حتى اليوم في عصر العلم والنور جهدهم تغطية الحقائق بما يخلقونه من تأويلات متكلفة لا تُسَمِّنُ ولا تُغْنِي من جوع.

فإليك ما ابتكره العالم محمد فؤاد عبد الباقي في شرحه لكتاب «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» عند إيراد حديث رزية يوم الخميس قال «يشرح الواقعة»^(١).

- اتتوني بكتاب: أي اتتوني بأدوات كتاب كالقلم والدواة، أو أراد بالكتاب ما من شأنه أن يكتب فيه نحو الكاغد والكتف؛ والظاهر أن هذا الكتاب الذي أراده إنما هو في النصر على خلافة أبي بكر لكنهم لما تنازعوا واشتد مرضه صلى الله عليه وسلم عدل عن ذلك، معولاً على ما أصَّله من استخلافه في الصلاة. (ثم أخذ يشرح معنى هَجَرَ). قال: هجر: ظن ابن بطال أنها بمعنى اختلط، وابن التين أنها بمعنى هَذَى؛ وهذا غير لائق بقدره الرفيع، ويحتمل أن يكون المراد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هجركم، من الهجر الذي هو ضد الوصل، لما قد ورد عليه من الواردات الإلهية، ولذا قال: في الرفيق الأعلى، وقال ابن الأثير إنه على سبيل

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ج 2 ص 166.

الاستفهام وحذفت الهمزة، أي هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من المرض، وهذا أحسن ما يقال فيه، ولا يجعل إخباراً فيكون إماً من الفحش أو الهذيان، والقائل كان عمر ولا يُظن به ذلك» انتهى كلامه.

ونحن نرد عليك يا سيادة العالم الجليل أن الظن لا يُغني عن الحق شيئاً ويكفينا اعترافك بأن قائل هذا الفحش هو عمر! ومن أنباك بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يكتب خلافة أبي بكر؟ وهل كان عمر ليعترض على ذلك؟ وهو الذي شيد أركان الخلافة لأبي بكر وحمل الناس عليها غضباً وقهراً حتى هدد بحرق بيت الزهراء وهل هناك من ادعى هذا غيرك يا سيادة العالم الجليل؟

والمعروف عند العلماء قديماً وحديثاً بأن علياً بن أبي طالب هو المرشح للخلافة من قبل الرسول (ص) إن لم يعترفوا بالنص عليه. ويكفيك ما أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب الوصايا من جزئه الثالث صفحة 186، قال: ذكروا عند عائشة أن علياً رضي الله عنهما كان وصياً فقالت: متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري فدعا بالطست فلقد انخنت في حجري فما شعرت أنه قد مات فمتى أوصى إليه؟

والبخاري أخرج هذا الحديث لأن فيه إنكار الوصية من طرف عائشة وهذا ما يعجب البخاري، ولكن نحن نقول بأن الذين ذكروا عند عائشة أن رسول الله أوصى لعلي، صادقين لأن عائشة لم تكذبهم ولم تنف هي نفسها الوصية ولكنها سألت كالمستكرة متى أوصى إليه؟ ونجيبها بأنه أوصى إليه بحضور أولئك الصحابة الكرام وفي غيابها هي، ولا شك بأن أولئك الصحابة ذكروا لها متى أوصى إليه ولكن الحكام المتسلطين منعوا ذكر مثل هذه المحاجبات كما منعوا ذكر الوصية الثالثة ونسوها، وقامت السياسة على طمس هذه الحقيقة على أن عمر نفسه صرح بأنه منع رسول الله (ص) من كتابة الكتاب لعلمه بأنه يختص بخلافة علي بن أبي طالب، وقد أخرج ابن أبي الحديد، الحوار الذي دار بين عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس،

وفيه قال عمر وهو يسأل ابن عباس: هل بقي في نفس علي شيء من أمر الخلافة؟ فقال ابن عباس: نعم، فقال عمر: ولقد أراد رسول الله في مرضه أن يصرح باسمه فمنعته من ذلك إشفافاً وحيطة على الإسلام^(١).

فلماذا تتهرب يا سيادة العالم من الواقع، وبدلاً من إظهار الحق، بعدما ولّى عصر الظلمات مع بني أمية وبني العباس، ها أنتم تزيدون تلك الظلمات غشاوة وأستاراً فتحجبوا غيركم عن إدراك الحقيقة والوصول إليها، وإن كنت قلت الذي قلت عن حسن نية فإني أسأل الله سبحانه أن يهديك ويفتح بصيرتك.

6- كما أن البخاري فعل الكثير من أجل تبديل وتدليس وتخليط الأحاديث النبوية التي يشعر من خلالها أن هناك توهيناً وانتقاصاً لهيبة أبي بكر وعمر، فها هو يعمد إلى حادثة تاريخية مشهورة قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً لم يعجب الإمام البخاري فأعفاه تماماً وكمالاً، لأنه يرفع مكانة علي على حساب أبي بكر.

فقد روى علماء السنة في صحاحهم ومسانيدهم، كالترمذي في صحيحه والحاكم في مستدركه وأحمد بن حنبل في مسنده والإمام النسائي في خصائصه، والطبري في تفسيره، وجلال الدين السيوطي في تفسيره الدر المنثور، وابن الأثير في تاريخه، وصاحب كنز العمال والزمخشري في الكشاف، وغير هؤلاء كثيرون. أخرجوا كلهم:

«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر رضي الله عنه وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات (وهي براءة من الله ورسوله...)، ثم أتبعه علياً رضي الله عنه وأمره أن ينادي بها هو. فقام علي رضي الله عنه في أيام التشريق فنادى: «إن الله برىء من المشركين ورسوله، فسيحوا في الأرض

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج ١٢ ص ٢١ وذكر ابن أبي الحديد أن الخبر نقله أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسنداً.

أربعة أشهر، ولا يحجَّ بعد العام مشرك ولا يطوفُ بالبيت عريان، ورجع أبو بكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله نزل في شيء؟ قال: لا ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدِّي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك.

لكن البخاري كعادته دائماً أخرج الحادثة بطريقته المعروفة والمألوفة، قال في صحيحه من كتاب تفسير القرآن باب قوله: فسيحوا في الأرض أربعة أشهر.

* قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمعنى أن لا يحجَّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن ثم أردف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذِّن ببراءة، قال أبو هريرة فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى براءة وأن لا يحجَّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان^(١).

فانظر أيها القارئ كيف تتم عملية التشويه للأحاديث والأحداث حسب الأغراض والأهواء المذهبية، فهل هناك شبه بين ما رواه البخاري في هذه القضية، وما رواه غيره من المحدثين والمفسرين من علماء أهل السنة.

والبخاري هنا يجعل أبا بكر هو الذي بعث أبا هريرة ومؤذنين يؤذنون بمعنى أن لا يحجَّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. ثم يدخل قول حميد بن عبد الرحمن بأن رسول الله أردف بعلي بن أبي طالب وأمره أن يؤذِّن ببراءة.

ثم يأتي من جديد قول أبي هريرة بأن علي شاركهم في الأذان يوم النحر ببراءة وأن لا يحجَّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

وبهذا الأسلوب قضى البخاري على فضيلة علي بن أبي طالب في أنه

(١) صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٠٢ كتاب تفسير القرآن سورة براءة.

هو الذي أردفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليبلغ عنه براءة بعدما جاءه جبرئيل وأمره عن الله بعزل أبي بكر من تلك المهمة وقال له: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك. فصعب على البخاري أن يعزل أبو بكر بوحي من الله تعالى ويُقدّم علياً بن أبي طالب عليه وهذا ما لا يرتضيه البخاري أبداً فعمد إلى الرواية فذلّسها كغيرها من الروايات.

وكيف لا يتنبه الباحث لهذا الدس والتزوير وخيانة الأمانة العلمية خصوصاً وهو يقرأ أن أبا هريرة يقول: بعثني أبو بكر في تلك الحجّة في مؤذنين بعثهم يوم النحر! فهل كان أبو بكر هو الذي يُسير الأمور حتى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وكيف أصبح المبعوث هو الباعث الذي يختار مؤذنين من بين الصحابة يا ترى؟

وتمعن في أسلوب البخاري كيف قلب كل شيء فأصبح علي بن أبي طالب - المبعوث من قبل النبي (ص) لأداء تلك المهمة التي لا يصلح لها سواه - أصبح شريك النداء مع أبي هريرة وبقية المؤذنين دون التعرّض لعزل أبي بكر ولا رجوعه يبكي (كما في بعض الروايات) ولا التعرّض إلى قول النبي (ص) جاءني جبرئيل فقال: لن يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك.

لأن ذلك الحديث هو بمثابة وسام الشرف الذي قلّده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن عمه ووصيه على أمته علي بن أبي طالب، ثم هو صريح بأن ذلك ما جاء به جبرئيل حسب الحديث النبوي، فلا يبقى بعده مجال للمتاولين أمثال البخاري في أنه رأي محمد (ص) الذي هو كسائر البشر والذي يُخطئ كغيره، فالأولى للبخاري حينئذ أن يُبعد هذه الرواية وي طرحها كلياً من حسابه كما طرح غيرها.

فتراه يخرج في صحيحه في كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا ما صلح فلان بن فلان قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب «أنت مني وأنا منك» في قضية اختصام علي وجعفر وزيد على ابنة

حمزة، في حين أن ابن ماجه والترمذي والنسائي والإمام أحمد وصاحب كثر العمال كلهم يخرجون قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «علي مني وأنا من علي، ولا يؤذي عني إلا أنا أو علي»^(١) قالها في حجة الوداع، ولكن أنى للبخاري أن يخرج ذلك.

٧- أضف إلى ذلك أن الإمام مسلم أخرج في صحيحه من كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق.

* عن علي قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق. وأكد المحدثون وأصحاب السنن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي «ولا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق».

أخرجه الترمذي في صحيحه والنسائي في سننه، ومسند أحمد بن حنبل والبيهقي في سننه والطبري في ذخائر العقبى - وابن حجر في لسان الميزان ولكن البخاري رغم ثبوت هذا الحديث عنده والذي أخرجه مسلم ورجاله كلهم ثقة، لم يخرج هذا الحديث لأنه فكر ثم قدر، بأن المسلمين سيعرفون نفاق كثير من الصحابة ومن المقربين للرسول (ص).

بهذه الإشارة التي رسمها من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، كما أن الحديث في حد ذاته فضيلة كبرى لعلي وحده دون سائر الناس إذ به يفرق الحق من الباطل ويعرف الإيمان من النفاق، فهو آية الله العظمى وحبته الكبرى على هذه الأمة وهو الفتنة التي يختبر الله بها أمة محمد (ص) بعد نبيها، ورغم أن النفاق هو من الأسرار الباطنية التي لا

(١) سنن ابن ماجه ج ١ ص ٤٤ الجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٣٠٠، النسائي في الخصائص ص ٢٠ مسند أحمد ج ٥ ص ٣٠، المناقب للخوارزمي ص ٧٩، تذكرة الخواص لابن الجوزي ص ٣٦ الصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢٠.

يَطْلَعُ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَلَا يَعْرِفُهَا إِلَّا عَلَامُ الْغُيُوبِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ تَفَضَّلَ مِنْهُ وَرَحِمَهُ بِهِذِهِ الْأُمَّةَ وَضَعَ لَهَا عَلَامَةً لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَنْجُو مَنْ نَجَا عَنْ بَيِّنَةٍ.

وَأَضْرَبُ لِلذَّكَاءِ مِثَالاً وَاحِداً عَلَى ذَكَاءِ الْبَخَارِيِّ وَفَطْتِهِ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، وَلِذَلِكَ أَعْتَقَدُ شَخْصِيّاً بِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنَ الْأَسْلَافِ فَضَّلُوهُ وَقَدَّمُوهُ لِهَذِهِ الْخَاصِيَّةِ الَّتِي يَمْتَّازُ بِهَا عَلَى غَيْرِهِ، فَهُوَ يَحَاوِلُ جَهْدَهُ أَنْ لَا يَتَنَاقَضَ بِأَحَادِيثٍ تَخَالِفُ مَذْهَبَهُ الَّذِي اخْتَارَهُ وَتَبَنَاهُ.

فَقَدْ أَخْرَجَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ الْهَبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيفِ عَلَيْهَا بَابَ هَبَةِ الرَّجُلِ لَامْرَأَتِهِ وَالْمَرَأَةِ لِرَوْجِهَا.

* قَالَ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاشْتَدَّ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمْرَضَ فِي بَيْتِي فَأِذْنُ لَهُ فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخَطَّ رَجُلَاهُ الْأَرْضَ وَكَانَ بَيْنَ الْعَبَّاسِ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ. فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ فَذَكَرْتُ لِأَبْنِ عَبَّاسٍ مَا قَالَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ لِي وَهَلْ تَدْرِي مِنَ الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ قُلْتُ: لَا! قَالَ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ بِالضَّبْطِ أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ بِمُسْنَدٍ صَحِيحٍ فِي جُزْئِهِ الثَّانِي فِي صَفْحَةِ 29 وَكَذَلِكَ صَاحِبُ السِّيَرَةِ الْحَلَبِيَّةِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ السُّنَنِ وَفِيهِ «إِنَّ عَائِشَةَ لَا تَطْلُبُ لَهُ نَفْساً بِخَيْرٍ».

وَالْبَخَارِيُّ أَسْقَطَ هَذِهِ الْجُمْلَةَ الَّتِي يَسْتَفَادُ مِنْهَا أَنَّ عَائِشَةَ تَبْغِضُ عَلِيّاً وَلَا تَطْلِقُ ذِكْرَ اسْمِهِ. وَلَكِنْ فِيمَا أَخْرَجَهُ كِفَايَةُ وَدَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ لِمَنْ لَهُ دِرَايَةٌ بِمَعَارِضِ الْكَلَمِ؛ وَهَلْ يَخْفَى عَلَى أَيِّ بَاحِثٍ قَرَأَ التَّارِيخَ وَمَحْصَةَ بَغْضِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ لِسَيِّدِهَا وَمَوْلَاهَا^(١) عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى أَنَّهَا عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا

(١) أَخْرَجَ ابْنُ حَجَرٍ فِي الصَّوَاغِقِ الْمَحْرُوقَةِ ص 107: قَالَ: اخْتَصَمَ أُعْرَابِيَّانَ إِلَى عَمْرِو، فَالْتَمَسَ »

خَبِرُ قَتْلِهِ سَجَدْتُ شُكْرًا لِلَّهِ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَغَفَرَ لَهَا كَرَامَةً لَزُوجِهَا . وَنَحْنُ لَا نَضِيقُ رَحْمَةَ اللَّهِ الَّتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَكَانَ بَوْدُنَا لَوْ لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْحُرُوبُ وَالْفِتَنُ وَالْمَآسِي الَّتِي تَسَبَّبَتْ فِي تَفْرِيقِنَا وَتَشْتِيتِ شَمْلَنَا وَذَهَابِ رِيحِنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا الْيَوْمَ طَعْمَةَ الْأَكْلِينَ وَهَدَفَ الْمُسْتَعْمَرِينَ وَضَحِيَّةَ الظَّالِمِينَ ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

انتقاصُ أهل البيت روايات تُعجب البخاري

ومع الأسف الشديد أن الإمام البخاري اختار طريقه وسلك سبيله ضمن مدرسة الخلفاء التي شيدتها السلطة الحاكمة، أو أن تلك المدرسة هي التي اختارت البخاري وأمثاله وصنعت منهم ركائز وأركان ورموز لتدعيم سلطانهم وترويج مذهبهم وتصريف اجتهاداتهم التي أصبحت في عهد الأمويين والعباسيين سوقاً رائجة وسلعة رابحة لكل العلماء الذين تسابقوا وتباروا لتأييد الخليفة بكل أساليب الوضع والتدليس الذي يتماشى والسياسة القائمة، كل ذلك لينالوا عند الحاكم الجاه والمال، فباعوا أخراهم بديناهم فما ربحت تجارتهم ويوم القيامة يندمون ويخسرون.

فالناس ناس، والزمان زمان، فأنت ترى اليوم نفس الأساليب ونفس السياسة، فكم من عالم جليل هو حبيس داره لا يعرفه الناس. وكم من جاهل ترتع على منبر الخطابة وإمامة الجماعة والتحكم بمصير المسلمين لأنه من المقربين الذين نالوا رضا النظام وتأييده وإلا قل لي بربك كيف يفسر عزوف البخاري عن أهل بيت النبي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟ كيف يفسر عداوة البخاري لهدي الأئمة الذين عاصر وعاش البعض منهم زمن البخاري ولم يرو عنهم إلا ما هو مكذوب عليهم للحط

* من علي القضاء بينهما، فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتلابيبه، وقال: ويحك ما تدري من هذا؟ هذا مولاك ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن.

من قدرهم السامي والظعن في عصمتهم الثابتة بالقرآن والسنة، وسنوافيك ببعض الأمثلة على ذلك.

ثم إن البخاري ولى وجهه شطر النواصب والخوارج الذين حاربوا أهل البيت وقتلوهم فتراه يروي عن معاوية وعن عمرو بن العاص وعن أبي هريرة وعن مروان بن الحكم وعن مقاتل بن سليمان الذي عُرف بالذجال، وعن عمران بن حطان عدو أمير المؤمنين وعدو أهل البيت، شاعر الخوارج يخطيهم الذي كان يتغنى بمدحه لابن ملجم المرادي على قتله علي ابن أبي طالب.

كما كان البخاري يحتج بحديث الخوارج والمرجئة والمجسمة وبعض المجاهيل الذين لا يعرف الدهر لهم وجوداً.

وقد جاء في صحيحه إضافة إلى الكذب والتدليس من الرواة المشهورين بذلك، بعض الروايات السخيفة والبشعة. مثال ذلك ما رواه في صحيحه من كتاب النكاح باب ما يحل من النساء وما يحرم وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾ إلى آخر الآية.

قال في آخر الباب: لقوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ﴾، وقال عكرمة عن ابن عباس إذا زنى بأخت امرأته لم تحرم عليه امرأته، ويروى عن يحيى الكندي عن الشعبي وأبي جعفر فيمن يلعب بالصبي إن أدخله فيه فلا يتزوجن أمه.

وقد علق على هذا الكلام شارح البخاري في الهامش بقوله: اللائق بمنصب العلماء أن يجلّوا قدرهم عن كتب مثل هذا الكلام والتفوه به.

كما أخرج في صحيحه من كتاب تفسير القرآن باب نساؤكم حرث لكم عن نافع قال كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، فأخذت عليه يوماً فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان،

قال: تدري فيما أنزلت؟ قلت: لا، قال: أنزلت في كذا أو كذا، ثم مضى.

وعن نافع عن ابن عمر، فأتوا حرثكم أنى شئتم قال: يأتيها في... وعلق الشارح بقوله: قوله في... بحذف المجرور وهو الظرف أي في الدبر، قيل وأسقط المؤلف ذلك لاستنكاره كذا في الشارح⁽²⁾.

كنت يوماً في جامعة السربون بباريس أتحدث عن أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلقه العظيم الذي تحدث عنه القرآن وعُرف به النبي (ص) حتى قبل البعثة فسموه الصادق الأمين ودامت المحاضرة ساعة تقريباً أوضحت خلالها بأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مُحارباً ولا غاصباً لحقوق الإنسان في تقرير مصيره، وفرض دينه بالقوة والقهر كما يدعي بعض المستشرقين.

وخلال المناقشة التي شارك فيها نخبة من الأساتذة والدكاترة المختصين بالإسلام وتاريخ المسلمين وجلهم مستشرقون. وانتصرت نوعاً ما على المناوئين الذين أثاروا بعض الشبهات، ولكن أحدهم وهو عربي مسيحي طاعن في السن (أعتقد أنه لبناني) اعترض عليّ بأسلوب فيه خبث ودهاء فكاد يقلب انتصاري إلى هزيمة نكراء.

قال هذا الدكتور بلسان عربي فصيح، بأن ما ذكرته في المحاضرة فيه كثير من المبالغة وبالأخص فيما يتعلق بعصمة النبي إذ أن المسلمين أنفسهم لا يوافقونك على ذلك، وحتى محمد نفسه لا يوافق على ذلك، فقد قال عديد المرات، بأنه بشرٌ يجوز عليه الخطأ وقد سجل له المسلمون أخطاءً عديدة نحن في غنى عن التعريف بها وكتب المسلمين الصحيحة والمعتمدة عندهم تشهد على ذلك، ثم قال: وأما بخصوص الحروب فما

(1) صحيح البخاري الجزء السادس صفحة 127.

(2) صحيح البخاري الجزء الخامس صفحة 160.

على حضرة المحاضر إلا مراجعة التاريخ ويكفي أن يقرأ فقط كتب الغزوات التي قام بها محمد في حياته، ثم واصلها الخلفاء الراشدون بعد وفاته حتى وصلوا إلى (Poitier) مدينة بواتيه بغرب فرنسا وفي كلها كانوا يفرضون دينهم الجديد على الشعوب بالقهر وقوة السيف.

وقابل الحاضرون كلامه بالتصفيق مؤيدين مقالته وحاولت بدوري إقناعهم بأن ما ذكره الدكتور المسيحي غير صحيح وإن أخرجه المسلمون في كتبهم، وارتفعت ضجة من الضحك في القاعة استهزاء وسخرية مني. وتدخل الدكتور المسيحي من جديد ليقول لي بأن ما ذكره ليس من الكتب المطعون فيها وإنما هو في صحيح البخاري ومسلم.

وقلت بأن هذه الكتب صحيحة عند أهل السنة أما عند الشيعة فلا يقيمون لها وزناً، وأنا مع هؤلاء. فقال: نحن لا يهمنا رأي الشيعة الذين يكفّهم أغلب المسلمين، والمسلمون السنة وهم أكثر من الشيعة عشر مرات لا يقيمون لأراء الشيعة وزناً، ثم أضاف قائلاً: إذا تفاهتم أنتم المسلمون مع بعضكم البعض وأقنعتم أنفسكم بعصمة نبيكم، عند ذلك يمكن أن تُقنعونا نحن (قال ذلك صاحكاً متهمكاً).

ثم التفت إلي من جديد قائلاً: وأما بخصوص الأخلاق الحميدة فانا أسألك أن تقنع الحاضرين كيف تزوج محمد الذي بلغ من العمر أربعاً وخمسين بعائشة وعمرها ست سنين؟

وارتفعت من جديد ضجة الضحك واشتربت الأعناق تنتظر ردّي وحاولت جهدي إقناعهم بأن الزواج عند العرب يتم على مرحلتين المرحلة الأولى وهو العقد وكتب النكاح والمرحلة الثانية وهو البناء والدخول، وقد تزوج النبي عائشة وعمرها ست سنوات ولكن لم يدخل بها إلا بعد أن بلغت تسع سنوات، واستطردت بأن هذا ما يقوله البخاري إن كان مناقشي

يحتج عليّ بما فيه . وأنا شخصياً أشك في صحة الرواية لأنّ الناس في ذلك الزمان لم يكن لهم حالة مدنية ولا تسجيل تاريخ الميلاد ولا تاريخ الوفاة، وعلى فرض صحة الرواية فإنّ عائشة بلغت سن الرشد في التاسعة من عمرها فكم رأينا اليوم على شاشة التلفزيون بعض الفتيات الروسيات والرومانيات لاعبات «الجمباز» اللاتي عندما تراهن وتري كمال أجسامهن تستغرب عندما يُعلنون عن عمرها وأنها لم تتجاوز إحدى عشر عاماً. فلا شك بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل بها إلا بعدما رشدت وأصبحت تحيض، والإسلام، لا يقول بالرشد لمن بلغ ثمانية عشر عاماً كما هو معروف عندكم في فرنسا. بل الإسلام يعتبر الرشد بالحيض للنساء وبخروج المني للرجال. وكلّنا يعلم حتّى اليوم بأنّ من الذكور من يُمنون في سنّ العاشرة ومن الإناث من يحضن في سنّ مبكرة قد لا تتجاوز العاشرة.

وهنا قامت سيدة وتدخلت لتقول: نعم وعلى فرض أنّ ما أوردته قد يكون صحيحاً وهو صحيحٌ علمياً، ولكن كيف نقبل بزواج شيخ كبير أو شك عمره على نهايته بفتاة صغيرة ما زالت في العقد الأول من عمرها؟

قلت: إنّ محمداً نبيّ الله ولا يفعل شيئاً إلاّ بوحي منه، ولا شك أنّ الله في كل شيء حكمة، وإن كنت شخصياً أجهل الحكمة في ذلك.

قال الدكتور المسيحي: لكنّ المسلمين اتخذوا ذلك سنّة، فكم من فتاة صغيرة زوّجها أبوها غضباً عنها برجلٍ يوازيه في السنّ ومع الأسف فإنّ هذه الظاهرة بقيت حتّى اليوم موجودة. انتهزت هذه الفرصة لأقول: ولذلك أنا تركت المذهب السنّي واتّبع المذهب الشيعي، لأنه يعطي حق المرأة في أن تزوج نفسها بمن شاءت هي لا بما يفرضه عليها الولي.

قال: دعنا من السنّة والشيعية ولنعد إلى زواج محمّد بعائشة والتفت إلى الحاضرين ليقول بكلّ سخرية: إنّ محمداً النبيّ والبالغ من العمر أكثر من الخمسين ينزوج بنية صغيرة لا تفهم من الزواج قليلاً ولا كثيراً والبخاري

يحدثنا بأنها كانت في بيت زوجها تلعب بالدُمى وهذا يؤكد على براءة الطفولة، فهل هذه هي الأخلاق العالية التي يمتاز بها النبي؟

وحاولت من جديد إقناع الحاضرين بأن البخاري ليس حجة على النبي (ص) ولكن بدون جدوى، فقد لعب هذا المسيحي اللبناني بأفكارهم كما أراد، وما كان لي إلا أن أوقف النقاش متذرعاً بأننا لا نتكلم نفس اللغة لأنهم يحتجون عليّ بالبخاري في حين أنني لا أؤمن بكل ما ورد فيه.

وخرجت ناقماً على المسلمين الذين أعطوا لهؤلاء، ولأعداء الإسلام وأعداء محمد (ص) السلاح النافذ الذي يحاربوننا به وعلى رأس هؤلاء البخاري! ورجعت للبيت يومها مهموماً وأخذت أتصفح صحيح البخاري وما ذكره في فضائل عائشة وأحوالها فإذا بي أقول الحمد لله الذي فتح بصيرتي، وإلا لبقيت متحيراً في شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وربما داخلني الشك فيه والعياذ بالله.

ولا بدّ من إظهار بعض الروايات التي أثبتت خلال المناقشة حتى يتبين للقارئ بأن هؤلاء المتقدين لم يفتروا علينا وإنما وجدوا بغيتهم في صحاحنا فاستعانوا بها علينا.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وقدمه المدينة وبنائه بها.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: تزوجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحرث بن خزرج فوعكت فتمرق شعري فوفى جميمة، فأتتني أمي أم رومان وإني لفقد أرجوحة ومعى صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الانصار في البيت فقلن على الخير والبركة وعلى خير طائر.

فأسلمتني إليهن فأصلحن من شائي، فلم يرعني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين.

وأترك لك أيها القارئ لتعلق بنفسك على أمثال هذه الروايات.

كما أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الأدب باب الانبساط إلى الناس.

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحبٌ يلعبن معي، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل يتقمعن منه فيسرن بهن إلي فيلعبن معي.

يقول الشارح: اللعب بالبنات، يعني التماثيل المسماة بلعب البنات - ويسرن بهن إلي: أي يبعثن ويرسلهن إلي وأنت تقرأ مثل هذه الروايات في صحيح البخاري أبقى عندك اعتراض بعدها على نقد بعض المستشرقين إن كنت منصفاً؟

قل لي بربك! عندما تقرأ قول عائشة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «ما أرى ربك إلا يسارع في هواك»^(١).

ماذا يبقى في نفسك من احترام وتقدير لامرأة كهذه التي تشكك في نزاهته صلى الله عليه وسلم، وهل لا يبعث ذلك في نفسك أنها تصرفات مراعاة لم يكتمل عقلها.

وهل يلام بعد ذلك أعداء الإسلام الذين كثيراً ما يشيرون حب محمد للنساء وأنه كان شهوانياً فإذا قرؤوا في البخاري بأن الله يسارع في هواه، ويقرؤون في البخاري بأنه كان يجامع إحدى عشرة زوجة في ساعة واحدة وقد أعطى قوة ثلاثين.

(١) صحيح البخاري ج ٦ ص ٢٤ كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى ﴿ترجي من تشاء منهم ونأوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾.

فَاللُّومُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَقْرَأُوا مِثْلَ هَذِهِ الْأَبَاطِيلِ وَاعْتَرَفُوا بِصَحَّتِهَا
بَلْ وَاعْتَبَرُواهَا كَالْقُرْآنِ الَّذِي لَا يَنْطَرِقُ إِلَيْهِ الشُّكُّ وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ مُسَيِّرُونَ فِي
كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى فِي عَقِيدَتِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ خِيَارٌ فِي شَيْءٍ. لَقَدْ فَرَضْتُ عَلَيْهِمْ
هَذِهِ الْكُتُبَ مِنَ الْحُكَامِ الْأَوَّلِينَ. وَهَلَمْ بَنَّا الْآنَ إِلَى الرِّوَايَاتِ الَّتِي أَخْرَجَهَا
الْبُخَارِيُّ لِلطَّعْنِ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ.

فَقَدْ أَخْرَجَ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ الْمَغَازِي بَابَ شُهُودِ الْمَلَائِكَةِ بِدْرًا
ج 5 ص 16.

• عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ كَانَتْ لِي
شَارِفٌ مِنْ نَصِييِي مِنَ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَعْطَانِي مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ مِنَ الْخُمْسِ يَوْمَئِذٍ قَلَمًا أَرَدْتُ أَنْ أُبْتَنِي بِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا
السَّلَامُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعَدْتُ رَجُلًا صَوَاغًا فِي بَنِي فَيْنِقَاعٍ
أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ فَنَاتِي بِإِذْخَرٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَيِّعَهُ مِنَ الصَّوَاغِينَ فَنَسْتَعِينَ بِهِ فِي
وَلِيْمَةٍ عُرْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفِي مِنَ الْأَقْتَابِ وَالْفَرَائِرِ وَالْحِبَالِ
وَشَارِفَائِي مُنَاخَانٍ إِلَى جَنْبِ حَجَرَةٍ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُهُ
فَإِذَا أَنَا بِشَارِفِي قَدْ أُجِبْتُ أَسْنَمْتُهُمَا وَبُقِرْتُ خَوَاصِرُهُمَا وَأَخَذْتُ مِنْ أَكْبَادِهِمَا
فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنِي حِينَ رَأَيْتُ الْمَنْظَرَ. قُلْتُ مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ قَالُوا: فَعَلَهُ
حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنَ الْأَنْصَارِ عِنْدَهُ قَيْنَةٌ
وَأَصْحَابُهُ فَقَالَتْ فِي غَنَائِهَا (أَلَا يَا حَمْزُ لِلشَّرَفِ النَّوَاءُ). فَوُثِبَ حَمْزَةُ إِلَى
السَّيْفِ فَاجْبُ أَسْنَمْتُهُمَا وَبُقِرَ خَوَاصِرُهُمَا وَأَخَذْتُ مِنْ أَكْبَادِهِمَا قَالَ عَلِيٌّ:
فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ
وَعَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي لَقِيتُ فَقَالَ: مَا لَكَ؟ قُلْتُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ عَدَا حَمْزَةُ عَلَيَّ نَاقَتِي فَاجْبُ أَسْنَمْتُهُمَا وَبُقِرَ
خَوَاصِرُهُمَا وَهِيَ هُوَذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِرَدَائِهِ فَارْتَدَى ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ
الَّذِي فِيهِ حَمْزَةُ فَاسْتَاذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ فَطَفِقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلُومُ

حمزة فيما فعل، فإذا حمزة ثبُلَ محمزة عيناه، فنظر حمزة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم صعد النظر فنظر إلى ركبتيه ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ثم قال حمزة: وهل أنتم إلا عبيد لأبي، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم أنه ثبُلَ فنكص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عقبيه القهقري فخرج وخرجنا معه.

تأمل أيها القاريء في هذه الرواية التي طفحت بالكذب والزور لستم سيد الشهداء لأنه مفخرة أهل البيت فكم كان الإمام علي سلام الله عليه يفتخر به في أشعاره بقوله: وحمزة سيد الشهداء عني، وكم كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفتخر به حتى إذا قُتِلَ حزن عليه حزناً كبيراً وبكى عليه بكاءً كثيراً وسمّاه سيد الشهداء.

وحمزة عم النبي (ص) الذي أعز الله به الإسلام عندما كان المستضعفون من المسلمين يعبدون الله خفية، وقف وقفته المشهورة في وجه قريش وانتصر لابن أخيه معلناً إسلامه على الملأ من قريش وما خاف أحداً. حمزة الذي سبق هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومهد لدخول ابن أخيه في يوم مشهود.

حمزة الذي كان مع ابن أخيه علي أبطال بدرٍ وأحد، أخرج البخاري نفسه في صحيحه كتاب تفسير القرآن باب قوله هذان خصمان اختصموا في ربهم ج 5 ص 242.

* عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس وفيهم نزلت هذان خصمان. اختصموا في ربهم قال: هم الذين بارزوا يوم بدر، علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

نعم إن البخاري يعجبه أن يروي مثل هذه المثالب في مفخرة أهل البيت، وسلسلة الرضّاعين الذين وضعوا مثل هذه الرواية طويلة فقد قال

البخاري حدثنا عبدان أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس وحدثنا أحمد بن صالح حدثنا عنبسة حدثنا يونس عن الزهري أخبرنا علي بن حسين^(١)، فهؤلاء سبعة أشخاص يروي عنهم البخاري قبل أن يصل السند إلى علي بن الحسين وهو زين العابدين وسيد الساجدين. فهل يليق بزين العابدين أن يروي أكاذيب مثل هذه فيكون سيد الشهداء يشرب الخمر بعد إسلامه وبعد هجرته وقبل استشهاده بأيام قلائل إذ تقول الرواية بأن علي بن أبي طالب كان يعد وليمة عرسه على فاطمة عليها السلام التي بنى بها في السنة الثانية للهجرة النبوية وأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه نصيبه من المغنم يوم بدر وهل يليق بسيد الشهداء أن تكون له قينة عاهرة تُغنيهِ وتطلب منه أن يقر الناقتين فيفعل بدون مبالاة؟

وهل يليق بسيد الشهداء أن يأكل لحم حرام بدون ذبح ويقر الخواصر ويأخذ الأكباد؟

وهل يليق برسول الله (ص) أن يذهب ويستأذن على حمزة في ذلك المجلس الذي فيه الخمر والدعارة؟ ويدخل في ذلك المكان؟ وهل يليق بسيد الشهداء أن يكون ثملاً محمرة عيناه فيشتم رسول الله (ص) بقوله ما أنتم إلا عبيد لأبي؟

وهل يليق برسول الله (ص) أن ينكص على عقبيه القهقري فيخرج دون تأنيب أو توبيخ فالمعروف عنه أنه كان يغضب لله.

وأنا ميتقن أن هذه الرواية لو كانت (على سبيل الافتراض طبعاً) تذكر أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية مكان حمزة، لما أخرجها البخاري لفظاعتها، ولو أخرجها لهدبها على طريقتها وأبترها. ولكن ما الحيلة والبخاري لا يحب هؤلاء الذين رفضوا مدرسة الخلفاء، حتى بعد وقعة

دربلاء وقتلهم عن بكرة أبيهم، فلم يبق إلا علي بن الحسين الذي وضعوا الرواية على لسانه.

ولماذا لم يرو البخاري شيئاً من فقه أهل البيت ولا من علومهم ولا من خصالهم ولا من زهدهم ولا من فضائلهم التي ملأت الكتب وطفحت بها مجاميع أهل السنة قبل مجاميع الشيعة؟

ولنستمع إليه يروي رواية أخرى تطعن في أهل البيت وفي القصة بالذات إذ أن الرواة بما فيهم البخاري لم يجدوا في علي بن أبي طالب نقيصة واحدة ولا سجلوا عليه طيلة حياته كذبة واحدة ولا عرفوا له خطيئة واحدة، ولو كانت، لمألوا الدنيا صياحاً وعويلًا، فعمدوا لوضع رواية تتهمه بأنه كان يستخف بالصلاة.

أخرج البخاري في صحيحه من كتاب الكسوف باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل وطرق النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعلياً عليهما السلام ليلة للصلاة ج 2 ص 43 قال:

• حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني علي بن حسين أن حسين بن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقال: ألا تُصليان؟

فقلت: يا رسول الله أنفُسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٌ يضربُ فخذه وهو يقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً.

لأها الله يا بخاري، هذا علي بن أبي طالب الذي يحدثنا عنه المؤرخون أنه كان يقوم بصلاة الليل في ليلة الهرير (في حرب صفين) فيفرش نطع ويصلي بين الصفين والنبال والسهام تساقط على يمينه وشماله فلا يرتاع ولا يقطع صلاة الليل.

علي بن أبي طالب الذي أوضح للناس معالم القضاء والقدر وحمل الإنسان مسؤولية أفعاله، تصوّره أنت في هذه الرواية بأنه جبري يقول بالجبر ويجادل بها رسول الله (ص) بقوله: أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا يعني ذلك لو شاء الله أن نصلي لصلينا. علي بن أبي طالب الذي حبه إيمان ويغضه نفاق توصفه أنت بأنه أكثر شيء جدلاً. إنه كذب مفضوح لا يوافقك عليه حتى ابن ملجم قاتل الإمام ولا معاوية الذي كان يأمر الناس بلعنه، إنه كذب رخيص ولكنك جنيت من وراءه الكثير إذ أرضيت بذلك حكّام زمانك وأعداء أهل البيت فرفعوا قدرك في هذه الدنيا الدنيئة ولكنك أسخطت ربك بهذا الموقف من أمير المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الفر المحجلين قسيم الجنة والنار الذي يقف يوم القيامة على الأعراف فيعرف كلاً بسماهم^(١) فيقول للنار هذا لي وهذا لك^(٢).

ولا أدري إن كان كتابك يوم القيامة شبيه بكتابك اليوم الذي يُزوّق ويُجلّد ويُنقّ، ليخرج في أبهى حلة عرفها الكتاب.

نعم كُبرْتُ على البخاري أن يظهر سيده عمر بن الخطاب تاركاً للصلاة المفروضة عندما فقد الماء وبقي على مذهبه ذلك حتى في خلافته فقال: أما أنا فلا أصلي متحدياً بذلك القرآن والسنة.

ففتش عند الدجالين الوضّاعين فوضعوا له هذا الحديث الذي يتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه تناقل فلم يصل صلاة الليل، وعلى فرض واحتمال صحة روايته فلا ضير ولا إثم ولا ذنب على علي لأنها تتعلق

(١) شواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج ١ ص ١٩٨ في تفسير قوله تعالى: ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾ أخرج الحاكم عن علي قال: نفث يوم القيامة بين الجنة والنار فمن نصرنا عرفناه بسيماهم فأدخلناه الجنة ومن أبغضنا عرفناه بسيماهم.

(٢) ابن حجر الشافعي في الصواعق المحرقة ص ١٠١ قال روي عن النبي (ص) أنه قال: يا علي أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك، وأضاف ابن حجر أن أبا بكر قال لعلي رضي الله عنهما، سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الحواز.

بصلاة النافلة التي يثابُ على فعلها ولا يعاقبُ على تركها - ولا يمكن أن يُقاسَ فعل عمر بتركه للصلاة المفروضة على ترك علي لصلاة النافلة إن صحت الرواية، ولكن أنى لهذه الرواية أن تكون صحيحة ولو أخرجها صحيح البخاري.

فالبخاري صحيح عند أهل السنة، وأهل السنة هم المؤيدون لمدرسة الخلافة التي قامت على سياسة بني أمية وبني العباس والمتتبع يعرف هذه الحقيقة التي أصبحت اليوم غير خافية على أحد وأهل السنة والجماعة تبعاً لسياسة الحكام الذين ذأبوا على عداة ومحاربة أهل البيت ومن والاهم وتشيع لهم، أصبحوا من غير علمهم أعداءً لأهل البيت وشيعتهم لأنهم والوا أعداءهم وعادوا أولياءهم. ولذلك رفعوا من شأن البخاري إلى الدرجة الرفيعة التي أصبح عليها، ولا تجد عندهم من تراث أهل البيت ولا من أقوال الأئمة الاثني عشر شيئاً يذكر، ولا حتى عن باب مدينة العلم الذي كان من النبي بمنزلة هارون من موسى، وبمنزلة النبي من ربه.

والسؤال الذي يطرح على أهل السنة هو: ما الذي أحرز عليه البخاري زيادة على بقية المحدثين لينال عندكم هذا التفضيل؟؟

وأعتقد أن الجواب الوحيد على هذا السؤال هو أن البخاري:

- 1- دلس الأحاديث التي تمس كرامة الصحابة خصوصاً منهم أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية. وهذا ما دعا إليه معاوية والحكام بعده.
- 2- أبرز الأحاديث التي تطنن في عصمة الرسول (ص) وتصوره بأنه بشرٌ عاديٌّ يخطئ، وهذا ما أراده الحكام على طول الدهر.
- 3- أخرج أحاديث موضوعة في مدح الخلفاء الثلاثة وفضلهم على علي بن أبي طالب وهو بالضبط ما أراده معاوية للقضاء على ذكر علي حسب زعمه.

- 4- أخرج أحاديث مكذوبة تمس بكرامة أهل البيت.
- 5- أخرج أحاديث أخرى تؤيد مذهب الجبر والتجسيم والقضاء والقدر في الخلافة وهو ما أشاعه الأمويون والعباسيون ليتحكموا بمصير الأمة.
- 6- أخرج أحاديث مكذوبة تُشبه الأساطير والخرافات لتخدير الأمة وإشاعة الفوضى وذلك ما يريده الحكام في عصر البخاري.
- وعلى سبيل المثال إليك أيها القارئ العزيز هذه الرواية:
- أخرج البخاري في صحيحه من كتاب بدء الخلق باب أيام الجاهلية من جزئه الرابع ص 238.
- قال البخاري: حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم.
- ونحن نقول للبخاري، لعن الله سبحانه ورحمته بالقردة قد نسخ حكم الرجم الذي فرضه عليهم بعد طردهم من الجنة وأباح لهم الزنا في عهد الإسلام بعدما كان محرماً عليهم في الجاهلية. ولذلك لم يدع أي مسلم أنه حضر أو شارك في رجم قردة منذ بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وحتى يوم الناس هذا.

این صفحه در اصل کتاب ناقص است



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی علوم اسلامی

خاتمة البحث

وبعد هذه الخرافات وأمثالها كثير في البخاري فهل يبقى الباحثون والعلماء المتحررون ساكتون ولا يتكلمون؟

وسيقول بعض الناس لماذا التحامل إلا على البخاري؟ وقد يوجد في غيره من كتب الأحاديث أضعاف ما فيه، وهذا صحيح ولكن تناولنا البخاري بالتحديد لما ناله هذا الكتاب من شهرة فاقت الخيال حتى أصبح كالكتاب المقدس عند علماء السنة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إذ كل ما فيه صحيح لا يتطرق إليه الشك، ومنبع هذه الهالة وهذا التقديس نشأ من السلاطين والملوك بالخصوص في العهد العباسي الذي وصل فيه الفرس إلى التحكم في كل جهاز الدولة وكان منهم الوزراء والمستشارون والأطباء والفلكيون يقول أبو فراس في ذلك:

أبلغ لديك بني العباس مالكة لا يدعوا ملكها ملاكها العجم
أي المفاجر أمست في منازلكم وغيركم أمر فيها ومحتكم

وعمل الفرس كل جهودهم واستعملوا كل نفوذهم حتى أصبح كتاب البخاري في المرتبة الأولى بعد القرآن الكريم، وأصبح أبو حنيفة الإمام الأعظم فوق الأئمة الثلاثة الآخرين.

زُلُولاً خوف الفرس من إثارة القومية العربية في عهد الدولة العباسية لرفعوا البخاري فوق القرآن، ولقدّموا أبا حنيفة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فمن يدري؟

وقد قرأتُ لبعضهم محاولات من هذا القبيل، إذ كان البعض منهم يقول صراحة بأنّ الحديث قاض على القرآن، ويقصد بالحديث البخاري طبعاً. كما يقول لو تعارض حديث النبي صلى الله عليه وسلم مع رأي واجتهاد أبي حنيفة لوجب تقديم اجتهاد أبي حنيفة ويعلّل ذلك بأنّ الحديث يحتمل عدّة وجوه، هذا إن كان صحيحاً أمّا إذا كان مشكوكاً في صحّته فلا إشكال.

وأخذت الأمة الإسلامية تنمو وتكبر شيئاً فشيئاً وهي دائماً مغلوبة على أمرها يتحكّم في مصيرها الملوك والسلاطين من الأعاجم والفرس والمماليك والموالي والمغول والأتراك والمستعمرين من الفرنسيين والإنكليز والإيطاليين والبرتغاليين وحدث ولا حرج. مركزية تكوّن علوم ديني

ودأب أغلب العلماء على الجري وراء الحكّام واستمالتهم بالفتاوى والتملّق طمعاً في ما عندهم من مال وجاه، وعمل هؤلاء دائماً على سياسة «فرّق تسد» فلم يسمحوا لأحد بالاجتهاد وفتح ذلك الباب الذي أغلقه الحكّام في بداية القرن الثاني، معتمدين على ما يثار هنا وهناك من فتن وحروب بين السنة وهي الأغلبية الساحقة والتي تمثّل الأنظمة الحاكمة، والشيعة وهي الأقلية المنبوذة والتي تمثّل في نظرهم المعارضة الخطيرة التي يجب القضاء عليها وبقي علماء السنة مشغولون بتلك اللعبة السياسية الماكرة في نقد وتكفير الشيعة والردّ على أدلّتهم بكل فنون النقاش والمجادلة حتّى كُتِبَتْ في ذلك آلاف الكتب وقُتِلَتْ آلاف النفوس البريئة وليس لها ذنب غير ولائها لعتره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورفضها للحكّام الذين ركبوا أعناق الأمة بالقوة والقهر.

وها نحن اليوم في عهد الحريات في عهد النور كما يسمونه في عهد العلم وتسابق الدول لغزو الفضاء والسيطرة على الأرض إذا ما قام عالم وتحرر من قيود التعصب والتقليد، وكتب أي شيء يُشم منه رائحة التشيع لأهل البيت، فتور ثائرتهم وتعباً طاقاتهم لسبه وتكفيره والتشيع عليه لا لشيء سوى أنه خالف المألوف عندهم، ولو أنه كتب كتاباً في مدح البخاري وتقديسه لأصبح عالماً علامة ولانهالت عليه التهاني والمدائح من كل حذب وصوب ولتمسح باعتابه رجال لا تلهيهم صلاة ولا صوم عن التملق وقول الزور.

وأنت تفكر في كل هذا والدواعي التي توفرت لانحراف أكثر العباد، والأسباب التي تجتمعت لسياقه أغلب الناس إلى الضلالة، فإذا القرآن الكريم يُوقفك على سرها المكنون، من خلال الحوار الذي دار بين رب العزة والجلالة واللعين إبليس.

﴿ قال: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟ ﴾

قال: أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين.

قال: فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين.

قال: أنظرني إلى يوم يبعثون.

قال: إنك من المنظرين.

قال: فيما أهويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لا تبينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين.

قال: أخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملئن جهنم منكم أجمعين ﴿ [الأعراف: 12 - 18].

- ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزعُ
عنهما لباسَهُمَا ليريهُمَا سوءَ اتهمَا إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم،
إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون، وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها إباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمرُ بالفحشاء أتقولون على الله ما
لا تعلمون، قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه
مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون، فريقا هدى وفريقا حق عليهم
الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾
[الأعراف: 26 - 30].

ولذلك أقول لكل إخواني من المسلمين عامة إلعنوا الشيطان ولا تتركوا
له سبيلاً عليكم، وتعالوا إلى البحث العلمي الذي يقره القرآن والسنة
الصحيحة، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نحتج إلا بما هو صحيح
ثابت عندنا وعندكم، وندع ما اختلفنا فيه جانباً، ألم يقل رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم: «لا تجتمع أمتي على خطأ» إذا فالحق والصواب في
ما اجتمعنا عليه سنة وشيعة والخطأ والباطل في ما اختلفنا فيه، ولو أقمنا إلا
هذا العمود لعَمَّ الصفاء والوفاء والهناء واجتمع الشمل ولجاء نصر الله
والفتح ولعمت البركة من السماء والأرض، فالوقت قد حان ولم يعد هناك
مجال للانتظار قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال - ونحن كلنا في انتظار
إمامنا المهدي عليه السلام شيعة وسنة وقد طفحت ببشارته كتبنا، أليس هذا
دليل كاف على وحدة مصيرنا، فليس الشيعة إلا إخوانكم وليس أهل البيت
حكرة عليهم، فمحمّد وأهل بيته (ص) هم أئمة المسلمين كافة فلقد اتفقنا
سنة وشيعة على صحة حديث الثقلين وقوله صلى الله عليه وآله وسلم
«تركْتُ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تضلُّوا أبداً كتاب الله وعترتي»⁽¹⁾ والمهدي

(1) وقد أوضحنا في بحث سابق بأن هذا الحديث لا يتعارض مع حديث كتاب الله وسنتي لأن
كتاب الله وسنة رسوله هو كلام صامت ولا بد لهما من ترجمان ومن مبيِّن. فالرسول يرشدنا
بأن المفسر والمبيِّن للقرآن والسنة هم عترته من أئمة أهل البيت الذين يشهد المسلمون كافة
أنهم مقدّمون على غيرهم في العلم والعمل.

من عترته أليس هذا دليل آخر؟

والآن وقد ولى عصر الظلمات وعصر الظلم الذي لم يظلم أحداً بقدر ما ظلم أهل البيت عترة الرسول (ص) حتى لُعِنُوا على المنابر وقتلوا وسبيت نساؤهم وبناتهم على مرأى ومسمع من كل المسلمين.

فقد حان الوقت لرفع المظلمة عن أهل البيت النبوي ورجوع الأمة إلى أحضانهم الدافئة التي مُلِئَتْ رَأْفَةً وَرَحْمَةً إلى حضيرتهم المُتَرَعَّة التي مُلِئَتْ علماً وعملاً وإلى ظل شجرتهم الباسقة التي حازت فضلاً وشرفاً، فقد صَلَّى عليهم الله وملائكته، وأمر المسلمين بذلك في كل صلواتهم - كما أمرهم بمودّتهم وموالاتهم.

وإذا كان فضل أهل البيت لا ينكره مسلم وقد تغنى به الشعراء على مرّ العصور، قال الفرزدق فيهم:

إن عدّ أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم ملجى ومعتصم مُقَدَّم بعد ذكر الله ذكرهم في كل برٍّ ومختوم به الكلم

وقال فيهم أبو فراس الشاعر المعروف بمدح أهل البيت ويشني العبّاسين في قصيدته المعروفة بالشافية اخترنا منها.

يا باعة الخمر كفوا عن مفاخركم	لمعشر بيعهم يوم الهياج دم
خلّوا الفخّار لعلّامين إن سُئِلُوا	يوم السؤال وعمّالين إن عملوا
لا يغضبون لغير الله إن غضبوا	ولا يضيعون حكم الله إن حكموا
تنشئ التلاوة في أبياتهم سحراً	وفي بيوتكم الأوتار والنغم
الركن والبيت والأستار منزلهم	وزمزم والصّفى والحجر والحرم
وليس من قسم في الذكر نعرفه	إلا وهم غير شك ذلك القسم

وقد نقل الزمخشري والبيهقي والقسطلاني أبياتاً للإمام أبي عبد الله

محمد بن علي الأنصاري الشاطبي^(١) قوله:

عُدِّي وَتَيْمٌ لَا أَحَاوِلُ ذِكْرَهَا بِسُوِّ وَلَكِنِّي مُحِبٌّ لَهَا شَيْمٍ
وَمَا تَعْتَرِينِي فِي عَلَيٍّ وَرَهْطِهِ إِذَا ذَكَرُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَا إِيْمٍ
يَقُولُونَ: مَا بَالُ النَّصَارَى تَحِبُّهُمْ وَأَهْلُ النَّهْيِ مِنْ أَعْرَبٍ وَأَعَاجِمٍ
فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنِّي لِأَحْسِبُ حُبَّهُمْ سَرَى فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ حَتَّى الْبَهَائِمِ

وقد كتب بعض النصارى عدة كتب في مزايا وفضائل علي بن أبي طالب خاصة وفي أهل البيت عامة وهو ما أشار إليه الإمام الشاطبي بقوله: يقولون ما بال النصارى تحبهم. وهي من العجائب التي بقيت لغزاً ولا كيف يعترف النصراني بحقيقة أهل البيت ولا يسلم؟ اللهم إلا إذا قدرنا أنهم أسلموا ولم يعلنوا عن ذلك إما رهبة أو رغبة.

وقد نقل صاحب كتاب كشف الغمة في صفحة 20 قول بعض النصارى في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَرِيحٌ وَمَا لِسَوَاهٍ فِي الْخِلَافَةِ مَطْمَعٌ
لَهُ النَّسَبُ الْأَعْلَى وَإِسْلَامُهُ الَّذِي تَقَدَّمَ فِيهِ وَالْفُضَائِلُ أَجْمَعُوا
بِأَنَّهُ عَلِيًّا أَفْضَلَ النَّاسِ كُلَّهُمْ وَأَوْرَعَهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَشْجَعُ
فَلَوْ كُنْتُ أَهْوَى مِلَّةً غَيْرَ مِلَّتِي لَمَا كُنْتُ إِلَّا مُسْلِمًا أَتَشَبَّعُ

فالمسلمون أولى بحب ومولاة أهل بيت النبوة فأجر الرسالة كلها موقوفاً على مودتهم.

وعسى أن يلقي ندائي أذاناً صاغية وقلوباً واعية وعيوناً مبصرة، فأكون بذلك سعيداً في الدنيا والآخرة وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ويتقبل مني ويعفو عني ويغفر لي ويجعلني خادماً

(١) البيهقي كتاب المحاسن والمساوي ج ١ ص 50، الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار، القسطلاني في كتاب المذاهب اللدنية.

لمحمد وعترته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) في الدنيا والآخرة فإن
في خدمتهم فوزاً عظيماً - إن ربي على صراط مستقيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين.

محمد التيجاني السماوي



مركز تحقيقات علوم إسلامی

این صفحه در اصل کتاب ناقص است



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی علوم اسلامی

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

- 
- ١ - تفسير الطبري .
 - ٢ - تفسير ابن كثير .
 - ٣ - تفسير القرطبي .
 - ٤ - التفسير الكبير للفخر الرازي .
 - ٥ - تفسير الكشاف للزمخشري .
 - ٦ - تفسير الحاكم الحسكاني .
 - ٧ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي .
 - ٨ - زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي .
 - ٩ - تفسير الألوسي (روح المعاني) .
 - ١٠ - تفسير الثعلبي (التفسير الكبير) .
 - ١١ - تفسير الحاكم الحسكاني (شواهد التنزيل) .

كتب الأحاديث

- ١ - صحيح البخاري .
- ٢ - صحيح مسلم .

- ٣ - صحيح الترمذي .
- ٤ - سنن ابن ماجه .
- ٥ - سنن مابو داود .
- ٦ - سنن النسائي .
- ٧ - سنن الدارمي .
- ٨ - سنن الدارقطني .
- ٩ - مسند الإمام أحمد .
- ١٠ - موطأ مالك .
- ١١ - مستدرک الحاكم .
- ١٢ - كتر العمال .
- ١٣ - سنن البيهقي .
- ١٤ - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .
- ١٥ - منهاج السنة لابن تيمية .
- ١٦ - منتخب كتر العمال .

كتب التاريخ

- ١ - تاريخ الطبري (الأمم والملوك) .
- ٢ - تاريخ ابن الأثير (الكامل) .
- ٣ - تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق) .
- ٤ - تاريخ الخلفاء للسيوطي .
- ٥ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
- ٦ - تاريخ البخاري (الكبير) .
- ٧ - تاريخ الخلفاء لابن قتيبة .
- ٨ - تاريخ ابن كثير .
- ٩ - العقد الفريد لابن عبد ربه .

١٠ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

كتب السيرة

- ١ - السيرة الحلبية.
- ٢ - السيرة الدحلانية.
- ٣ - الملل والنحل.
- ٤ - الصواعق المحرقة لابن حجر.
- ٥ - خصائص النسائي.
- ٦ - الإصابة في تمييز الصحابة.
- ٧ - تذكرة الخواص.
- ٨ - ينابيع المودة للقندوزي الحنفي.
- ٩ - الجامع الصغير والكبير للسيوطي.
- ١٠ - الطبقات الكبرى لابن سعد.

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

كتب مختلفة

- ١ - إحقاق الحق للتستري.
- ٢ - نهج البلاغة لمحمد عبده.
- ٣ - ربيع الأبرار للزمخشري.
- ٤ - كتاب الموفقيات.
- ٥ - الغدير للعلامة الأميني.
- ٦ - كتاب صفين لنصر بن مزاحم.
- ٧ - أنساب الأشراف للبلاذري.
- ٨ - لسان الميزان للذهبي.
- ٩ - تذكرة الحفاظ للذهبي.
- ١٠ - تقييد العلم للخطيب البغدادي.

- ۱۱- البداية والنهاية لابن كثير.
- ۱۲- الجوهرة النيرة في الفقه الحنفي.
- ۱۳- حديث الإفك لجعفر مرتضى العاملي.
- ۱۴- الفتنة الكبرى لطف حسين.



مرکز تحقیقات و پژوهش در علوم اسلامی

الفهرس

٥	المقدمة
	رسالة مفتوحة
١١	إلى السيد أبو الحسن الندوي العالم الهندي
٢١	فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون
	الفصل الأول
٢٥	فيما يتعلق بالخالق جلّ جلاله
٣٧	قول أهل الذكر في الله تعالى
	الفصل الثاني
٣٩	فيما يتعلق بالرسول (ص)
٦٦	قول أهل الذكر في الرسول (ص)
	الفصل الثالث
٦٩	فيما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام
٧٤	عائشة في حياة النبي (ص)
٧٨	أم المؤمنين عائشة تشهد على نفسها
٩٢	عائشة فيما بعد النبي (ص)

- ٩٧ موقف عائشة ضد علي أمير المؤمنين
 ٩٩ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن
 ١٠٢ أم المؤمنين هي القائدة
 ١٠٤ تحذير النبي (ص) من عائشة وفتنتها
 ١٠٧ قول أهل الذكر بخصوص أهل البيت

الفصل الرابع

- ١١٣ فيما يتعلق بالصحابة عامة
 ١٢١ القرآن الكريم يكشف حقائق بعض الصحابة
 ١٢٦ السنة النبوية تكشف حقائق بعض الصحابة
 ١٤١ الصحابة تجاه أوامر الرسول (ص) في حياته
 ١٥٢ معاملة الصحابة لأوامر الرسول (ص) بعد وفاته
 شهادة أبي ذر الغفاري في بعض الصحابة
 ١٥٧ شهادة التاريخ في الصحابة
 ١٦٦ قول أهل الذكر بخصوص بعض الصحابة

الفصل الخامس

- ١٧٣ فيما يتعلق بالخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان
 ١٧٧ أبو بكر الصديق في حياة النبي (ص)
 أبو بكر بعد حياة النبي (ص) تكذيبه للصديقة
 ١٨٢ الطاهرة فاطمة الزهراء وغصبه حقها
 ١٨٦ فاطمة سيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة
 ١٨٧ فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة
 ١٨٧ فاطمة بضعة النبي (ص) والرسول يغضب لغضبها
 ١٩٤ أبو بكر يقتل المسلمين الذين امتنعوا عن إعطائه الزكاة
 أبو بكر يمنع من كتابة السنة النبوية
 ٢٠٠ وكذلك يفعل بعده عمر بن الخطاب وعثمان

- عمر بن الخطاب يتشدد أكثر من صاحبه في الحديث
 ٢٠٣ عن رسول الله ويمنع الناس من نقله
 أبو بكر يسلم الخلافة لصاحبه عمر ويخالف بذلك النصوص
 الصريحة ٢١٠
 عمر بن الخطاب يعارض كتاب الله باجتهاده ٢١٨
 عثمان بن عفان يتبع سنة صاحبه في مخالفة النصوص ٢٣١

الفصل السادس

- فيما يتعلق بالخلافة ٢٣٩
 أسئلة وأجوبة لا غنى عنها لكل باحث ٢٤٢

الفصل السابع

- يتعلق بالحديث الشريف حسب ما جاء في صحيح أهل السنة ٢٥٩
 النبي (ص) يختل ٢٦٠
 النبي يعاقب عقاباً شنيعاً ويمثل بالمسلمين ٢٦٠
 النبي (ص) يحب الجماع ٢٦٢
 ولتبرير الغناء والرقص الذي اشتهر في عهد الأمويين ٢٦٤
 النبي يشرب النبيذ ٢٦٥
 النبي يكشف عورته ٢٦٧
 النبي يسهو في صلاته ٢٦٨
 النبي يحلق ويحنت ٢٧٠
 أعتقت عائشة أربعين رقبة لتكفر عن يمينها ٢٧١
 النبي يتنازل في أحكام الله حسبما يريد ٢٧٢
 النبي يتصرف كالصبيان ويعاقب من لا يستحق العقوبة ٢٧٧
 النبي يتناقض في حديثه ٢٨٤
 التناقض في الفضائل ٢٨٨
 النبي يتناقض مع العلم والطب ٢٩٣

الفصل الثامن

- ٢٩٩..... فيما يتعلق بالصحيحين (البخاري ومسلم)
 ٣٠٣..... البخاري ومسلم يذكران أي شيء لتفضيل أبي بكر وعمر
 ٣١١..... البخاري يدلس الحديث حفاظاً على كرامة عمر بن الخطاب
 ٣٢٤..... انتقاص أهل البيت روايات تعجب البخاري
 ٣٣٩..... خاتمة البحث
 ٣٤٧..... مصادر الكتاب



مركز تحقیقات کتب ویراثہ اسلامی